الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

جامعة الجزائر

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة العربية وآدابها

* * * * *

الانسجام في القرآن الكريم
- سورة النور أنموذجا-

* أطروحة لنيل شهادة دكتوراه في الأدب العربي *

Uإعداد الطالبة U

* نوال لخلف

Uإشراف

الدكتورU:

*محمد العيد رتيمة

السنة الجامعية 2006 – 2007

بِسْمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحِيم

U* بسم الله الرحمن الرحيم *

" يأيتُها النّفس المطمأنَة ارجِعي اِلى ربِكِ راضِية مرضِيةً فَادخُلِي فِي عِبادِي و ادخُلِي جنَتِي" ، سورة الفجر الآية 30.

شاءت الاقدار بأن تنتقل الأستاذة "نـوال لخاف" إلى جوار ربهـا و هي على أبواب مناقشة بحثها و الذي نرجو بأن تستفيد منه الأجيال القادمة و بالأخص أبنائها عماد الدين و معاذ.

و ما عسانا إلا أن ندعو الله " اللهم ارحمها و اسكنها جناتك يا أرحم الراحمين" – آمين.

*** كلمة شكر ***

- تتقدم عائلة المرحومة الأستاذة " نـوال لخاف " بالشكر إلى كل من واساها في فقدان الأستاذة و خاصة أسرة المدرسة العليا للأساتذة ببوزريعة، إدارة و أساتذة و طلبة و كذلك أسرة قسم اللغة العربية و آدابها لجامعة الجزائر.

- كما لا ينسى الأستاذ عبد النور بن سراي زوج المرحومة، أن يشكر الأستاذ المشرف الدكتور محمد العيد رتيمة على كل النصائح التي قدمها للمرحومة أثناء إنجازها لهذا البحث لأنه كان بمثابة أستاذًا و أبا و أخًا.

مقـدمـة

أنزل القرآن منجما على رسول الله صلى الله عليه و سلم : اختلف فيه ترتيب الترتيل عن ترتيب التنزيل، و في ذلك سر من أسرار إعجازه، لأن ترتيب الآيات و السور في الخطاب القرآني أمر توقيفي، بأمر من رسول الله – صلى الله عليه و سلم – و لم يكن اجتهاذا من الصحابة رضوان الله عليهم.

لكن هذا الترتيب يخفي من ورائه انسجاما غريبا، يمكن الكشف عنه وفق مناهج لسانية حديثة، للبحث في وجه من وجوه الإعجاز في القرآن الكريم بوسائل عصرية مستحدثة.

يعد الانسجام من أهم المسائل التي يطرحها علم اللغة الحديث، و من أهم القضايا التي لقيت اهتماما عن علماء العرب و المسلمين، و شغلت الستشرقين حتى أن منهم من رأى أن القرآن الكريم كتاب غير منسجم، يفقد بذلك أهم أسس نصيته.

من هنا جاء البحث لتحقيق أغراض أهمها:

* الكشف عن الانسجام المعجز في القرآن الكريم من خلال جانبين: نظري و تطبيقي.

* ابراز الجهود العربية الاسلامية و إسهاماتها في مجال لسانيات النص.

* علاقة هذه الجهود بما تعرفه الدراسات اللغوية الحديثة.

فكانت أسباب اختيار موضوع البحث ذاتية قبل أن تكون موضوعية، بل تتلاحم فيها الذاتية بالموضوعية، حتى أنه يصعب الفصل بينها.

ذلك أن تطور علوم اللغة حديثا، يفتح آفاقا جديدة للباحث، تحفزه فيها على المضي و الإقدام..قصد الإطلاع على الأعمال الغربية، بعد التعرف على التراث العربي الإسلامي، ليتمكن في الأخير من خدمة كتاب الله عز و جل، و الرد على الطاعنين فيه.

من أجل ما سبق ، جاء البحث مقسما إلى :
ثلاثة أبواب بعد مقدمة و تمهيد، كان عرضا سريعا لمختلف النظريات اللغوية الغربية التي مهدت لظهور لسانيات النص.

ثم جاء U**الباب الأول:**U

نبذة عن الجهود الغربية، و هي جهود تنوعت و توزعت بين مختلف الاتجاهات و المدارس، يصعب الإحاطة بها ، فكان لابد من الوقوف أمام أهم مراحلها:

* التبلور * التطور

فجاء **الفصل الأول:**

تعريفا لنظرية "فان دايك"، لأنه قدم جهودا لا تنكر في مجال لسانيات النص بداية من السبعينيات إلى أيامنا هذه..، و لأنه يصعب الحصول على كل أعماله و استيعابها.

وقع الاختيار على عملين فقط ينتميان إلى مرحلة اهتمام "فان دايك" بالانسجام في الخطاب و تبلور نظريته في هذا الشأن، و بداية تأثيره على مختلف الأعمال الغربية.

ثم جاء **الفصل الثاني:**

تقديما لجهود المدرسة الأجلوأمريكية من خلال "دي بوجراند" و المدرسة الفرنكفونية من خلال "جون ميشال أدام"، حيث كان الاكتفاء مرة أخرى بما يخدم غرض البحث.

بعد ذلك جاء **الباب الثاني:**

عرضا للإسهامات العربية الإسلامية في مجال لسانيات النص من خلال فصلين:

الفصل الأول: و كان بحثا في قضية إعجاز القرآن الكريم لسببين:

- لأنها أول قضية واجهها العقل العربي قديما، و استطاعت أن تفتح أبواب البحث واسعة للثقافة الإسلامية.

- لأن الإعجاز صفة ملازمة للخطاب القرآني، ما زال يفرض البحث فيه برؤى جديدة، وبمناهج حديثة. و لا يعني ذلك إسقاط المناهج الغربية على نص إلهي مقدس.

أما **الفصل الثاني** : فكان غرضا للجهود العربية الإسلامية في ظل منظومة فكرية موحدة تتداخل فيها الاختصاصات و تتجاذب، فكان لابد من التعريف بإسهامات اللغويين و المفسرين و الفلاسفة..من خلال ما قدمه أبرز الأعلام في التاريخ العربي الإسلامي قديما و حديثا.

ثم جاء U**الباب الثالث:**U

دراسة تطبيقية ، كانت محاولة للجمع بين نتائج الدراسات الغربيةفي مجال لسانيات النص، و البحث في قضية الانسجام، و نتائج الدراسات العربية الاسلامية خاصة كتب التفسير بعلم المناسبات بين الآيات و السور.

و كان تطبيق ذلك على سورة واحدة من القرآن الكريم، هي سورة النور، لأسباب أهمها:

-1- صعوبة تطبيق ذلك على القرآن الكريم كله، فكان لابد من الاختيار بين سور القرآن.

-2- سورة النور: سورة أحكام تكاد تخلو من السرد القصصي المتتابع الذي يفرض انسجامه على النص.

-3- خصوصية السورة ضمن النسق القرآني ، و هي خصوصية أساسها مضمون السورة أولا، و شكلها الفني ثانيا، و بعبارة أخرى تبرز هذه الخصوصية من خلال مستويين:

- مستوى سطحي - مستوى عميق

فكان الاعتماد على نظرية "فان دايك" ، فيما يتعلق بـ:

- الروابط الدلالية
- المستوى الدلالي السيمانطقي
- أثر الخطاب على المتلقي

و الاعتماد على "دي بوجراند" في بحثه في العلاقات الرصفية و العلاقات المفهومية ، و المقاييس النصية... .

و كذلك الاعتماد على " جون ميشال أدام" في مسألة التقطيع، و البنية العليا و السياق ... و غيرها.

فجاء البحث محاولة للاهتمام بكل المستويات اللغوية، بداية من الصوت إلى النص، ذلك أن الانسجام مظهر خطابي، يوحد مختلف المستويات في النص، و لا يفرق بينها.

في الأخير ، لا يفوتني أن أتوجه بشكري الجزيل إلى كل من ساعدني على انجاز هذا العمل المتواضع.

و أخص بالشكر أستاذي الفاضل د. محمد العيد رتيمة الذي لم يبخل علي بوقته، و خبرته و توجيهاته.

لأقدم هذا العمل معتذرة عما يشوبه من نقص، و قصور، فالكمال لله وحده.

و الله ولي التوفيق

تـمهيـد

1- Uمن أجل تحليل علمي للنص القرآني:

من أجل تحليل علمـي للنص، تناولت دراسات كثيرة كتـاب الله بـالـوصـف و التحليل و النقد، قديما و حديـثا، و لم تبلغ غايـاتها، و لم تستوف الكتاب حقه، و لو أن تلك الدراسات كانت بعدد أحرف القرآن و آياته، و سوره، لما أدركت كل أسراره ووجوه إعجازه.

كانت جل تلك الدراسات عربية إسلامية، لكنها لم تستطع في أوج عـطـائـهـا وازدهارها أن تتخلص من تأثير الثقافات الأجنبية عليها، و كان تأثير الثقافة اليونانية واضحا في تلك العهود الإسلامية، لكنه تأثير عن وعي. فهل يحق لنا بعد ذلك، في هذا العصر الاستفادة من المناهج، و النظريات الغربية لتطبيقها على نص إلهي مقدس؟.

ألا يؤدي اعتماد منهج غربي حديث إلى إسقاط منهج جاهز على كتاب الله "عز و جل "؟.

إن القرآن الكريم كتاب معجزة، يحمل خصوصية، تجعله يختلف عما عهده البشر من الشعر، أو النثر. ألا يفرض ذلك منهجا خاصا في التحليل و الوصف؟. من أجل ذلك سيكون التعامل مع كتاب الله تعاملا حذرا، يضع نصب عينيه أمرين:

1- أن القرآن الكريم كتاب مقدس، ليس كغيره من النصوص.

2- أن النظريات اللغوية الغربية الحديثة، قامت على أسس فكرية، و فلسفية متباينة تعبر عن روح المجتمع العربي.

و من أجل تجاوز الارتماء في أحضان الفكر الغربي و المناهج الغربية، لا بد من العمل على:

U**أولا**U: الاستفادة من النظرية العربية في التراث العربي الإسلامي.

U**ثانيا**U: تدعيم تلك الرؤى العربية، و الاجتهادات الإسلامية بما توصل إليه العلم اللغوي الحديث << ذلك أن الانخراط الواعي في الفكر المعاصر و الاستيعاب العميق، و الواعي كذلك لتراثنا يشكلان معا الشرط الضروري لقيام اجتهاد>> P(1)P .

(1): محمد عابد الجابري، في قضايا الدين و الفكر (حوار)، مجلة فكر و نقد، ع:1، السنة:1، ماي 98 المغرب ، ص:16.

فالملاحظ أن الكثير من الدراسات العربية الاسلامية، تتصف بالتفكير العلمي الذي لا يناقض روح العصر اليوم. كما أن الأبحاث اللغوية الغربية تحمل أبعادا إنسانية عالمية، تكسر الحواجزن و تتعدى الحدود، يقول محمد الغزالي : <<إن الإسلام الدين التقدمي لم يتخل ، و لن يتخلى عن أي فكر صالح، أو عمل نافع، كيفما كان و أينما كان مصدره، و عصره، و أصحابه>>P(1)P.

لكن قبل ذلك، لا بد من إقامة العلاقة بين نتائج الأبحاث الغربية، و الحضارة التي أنجبتها، قصد غربلة المفاهيم و المناهج التي يستفاد منها.

U2- الأصول الفكرية و الفلسفية للدراسات اللغوية الغربية:

تتأثر الاتجاهات النقدية بفلسفة العصر، و ثقافة الأمة السائدة، و منذ القرن التاسع عشر تغيرات الرؤى و الاتجاهات، و حاولت الدراسات الأدبية التحرر من المناهج التارخيةو الاجتماعية و النفسية.. لأنها مقدمة على النص الأدبي، تحول دون التحليل الموضوعي، و العلمي الدقيق. و بدأ التأسيس لمنهج علمي بديل ، يحلل النص من الداخل.

من أجل تحقيق ذلك، تعددت النظريات اللغوية، و تكاملت فيما بينها، و تعددت الأسس الفلسفية، و الفكرية التي قامت عليها، و قد ساعد على ذلك رافدان قديم و جديد.

- فقد يما : << انطلقت نزاعات التجديد في أوروبا، و هي مرتبطة أشد الارتباط بالفكر اليوناني عامة، و المنطق الأرسطي خاصة، كما أنها استأنست في انطلاقها بمناهج النقد العربي، و تلك مسألة لم تعد خافية>>P(2)P.

استفادت الدراسات الغربية الحديثة إذن من الاجتهادات الإسلامية، و أعظم ما استفادت منه هو المنهج التجريبي الذي كان مصدر الحضارة الأوروبية كلها ، فقد كان العرب و المسلمين السبق في اكتشاف هذا المنهج، و التوصل إليهP(3)P.

---

(1): محمد الغزالي ، ظلام في الغرب، دار الشامية، ط: 1، بيروت:1999، ص:261.

(2): محمد عباس، قراءة النص و جماليات التلقي بين المذاهب الغربية و تراثنا النقدي، دار الفكر العربي ط:1 ، دمشق : 1996، ص:31.

(3): انظر ، علي سامي النشار، مناهج البحث عند مفكري الإسلام، و اكتشاف المنهج العلمي عند المسلمين دار النهضة العربية، بيروت: 1984، ص: 357.

لكن الأبحاث الغربية تجاوزت ذلك بـ:

- ربط النظرية بالخبرة و التطبيق
- ضبط المنهج و اتساعه
- ظهور معايير جديدة للتحليل و البحث
- امتلاك أدوات عملية، وعلمية، أكثر تطورا

أما الرافد الحديث، فقد قام على المنهج الوضعي بصفة خاصة الذي أسسه في القرن التاسع عشر الفيلسوف الفرنسي " أغوست كونت" (1798- 1856) الذي جعل العلوم الإ نسانية و اللغوية، تبنى على قواعد تجريبية و عقلية[1].

بحيث نشأت تلك العلوم بكل فروعها في ظل التجريب، و المعاينة المباشرة للظاهرة اللغوية، و حاولت أن تضع منهجا يعتمد النظرة العلمية، ليتجلى دور العقل و قدراته على الملاحظة، و التحليل، و الاستنتاج.

و ما لبث الأمر أن عرف منحى آخر، بعد ظهور المنطق الصوري الحديث Logique moderne أو ما يعرف بالوضعية الجديدة و ظهور جهود " لاينتس" أولا ثم "جورج بول"، و "شريدور"، و " فريجة"، و "بيانو"، و"رسل"، و" كارناب"[2] حتى أنه منذ التسعينيات، انتشرت دعوة لتشكيل جمعيات علم الأدب التجريبي تأثرا بفلسفة العصر و روحه.

إن التعمق في دراسة المذاهب الغربية، لن يتاح دون ربط بأصولها الفلسفية لأن ذلك يجعل التأثرأعمق من التشبث بالأعراض، و ظواهر الأشياء.

من هنا، فإن معرفة الأصول الفلسفية و الفكرية للدراسات اللغوية الغربية يؤدي إلى التعمق أكثر فيها، كما يسمح بغربلة النتائج التي يمكن الاستفادة منها لتطبيقها على كتابنا المقدس: القرآن الكريم.

---

(1): انظر، جميل الحاج، الموسوعة الميسرة في الفكر الفلسفي و الاجتماعي عربي – انجليزي، مكتبة لبنان ط:1، بيروت:2000، ص: 560-561.

(2): يسمى المنطق الحديث بالمنطق الصوري، أو الرمزي، أو الرياضي، أو الاستدلالي. انظر، عبد المنعم حنفي، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة علابية، انجليزية، فرنسية، مكتبة مدبولي، القاهرة :2000 ص: 842 و944.

انظر أيضا: ماهر عبد القادر ، نظرية المعرفة العلمية، دار النهضة العربية، بيروت: 1985، ص:26 و 31.

U3- بين مختلف المناهج اللغوية الغربية

كانت المناهج قبل الدراسات اللغوية الحديثة تقوم على الأحكام القيمية و النظرة الجزئية، لكن سرعان ما ظهرت دعوة تهتم بالعمل الأدبي في حد ذاته و كان الهدف هو تحليل العناصر المكونة للنص و إيجاد القواعد التي بني عليها و بمعنى أدق الوصف العلمي للنص، و إيجاد العلاقة التي تكون عناصرهP(1)P.

كانت البنيوية نظرة جديدة للانسان، و الحياة، و الكون، تبحث عن الحقيقة في هذا الكون، للوصول إلى تحديد عناصرها و مواقعها، و الكشف عن نظام الأشياء و الوجود. يفسر ذلك أن البنيوية لم ترتبط بعلوم اللغة فقط، بل امتدت إلى علوم الكمياء و الأحياء و الانثروبولوجيا و الإقتصاد و الاجتماع و السياسة، حتى أن هناك من عدها فرارا فكريا، جديرا بالاحترام في مواجهة قصور الماركسية و الوجوديةP(2)P

فكانت البنيوية، و كل ما تفرغ منها ردة فعل سياسي و عقائدي على الاتجاه الذي تبنته الثورة الروسية، وهو اتجاه يلغي العلية الغيبية، فجاءت الشكلانية الروسية و من بعدها البنيوية لتقف على خط مقابلP(3)P.

أما البنيوية في الأدب، فقد رأت اللغة نظاما يخضع لقوانين، يمكن الكشف عنها و تحليلها، و الكشف عن العلاقات التي بني عليها هذا النظام، و كانت البداية الأولى: كتاب "فرديناند دي سو سير" الذي يعد الأساس النظري الذي قامت عليه مختلف العلوم اللغوية، و البنيوية خاصة. حتى أنه يمكن القول بأن المدارس اللغوية الحديثة منذ " سو سير" حتى " شومسكي" تنتمي إلى علم اللغة البنيوي، بصورة أو بأخرى، لأنها جميعا تؤمن بأن اللغة عبارة عن نظام من العلاقات، تقوم على علاقات عضوية من التشابه و الاختلاف.

---

(1): Tzvetan Todorov, Poétéque de la prose, seuil, Paris : 1971, P : 11.

(2): انظر: اديت كروزويل، عصر البنيوية، من ليفي شتراوس إلى فوكو، تر: جابر عصفور، ط: 2، الدار البيضاء: 1986، ص: 15.

(3): انظر : عدنان حسين قاسم، الاتجاه الأسلوبي البنيوي في نقد الشعر العربي، مؤسسة علوم القرآن ط: 1 عجمان:1992، ص:7.

فالمنهج البنيوي يقوم أساسا على التسليم بوجود فوارق، و تنويعات بين العناعر التي تكون البناء، و هذا الاتجاه في دراسة اللغة، قد برز في فترة ما بين الحربين العالميتين، و تمثله عدة مجموعات في كل من أوروبا و أمريكا أهمها:

-1- مجموعة مدرسة جونيف: التي يتزعمها "دي سو سير"

-2- أعضاء حلقة براغ اللغوية: اهتمت خاصة بعلم اللغة الوظيفي

-3- أعضاء حلقة كوبنهاجن اللغوية: أطلق عليها اسم الجالوسيماتيك أتباع يامسفيلد.

-4- اللغويون الأمريكيون المرتبطون باسم ليوناردو بلومفيلد: اهتم هؤلاء بعلم اللغة الوصفي خاصة[1].

مـهدت بـعد ذلك البنيوية لظهور غيرها من العلوم اللغوية، ففي كنف البنيوية تولدت الأسلوبية، و هناك من يرفض ذلك، و يرى أن العلاقة بين البنيوية و الأسلوبية هي علاقة تواز، و هناك من يلتبس عليه الأمر، فيخلط بين مختلف المناهج النقدية الحديثة، و تياراتها الفكرية.

و الفرق بين الأسلوبية، و البنيوية يكمن في :<< أن الأسلوبية لا تتطاول على النص الأدبي فتعالجه، إلا ولها منطلقات مبدئية تحتكم فيها إلى مضامين معرفية، و علم الأسلوب يقتفي في ذلك ضوابط العلوم... أما البـنيـوية فـليست علما، و لا فنا معرفيا و إنما هي فرضية منهجية>>[2].

لذلك ظهر اتجاه حاول الجمع بين المنهج البنيوي، و المنهج الأسلوبي، هو الأسلوبية البنيوية. تجلى هذا الاتجاه في أعمال "ميكائيل ريفاتير" خاصة، و يلاحظ في هذا الشأن أن الكثير من المعايير، و الأسس التي تشكل نظريته تقوم على التمييز بين الأسلوب و اللغة، بحيث يرى ريفاتير أن اللغة تعبر، بينما الأسلوب يبرز و هو ما يمهد بعد ذلك للتمييز بين دور اللغوي، و دور الأسلوبي.

---

(1): انظر، أحمد مختار عمر، محاضرات في علم اللغة الحديث، عالم الكتب، ط:1، القاهرة:1995 ص:180-181.

(2): عبد السلام المسدي، الأسلوبية و الأسلوب، الدار العربية للكتاب، ط:2، تونس:1982، ص:6.

(3) : Riffaterre Michael : Essai de stylistique structurale, Tr : Daniel Delas Flammarios, France :1971, P :31.

<< فاللغوي مثلا يرى في النص كثيرا من الوقائع التي يمكن استخدامها لإعادة تكوين حالة ماضية من حالات اللغة، و الأسلوبي يحاول أن يعيد تكوين الأثر الذي أحدثه أسلوب نص ما في العصر الذي كتب فيه، و أن يصحح استجابات القراء المحدثين، طبقا لهذه الصورة المستعادة>>[1].

يتضح مما سبق بداية اهتمام علم اللغة بالمتلقي، و بعلاقته بالنص، هذا المتلقي هو مجموعة من القراء الذين يعيدون اكتشاف النص ، قبل أن يحلله بعد ذلك الأسلوبي.

كذلك اهتمت الأسلوبية التأثيرية بالمتلقي، و حاول الأمريكي " ستانيلي فيتش" أن يبين تفاعلات القارئ مع النص[2].

عرفت الأسلوبية نضجا و تطورا، بداية من الستينات من خلال أبحاث كل من: ج. كوهين، و ج. دريدا، و مولينه، و تودوروف، و غيرهم.

لكن بداية من السبعينيات، تطورت تلك النظريات، خاصة في المدرسة الباريسية بعد ظهور أعمال السيميائيين: رولان بارت، و برموند، و كورتيس، و غريماس و جوليا كريستيفا، و راستي.

و رأى هؤلاء السيميائيون أن الأسلوبية لم تستطع أن تحقق أهدافها في مقاربة النصوص مقاربة موضوعية، و لم تنجح أيضا في أن تتأسس على تعريف واحد، أو بالأحرى على نظام ابيستمولوجي، لذلك لم تعد الأسلوبية تمارس كمادة مستقلة، بل كثيرا ما تدمج في السيميائية[3].

عملت السيميائية بعد ذلك على تطوير رؤاها، و وسائلها المنهجية، و على تجاوز نقائص الأسلوبية.

---

(1): شكرى محمد عياد، اتجاهات البحث الأسلوبي، أصدقاء الكتاب، ط: 2، القاهرة:1996، ص:131.

(2): انظر: حسن محمد غزالة الأسلوبية و التأويل، و التنعيم، مؤسسة اليمامة، الرياض:1419، ص:70.

(3): انظر: ميشيل أريفيه، لوي بانيه، السيميائية، أصولها و قواعدها، تر:رشيد بن مالك، منشورات الاختلاف، الجزائر، ص:71.

4U- من السيميائية إلى علم النص

حاولت مختلف المناهج اللغوية منذ نشأتها التخلص من بعض النقائص، فكان كل منهج يظهر يحاول التخلص، و يعمل على تجاوز سلبيات المنهج الذي قبله ليكتسب موضوعية و علمية أكثر في مقاربة النصوص، فالأسلوبية مثلا نظرت إلى الجملة على أنها أكبر وحدة، و كان تحليل الأسلوبيين تحليلا جزئيا، لا يهتم بالبنية الموحدة لكل النص.

بينما رأت السيميائية أن النص علامة متكاملة، أو مجموعة متوالية من العلامات، فاستطاعت بذلك أن تقتحم مجال النص، و تؤسس لمفهومه، و يبدو التحليل الشامل للنص بشكل واضح من خلال التحليل بالمقومات السياقية التي تهتم بالسياق كله، و تحدد في النص أنواع التشكلات Isotopes التي تضمن تجانسه[1].
لكن يعاب على هذا التحليل أن المقومات ليست منحصرة بصفة نهائية، و ليست ثابتة، و تفرض معرفة موسوعية[2].

كذلك بدا الاهتمام واضحا بتماسك عناصر النص في السيميائية السردية لأنها تنظر إلى الحكي récit باعتباره أحداثا مترابطة فيما بينها <<و هكذا بدأ الحديث عن النحو الأصولي، والنحو السردي، و النحو النصي>>[3] الأمر الذي مهد لظهور لسانيات النص، و جعلها تستفيد من مكتسبات العلوم اللسانية، و إنجازاتها فقد استفادت من السيميائية في تحديد مستويات النص، حتى أنها حافظت على بعض مصطلحاتها: البنية السطحية، و البنية العميقة.

تجاوزت لسانيات النص التحليل الجزئي، و النظرة المبتسرة، و استفادت في هذا الشأن من بعض منجزات الأسلوبية و البنيوية. فمنذ أن اتكأت البحوث الحديثة على مصطلح " البنية" Structure و اكتشفت به التنظيم الداخلي للوحدات و علاقاتها، لم يعد من الممكن في الفكر الحديث التخلي عنه، خاصة أن مفهوم البنية مفهوم تجريدي، قابل للالتقاط على مستويات عديدة، تتدرج من الأبنية الصغرى إلى الكبرى حتى تصل إلى النص كله، باعتباره بنية[4].

---

(1): انظر مفهوم التشاكل Joseph courtes, Introduction à la sémiotique narrative et discoursive, Hachette, Paris :1976, P :50.

(2): انظر: محمد مفتاح، مجهول البيان، دار توبقال، ط:1، المغرب:1990، ص:27.

(3): سعيد بنكراد و مدخلإلى السيميائية السردية، منشورات الاختلاف،ط:1، الجزائر:1994،ص:27.

(4): انظر: صلاح فضل، بلاغة الخطاب و علم النص، عالم المعرفة، الكويت:1992، ص:133.

كان لا بد إذن من تطوير الوسائل المنهجية لوصف النص كله، و تحليله. لأن المناهج الأخرى بدت قاصرة في تجاوز حدود الجملة إلى ما فوقها، و الوقوف على دلالة النصوص، و البنية التي تحكمها، خاصة أن مفهوم البنية متوقف على السياق و العلاقات داخل النص.

U-5- علم النص

لم يجمع الباحثون حول مصطلح واحد لتعريف هذا العلم. فيطلق عليه علم النص، و علم اللغة النصي، و لسانيات النص Linguistique du texte و نحو النصGrammaire du texte ، و نظرية النص أيضا.

و تعود الإرهاصات الأولى لظهور هذا العلم إلى سنة1952. على يد "هاريس HARRIS، في كتابه تحليل الخطاب، ثم تطورت الدراسات النصية، في السبعينيات، و تبلورت النظرية مع "فان دايك" و ما لبثت أن أصبحت حقيقة راسخة مع المريكي "روبرت دي بو جراند ROBERT. DE BEAUGRANDE P(1)P"

يفسر ذلك تعدد المدارس، و اختلافها اختلاف المنطلقات، و الأهداف و اختلاف السياق التاريخي، و الإيديولوجي، و المناطق اللغوية، لكن ما لبثت هذه البحوث أن تقاربت فيما بينها، و استفادت من بعضعها بعضا.

الملاحظ أيضا أن الحواجز بين لسانيات النص، و غيرها من العلوم اللسانية و الدقيقة قد دكت. و أصبح هذا العلم يستفيد من الرياضيات و الذكاء الاصطناعي و علم النص المعرفي، و المنطق الحديث Logique moderne الذي يعد منطق الجمل فرعا منه، حيث تسمى قضاياه جملاP(2)P. لذلك أصبحت مقارنة النص تجمع بين ما هو لغوي، و بين ما هو غير لغوي، و يكون ذلك عبر مرحلتين:

- الوصف النصي - التحليل النصي

يكون الوصف وصفا لمكونات النص، ثم الانتقال إلى التحليل العميق للعلاقات بين الجمل، و الروابط الداخلية، و الخارجية التي تحكمها..، و غيرها من الخطوات، فعلم النص يهتم:

- بدراسة التراكيب الكبرى، الروابط و الانسجام.

- بدراسة التكرار، و التفريغ، و التراكيب الناقصة، و الخاضعة للحذف....

- بالتعلم، و الحفظ، و الترجمة، و غيرها.

(1): انظر، أحمد عفيفي، نحو النص، اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق، ط:1، القاهرة 2001، ص:11

(2): انظر، عبد المنعم حنفي، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، ص:842.

و تكون مهمة علم النص الكبرى، هي تحديد القواعد التي تجعل النص نصا. من هنا بدا الاختلاف بينا بين نحو النص و نحو الجملة، في أن نحو النص يدرس النص لاستخلاص القواعد منه لا من خارجه، في حين يدرس نحو الجملة الجمل معزولة عن بعضها بعضا، لذلك يتميز نحو الجملة:

- بالاستقلالية - بالمعيارية - بالإطلاق - بالاقتصار

و يشترك نحو الجملة مع نحو النص في أمرين مهمين هما: الربط Cohésion و الانسجامCohérence P(1) . لأن العلاقات المنطقية، و النحوية بين الكلمات، و الجمل هي أهم العلاقات.

6U- من مفهوم النص إلى مفهوم الانسجام:

تعددت مفاهيم النص و اتسعت بين مختلف الثقافات، العربية منها و الغربية. لكن هذا التعدد لم يمنع من وجود تصورات مشتركة، توحد الرؤى، و المفاهيم. فكلمة النص ذات الأصول اللاتينية، كانت تعني النسيجP(2)P.

أما كلمة النص العربية فتعني البروز، و الظهورP(*)P، و الارتفاع كما تعني أقصى الشيئ، و غايتهP(3)P .

نلاحظ اختلافا واضحا بين مفهوم النص في الثقافة العربية، و الثقافة الغربية. فالثقافة العربية رات في النص:

- إبراز لما خفي - التتابع - الانتقال من نقطة البداية إلى النهاية.

و يمكن الاستعانة بهذه الدلالات في فهم النص اصطلاحا فهما، يجمع بين ماهية النص و وظيفته، فماهيته تتحدد بنقطتي البداية و النهاية، بينهما وحدات تتابع، لكن ذلك لا يكفي، إذا لم يبرز النص ما كان خفيا و يفصح عنه و يبين، و رغم ذلك لم يغب عن الثقافة العربية الاسلامية اتباط مفهوم النص بالنسيجP(4)P.

(1): انظر، أحمد عفيفي، نحو النص، المبحث الخامس، ص:72- 75.
(2) : TEXTUS LE PETIT ROBERT DICTIONNAIRE DE LA LANGUE FRANCAISE FRANCE :1998,P :2243.
(3): انظر، أبو الفضل جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، ط:3، بيروت 2004، ج:13، ص:271- مادة نصص
(*): تقترب من مفهوم الارتفاع، كلمة سورة، و هو ما يجعلها تقترب من مفهوم النص، نعود إلى ذلك في الفصل الثالث من الدراسة النظرية.
(4): انظر في هذا الشأن، محمد مفتاح، المفاهيم معالم، المركز الثقافي العربي، ط:1، الدار البيضاء:1999، ص:20-21-22.

أما حديثا، فقد تعددت تعاريف النص، بسبب تعدد المنطلقات، و الغايات. فبعض التعاريف يقوم على مكونات النص الجملية، و بعضها على الترابط و بعضها يعتمد على التواصل النصي. و بعض رابع يعتمد على الإنتاجية الأدبية، أو فعل الكتابة، و بعض خامس يعتمد على جملة المقاربات المختلفة، و المواصفات التي تجعل الملفوظ نصاP(1)*P.

أكثر من هذا أصبح ضروريا التمييز بين مفهوم النص، كوجود فيزيائي منجز و الخطاب كموطن للتفاعل، و الوجه المتحرك من النص، و بعبارة أخرى فإن الخطاب في المفهوم اللساني هو كل نص يأتي نتيجة لعمل إرسال لساني، يقوم به مرسل ما، و يكون موجها بطريقة حتمية إلى قارئ أو سامع (فعلي أو متخيل)P(2)P.

المهم أن مختلف تلك الرؤى و المفاهيم المتعلقة بالنص، قد انطلقت من الدلالة الأولى، و من مفهوم النسيج Tissu. لتستدل به على مفهوم الانسجامCohérence بعد ذلك.

فالنص في تلاحمه و انسجامه كان نتيجة نسج و غزل، من هنا رأى "فان دايك" أن العلاقة التي تكمن بين مفهومي النص، و النسيج تتجلى في تلك الروابط التي تتشكل بين مستوى الجمل Micro-structure : البنية الصغرى و مستوى العلاقات بين الجمل Macro-structure : البنية الكبرىP(*)P.

الأمر الذي مهد بعد ذلك إلى تكوين المقاييس التي تفصل بين النص و غير النص، فكان أهم تلك المعايير الانسجام، الذي يشكل محورا أساسيا في الدراسات النصية الحديثة.

---

(1): أحمد عفيفي، نحو النص، ص :21، عن مفهوم النص و الخطاب، انظر:

JEAN DUBOIS, DIC DE LINGUISTIQUE 1er ED LAROUSSE, BORDAS GUEBEC 1994 DISCOUS P :150 TEXTE P :482.

(2): جورج مولينه، الأسلوبية، تر: بسام بركة، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر، بيروت:1999 ص:20.

انظر كذلك، سعيد يقطين، تحليل الخطاب، المركز الثقافي العربي، ط:2، الدار البيضاء: 1993 ص:19-20-21. انظر أيضا عبد المالك مرتاض، الكتابة و مفهوم النص، مجلة اللغة و الأدب، ع:8 الجزائر 1996، ص:11.

(*): نعود إلى ذلك في الفصل الموالي

7U- القرآن و الانسجام:

رغم كثرة الدراسات الغربية التي تهتم بالانسجام و لسانيات النص، فقد قل الاهتمام بدراسة القرآن من هذا الجانب، إلا بعض الدراسات الاستشراقية التي طغت عليها الذاتية، فابتعدت في نتائجها عن الإنصاف و العلمية.

رأى جل هؤلاء المستشرقين أن القرآن يتميز بـ:

- تعدد مواضيع السورة الواحدة.
- تكرار المواضيع نفسها عبر سور مختلفة، دون هدف.
- اختلاف ترتيب الترتيل عن ترتيب التنزيل.
- العلاقة بين السور، و العناوين علاقة اعتباطية.
- كثرة الفجوات بين الآيات، بسبب الانتقال المفاجئ.
- تناقض المحتوى بين بعض الآيات في السور.

ليصل هؤلاء في الأخير إلى أن القرآن كتاب غير منسجم، و بعبارة أخرى أن القرآن الكريم لم تتحقق فيه النصية، بسبب ما سبق ذكره.

غير أن من المستشرقين من كان منصفا، لم تنقصه النظرة العلمية المتأنية و الموضوعية الفاحصة، من هؤلاء المستشرقين الفرنسي " جاك بيركJACQUES BERQUE" الذي يرى أن القرآن يعرف ترتيبا خفيا Ordre cachéP(1) و يرى أن وحدة القرآن تتجلى في تنوعه، و أن المعرفة الدقيقة تقودك إلى الاقتناع أن تعدد المواضيع المطروحة، مرتبط بوحدة المجموع، حتى أنه يمكن القول أن القرآن في تلاحمه، و انسجامه، و وحدته، كالكلمة الواحدة، لأن انسجامه خفي.

اعتمد "جاك بيرك" تحليلا موضوعيا، حاول من خلال كتابه إعادة قراءة القرآن الكريم، و فتح آفاق جديدة لرؤى أكثر علمية، ذلك أن الدراسة المتأنية و البحث العلمي هما الوسيلتان الوحيدتان للوصول إلى الحقيقة.

حتى أنه يمكن الرد على هؤلاء المستشرقين الذين يرون أن القرآن كتاب غير منسجم، بدرسة تعتمد على منهج، يأخذ من المناهج الغربية الحديثة في تحليل الخطاب و بنتائج موضوعية.

(1) : JACQUES BERQUE, RELIRE LE CORAN,ED ALBIN MICHEL :PARIS :1993, P :20-21.

Uالبـاب الأول:

الانسجام في الدراسـات الغربيـة

Uالفصـل الأولU:

تبلور نظرية الانسجـام عند " فان دايك"

Uالفصـل الثـانيU:

تطور الجهود الغربية بين المدرسة الفرنكفونية

و

المدرسة الأنجلوأمريكية

U<u>الفصل الأول:</u>

تبلور نظرية الانسجام

عند " فان دايك"

1 - من أهداف "فان دايك"

2- مستويات تحليل الخطاب:

2-1- المستوى الصوتي و الصرفي
2-2- المستوى الدلالي السيمانطقي
2-2-1- شروط الربط بين القضايا
2-2-2- أنواع الروابط
2-2-3- الانسجام
2-2-4- البنيات الكبرى للنصوص
2-3- المستوى التداولي
2-3-1- النص و السياق
2-3-1-1- السياق النفسي الادراكي
2-3-1-2- السياق الاجتماعي
3- بين علم الدلالة و البراغماتية
4- علاقة الأفعال الكلية بالخطاب

فـــان دايــك ...... النـص انسجـــام

يتفـق معظـم البـاحثين فـي الدراسـات النـصية، حـول أهميـة جهـود الباحـث الهولندي " **فـان دايك**" (ولد سنة: 1943)، و إسهاماته في بلـورة نظريـة متطـورة عن علـم النص ، فقد تجاوز بأعمالـه نقائص المدرسـة الأنجلوساكسونية و المدرسـة الفرنـسية ، و استطاع أن يسمو إلـى مـا هـو عـالمي و إنساني << حتـى وصـل هـذا الباحث الهولندي و مدرسته إلى أهم نتائج دراسات الأبنية النصية الكبـرى و تناهيها مع البحوث البلاغيـة، و هـو المسار الـذي كانـت تتخذه أعمـال مجموعـات أخـرى مـن الباحثين في ألمانيا على رأسهم سبلنر SPILLNER >> P [1]P.

مرّت أعماله بمراحل و تطورت بداية من 1968 إلـى أيامنـا هـذه، حيث أولـى اهتماما في البداية بنظرية الأدب خاصة. لتبدأ رحلته مع نحو النص و نظرية البنيـة الكبرى و المنطق، و الانسجام بداية من 1970 ، ثم تصبح أعماله أكثر نـضجا بداية من 1980. لربطه علم النص بعلوم إنسانية مختلفة كعلم النفس وغيره P[2].P

لكن يمكن إبراز نظرية "فان دايك" من خلال بعض أعماله :

1 – النص و السيــاق 1977 .

2 – علــم النـــص : مدخل متداخل الاختصاصات 1980.

ذلك أن هذه الأعمال تعرض جلّ أفكاره و تلخص أهم النتـائج التـي توصـل إليهـا فيمـا يخص الانسجام ، خاصة أن الكاتب اهتم بهذه القضية في كتاباتـه مـا بـين الـسبعينيات و الثمانينيـات و قلّ إنتاجـه حولهـا بعـد ذلـك ، لينتقـل مـن الاهتمـام بالتحليـل اللـساني النصـي إلى التحليل الاجتماعي و السياسي للخطاب في التسعينيات.

---

(1) : صلاح فضل ، بلاغة الخطاب و علم النص ، ص : 251 .

(2) : انظر فان دايك ،علم النص ، علم متداخل الاختصاصات ، تر . سعيد حسن البحيري ،دار القاهرة للكتاب القاهرة ،2001 ، ص .482- 483.

1U - مـن أهداف " فــان دايـك" :

أول ما يمكن ملاحظته على أعمال "فان دايك" كسر الحاجز الذي يفصل علم الأدب عن علم اللغة ، ثم كسر الحاجز الذي يفصل علم اللغة عن مختلف العلوم و المعارف ، بحيث يرى أن تطور مختلف الفروع العلمية أثر على دراسة علم اللغة الذي أصبح هو الآخر يعرف تداخلا مع هذه العلوم ، و توسعا لمهامه و انشغالاته فقد أصبح علم النص يستفيد من علم النفس الاجتماعي، و الأنتربولوجيا ، و علم الاجتماع ، و علم القانون ، و علم التاريخ ، و الطب النفسي P(1)P

كما يلاحظ أن "فان دايك" يعرض نظريته بوضوح ، و بدقة علمية تعتمد في الكثير من الأحيان على التجريد ، لاتكائه في الوصف و التحليل على المنطق الصوري .

و كان هدفه من وضع قواعد لنحو النص واضحاً ، من خلال رؤيتين متكاملتين منسجمتين هما :

- النظر إلى النص من الداخل (بنيتـــه) .

- النظر إلى النص ، في علاقته مع المتلقي (وظائف النص)

.

فالهدف إذن هو توجيه النظرية اللسانية في اتجاه التداولية ، و كثيرا ما يعتمد في ذلك على نصوص بسيطة ، كالنصوص الإشهارية أو التجارية ، و نشرات الأخبار، و الخطاب البرلماني.

فلم يكن يهتم بجودة النص، و النص الأدبي الرفيع، بقدر ما كان يهتم بدقة الوصف و التحليل. الملاحظ أيضا أن جهود "فان دايك" تمس بشكل صريح مفهوم النص و وظائفه المتعددة و الأدوات الإجرائية لتحليله.

---

(1) : انظر المصدر السابق ، ص 37.

2U – مستـــويات تحليل الخطــاب :

تعــدّ اللـــسانيات أول العلـــوم الإنـــسانية التـــي اســـتعملت مفهـــوم النظـــام Le système و ما ترتب عنه ، و منحت بذلك التحليل الأدبي مقاربة منهجية و فعّالة.

ذلـك أن الـنص الأدبـي هـو علامـة Signe ، و نظـام Système ، كـل عناصره تتحدّ خدمة لهP P.

من هنـا يمكن تحليل الخطـاب إلـى مستويات، ثـم دراسـة البنـى المميـزة لكـل مستوى، فيكون اللقاء بين الوصف و التحليل، ولابد من أجل دلك من ضبط العلاقات التي تربط بين مستويات التحليل، لأن هذه المستويات تتكامل و تتداخل. يبدأ التحليل بالوصـف مـن الـصوت إلـى الجملـة إلـى مـا فـوق الجملـة، و الاسـتعانة فـي هـذا الـشأن بالعلوم التالية :

الصوتيات - علم الصرف - علم النحو - السيمائية .

و يمكن تمثيل ذلك في الخطاطة التالية :

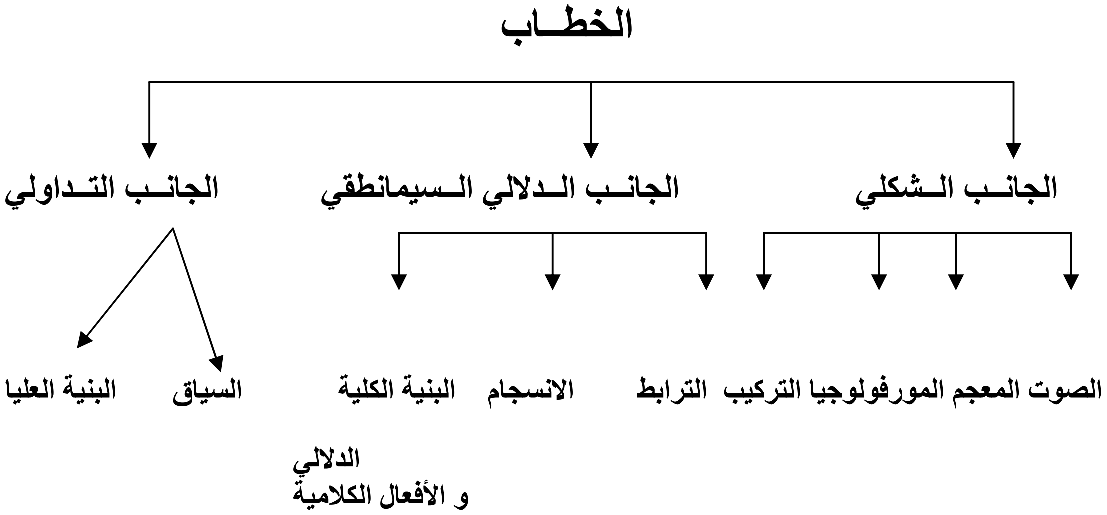

يرى "فان دايك"، كغيره من اللسانين في هذا المجال أن النص ليس متوالية من الجمل، بل هو مجموعة من الجمل تحكمها علاقات و روابط ، كما يرى أن الخطاب يدل على الفعل التواصلي، لذلك لابدّ من رصد العلاقات بين النص و السياق التواصلي، و بعبارة أخرى فإن البناء النظري للعبارات على المستويين الصوري و الدلالي، ينبغي أن يكمل و يتمم بالمستوى الثالث الذي هو مستوى فعل الكلام فالعبارة تحدد من حيث الصوت، و التركيب، و الدلالة، و من حيث تناسبها لمقتضى الحال بالنظر إلى السياق التواصلي [1] .

يبدأ الوصف بأول جملة ، ثم يؤدي وصف الجمل الأخرى إلى وصف النص كله أي أن الملفوظ النصي = سلسلة من الجمل = عددا من المقاطع .

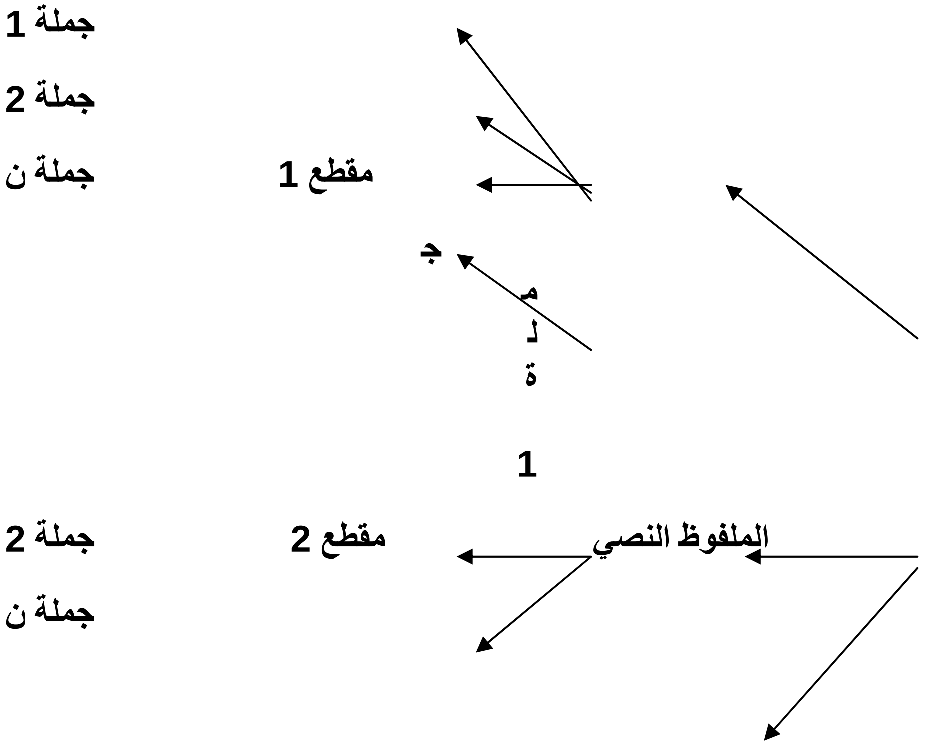

مقطع 3

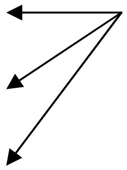

جملة 1

جملة 2

جملة ن

لكـن تسلـسل الجمـل يمكـن أن تتـرابط دون أن تحـصل فائـدة الانـسجام ، فـالربط و السلامة اللغوية للمقطع شرط غير كاف لقبول الخطاب ، إنما يكون المقطع مقبولا عندما يكون منسجما.

---

(1) : انظر فان دايك ، النص و السياق ، تر . عبد القادر قنيني ، إفريقيا الشرق ، المغرب 2000 ص : 18 — 19.

2U - 1 - المستوى الصوتي و الصرفـــي :

يمكن في الخطوات الأولى الاعتماد على الصوتيات لوصف بنية ما صوتيا يكون الاهتمام بالموجات الصوتية، أو اهتماما فيزيولوجيا بحركات الجهاز النطقي و دور الأصوات في الإيحاء بالمعنى.

لكن يمكن التعمق في دراسة المستوى الصوتي أكثر، و الوقوف على مواطن التنغيم و النبر التي تميز عناصر المقاطع ، كعوامل مساهمة في انسجامه .

إلاّ أن "فان دايك" لا يولي اهتماما كبيرا بهذا المستوى ، و بالمستويات الشكلية الأخرى :

- البنية الصوتية .
- البنية الصرفية للكلمات .
- البنية التركيبية للجمل .

أي بالبنى السطحية، بقدر ما يولي اهتمامه بالبنى العميقة، التي تتجلى في المستوى الدلالي السيمانطقي . كذلك لا يهتم بتأثير الجرس الموسيقي و إيحاءاته ، و تضام الصور الصوتية بعضها مع بعض لخدمة الدلالة .

تؤكد ذلك مؤلفات "فان دايك" نفسها، حيث يولي اهتماما بالغا بالبنية الدلالية لأن الدراسة الدلالية هي غاية الدراسات، و المستويات الصوتية، و الصرفية، و النحوية تتضافر معا لخدمة البنية الدلالية السيمانطقية في أخر الأمر.

2 - 2 - المستوى الدلالـي السيمانطقي :

يولي فان دايك اهتماما كبيرا بالجانب الدلالي لأنّه يبرز عددا ضخما من السمات النصية، كما أن الكلمات لا تظهر وظائفها، بشكل جلي إلاّ من خلال العلاقات الدلالية الخاصة بمركب ما أو جملة ما :

<< فعلى الرغم مما قيل من ورود علاقات مورفولوجية و تركيبية بين الجمل المتتابعة فإنّه يتضح أن العلاقات بين هذه الجمل ذات طبيعة دلالية في الغالب و من ثم يستند فيها إلى معنى الجمل و الإحالة >> [1].

و يرى" فان دايك" أن كل مضمون لجملة يدل على قضية Proposition [*] أو ما يسمى أيضا بالبنية العميقة .

<< فإذا وردت قضيتان - ق (و)ك - تفسران على أنهما الواقعة أ أو ب فإنّه يمكن أن نقول مؤقتا أن بين هذه القضايا يوجد رباط داخلي سواء عبر عنه من خلال أدوات ربط أم لا >> [2] .

العلاقات السيميائية الدلالية (الترابط) ← **معنوية** / **مرجعيـة**

إذن توجد قيود لتتابع الجمل ، تقوم أحيانا على العلاقات بين معاني الجمل ، و تقوم أحيانا أخرى على العلاقات بين إحالة الجمل .

---

(1) : فان دايك ، علم النص ، تر . سعيد حسن البحيري ، ص : 46 .

(*) : و هو مصطلح يوظف في الفلسفة و المنطق (الرياضيات) ، توصف القضية فيه بأنّها صادقة أو كاذبة يقابل مصطلح القضية : الجملة . يطلق مصطلح القضية على مجموعة من الكلمات من لغة طبيعية . و تمتاز الجملة بأنها لابدّ أن تكون صحيحة نحويا و دلاليا ، توصف صادقة أو كاذبة .

P.Fuchs, G.Reeb , Logique , Office des publications universitaire, Alger ; P :1

(2) : فان دايك، علم النص ، ص : 57 .

كما يتضح في الأمثلة التالية :

1 - لأن الطقس كان جميلا ، يدور القمر حول الأرض .

2 - حين كنت غنيا ، ولد هانز في بولونيا .

3 - نجح يان في امتحانه ، قضت والدته أجازتها في السنة الماضية [(1)] .

يلاحظ إذن أنّه لا يوجد أي ترابط دلالي بين الجمل السابقة ، لأن تأويل الجمل الأولى غير مرتبط بالجمل التي تليها ، و المقطع (1) ، غابت فيه العلاقة المعنوية فالجملة الأولى غير مرتبطة بالثانية من حيث المضمون ، أما المقطعان (2) و (3) غابت فيهما العلاقة الإحالية لأنّه لا بدّ من الربط بين تسلسل القضايا و العنصر المرجعي .

كما يتأكد من المثال التالي :

4 - نجح يان في الامتحان ، يعاني صداعا ، سافر إلى لندن .

يلاحظ أن المقطع السابق غير مقبول ، إذا نظرنا إلى الجمل بوصفها كلا لأن الأحداث لا علاقة لها ببعضها بعضا ، رغم أن الحديث عن شخص واحد هو "يان" .

<u>2 - 2 - 1 - شروط الربط بين القضايا:</u>

إنّ الربط السيمانطقي بين الجمل هو ربط بين القضايا ، يكون هذا الربط بمختلف أدواته بتطبيق ما ورد في بعض أبواب النحو من العطف ، و أدوات الشرط الظروف .

لكن هذا الربط يخضع للشرطين الآتيين :

1 - إنّ الربط بين القضايا يفرض تجانسا بتعلق الأحداث ، كما يتبين ذلك من المقطع و هو ربط يهتم بالتركيب المنطقي خاصة [(2)] .

2 - إنّ الربط بين القضايا يفرض أيضا أن تكون هناك علاقات بين معاني الجمل كما تكون بين إحالة الجمل المقطع (1) ، (2) .

---

(1) : انظر ، فان دايك ، ص : 48 .

(2) : انظر ، محمود يعقوب ، شبهات التجريبية المنطقية ضد الميتافيزياء ، مجلة دراسات فلسفية ، السنة 1 ع : 1 ، السداسي الأول 1996 ، الرجوع إلى نظرية التركيب المنطقي ، ص: 104 .

لكن الأحداث التي سبق ذكرها في المقاطع السابقة هي أحداث تنتمي إلى الواقع الخارجي و يوجد إلى جانب ما يسمى بالواقع العقلي الخارجي ما يسمى بالوقائع البديلة ، أما المصطلح الفني النمطي للواقع فهو عالم (ممكن) [1].

ذلك أن عالمنا الفعلي هو واحد من مجموعة عوالم ممكنة ، يمكن أن تحدث فيها مجموعة من القضايا ، و يجوز في بداهة العقل أن نصفه بحدود و ألفاظ من نحو المقام ، الموقف ، الحال [2]

فمفهوم العالم الممكن و مفهوم القضية مفهومان متلازمان ، ذلك أن القضية ما هي إلا تصور محدد و هو تصور لواقعة ممكنة في جملة معينة يعبر عنها في سياق محدد و لذلك ربما يبرز الربط بوقائع ملموسة في عوالم ممكنة معينة [3] .

فترتبط قضيتان بعضهما ببعض ، حين ترتبط الوقائع أيضا ، و لذلك فالمقطع (1) غير مقبول : لأنّه لا توجد علاقة في عالم ممكن بديل بين دوران القمر و واقعة جمال الطقس ، غير أن معرفتنا بالواقع و تفسيرنا له يقومان كذلك على أسس عرفية عامة .

فبالنسبة لبعض المتحدثين قد ترتبط واقعتان في حين قد لا ترتبط عند آخرين أي أن شروط الترابط لم تعد دلالية فحسب ، بل براغماتية و نفسية أيضا.

ذلك أن أدوات الربط لا تقتصر على توضيح العلاقات بين الوقائع فحسب ، بل توضح العلاقات بين الأفعال الكلامية .

كذلك تتعلق شروط الترابط الدلالية بمعارفنا العامة ، و يطلق هذا على وحدات من نمط المعلومة التصورية على المواقف و الأحداث النمطية المحددة : الأطر Frames [4] [*] .

---

(1) : انظر ، علم النص ، ص : 50 . عالم ممكن : مصطلح فلسفي ، و مفهوم صوري .

(2) : انظر ، فان دايك ، النص و السياق ، ص : 52 .

(3) : انظر ، المرجع نفسه: ص : 53 .

(*) : مفهوم الإطار ، ارتبط أكثر بالذكاء الاصطناعي لفهم اللغة الخاصة .

(4) : انظر ، فان دايك، علم النص ، ص : 58 .

و الإطار هو تنظيم للمعرفة ضمن مواضيع مثالية Prototype ، و أحداث قالبية Stéréotype ملائمة لأوضاع خاصة ، و معنى هذا أن الذاكرة الإنسانية تحتوي على أنواع من المعارف المنظمة في شكل بنيات مفهومية ، مكونة من سلسلة من القضايا المرتبطة . و حينما يواجه الإنسان سلوكا أو حدثا أو يريد أن يقوم بذلك فإنّه يستمد من مخزون ذاكرته أجزاء البنية لتأويل ما وقع أو لإنجاز ما يريد P(1)P .

كما يتبن ذلك في المثال التالي :

تأخر عن موعده ، كان الطريق مزدحما بالسيارات .

فحتى يكون هذا المقطع منسجما ، يجب أن يرتبط بمعرفتنا العامة ، و يحدد الإطار كجزء من الأحداث التي نعرفها .

إن دور الإطار في المقطع السابق هو الربط بين الجملتين مما يساهم في فهمه و تأويله و انسجامه ، ذلك أن صفة الانسجام و الملائمة متضمنتان في الربط و يشكل مفهوما هما عنصرين ضروريين ، و لكنهما غير كافيين في تعريف صفة التعلق بين القضايا P(2)P .

فالقضايا تتعالق من خلال رباط داخلي سواء عبر عنه بأدوات الربط، أم لم يعبر عنه.

U2 - 2 - 2 - أنواع الروابـــط :

قد يكون النص قضية واحدة أو أكثر من ذلك ، و عندما ترتبط (ن) من القضايا ، يمكن أن نطلق عليها مصطلح الرابطية ، أو المربوطية ، و قد تستعمل عبارات في المنطق المعاصر و هي لفظة المناسبة P(*)P . إلاّ أن هذا المصطلح يرتبط ببعض الخصائص التداولية للقضايا، و تقوم المفاهيم في نظرية المناسبة بدور مهم في تشكيل السياق و في توليد بعض قواعد الاستدلال، و هي تمثل نقطة تقاطع بين اللغة ، وإدراك الواقع P(3)P .

إن وجود الروابط لا يعني دائما أن الجمل مترابطة ، كما أن عدم وجوده ، لا يدل على غياب الربط بين الجمل ، و بهذا الاعتبار فإن الربط يدل على أنواع الترابط : أي الاستلزام المنطقي ، من تعليل وسببية، و وصل، و فصل، و غيرها .. .

---

(1) : انظر ، محمد مفتاح ، مجهول البيان ، دار توبقال للنشر ، ط : 1 ، المغرب 1990 ، ص : 68 .
(2) : انظر ، فان دايك ، النص و السياق ، ص : 87 .
(*) : عن علاقة هذا المصطلح بما عرف في التراث العربي الإسلامي عن المناسبة، انظر الفصل الأخير من البحث، ص: 97.
(3) :انظر، آن روبول ،جاك موشلار ، تر. سيف الدين دغفوس ، محمد الشيباني ، المنظمة العربية للترجمة ط:1 لبنان 2003. ص 137.

المهم أن أدوات الربط تنقسم إلى :

- روابط دلالية . - روابط براغماتية .

لأن أهداف هذه الروابط تتعلق بـــ :

- توضيح العلاقات بين الوقائع - توضيح العلاقات بين الأحداث اللغوية

تتشكل العلاقة بين الوقائع باستخدام أدوات الربط ، منها السببية مثل :

لأن ، و إذا ، و هكذا ، و الظروف : من ثم ، و على ذلك ، و تبعا لذلك .

و يمكن تلخيص أدوات الربط عامة في :

1 ـ الوصل التشريكي : الواو ، أو .. لأن ، من أجل أن .

2 ـ الظروف الاسمية و الحرفية : مع أن ، بالرغم من أن .

3 ـ مختلف الصيغ ، أسماء أو أفعال أو حروف أو صفات : ترتب عنة ذلك ، من هنا

4 ـ التنغيم و تمديد طبقة الصوت : أنت تعلم ، أليس كذلك .

و قد اهتم النحو التقليدي العربي و الغربي بمختلف الروابط السابقة، كاهتمامه بالفصل، و الوصل، و الظروف الزمانية، و المكانية، و غيرها. تؤكد كتب النحو و البلاغة هذا الاهتمام.

لكن" فان دايك" يضع شروطا لتلك الروابط، وهي شروط زمانية و مكانية و الارتباط بمحل التحاور الذي هو موضوع الارتباط، خاصة أن أدوات الربط قد يكون لها أكثر من خاصية دلالية و تداولية ، و يرى أن تلك الروابط يمكن أن تؤخذ على أن بعضها منظم لعالم الخطاب، و بعضها الآخر منظم للخطاب نفسه ، هذا التميز يمهد للتفريق بين الروابط السيمانطقية و الروابط التداولية .

بحيث أن الوظائف السيمانطقية لأدوات الربط تعتمد على ربط الأحداث، بينما تقوم الوظائف التداولية على تعليق [*] الجمل أو القضايا [1] .

(*) : يلاحظ أن فان دايك كثيرا ما يوظف مصطلح التعليق في وصف الربط بين الجمل ، نعود إلى هذا المصطلح مع الجرجاني ، الفصل الثالث ، ص : 108

(1) : انظر ، فان دايك ، النص و السياق ، ص : 129 .

2U – 2 – 3 – الانسجام UPU(*)UPU :

الانسجام خاصية سيمانطقية للخطاب ، قائمة على تأويل كل جملة مفردة بتأويل الجملة التي قبلها و بعدها ، و هو أهم من الترابط، لأنّ الترابط الذي نوقش سابقا لا يشكل إلاّ جانبا من جوانب الانسجام.

و لتوضيح ذلك نأخذ المقطع التالي :

<< اتخذت كلير راسل طريقها إلى المكتب في كلاريون في هذا الصباح الباكر، و هي تشعر بالإعياء و الكآبة و اتجهت توا إلى غرفة العمل فوضعت قبعتها، و زينت وجهها بأن ذرت عليه مسحوقا ثم جلست إلى الطاولة . .. لقد كانت حقيبتها ممددة في ترتيب و كانت منشفتها باردة كالثلج و المحبرة مملوءة، إلاّ أنها لم تكن راغبة في العمل ... >> P[1]P .

إنّ المقطع السابق مقطع منسجم لشروط تحققت فيه أهمها :

1 – المحدد الأول هو الذاتية الشخصية : كلير راسل = هي .

2 – خاصية التضمين و الانتماء، الجزء - الكل .. ذلك أن الغرفة يجوز أن تكون جزءا من المكتب، و الطاولة جزءا من المكتب و غيرها.

3 – تعالق الجمل و القضايا : اتخذت ، اتجهت ، تشعر .. ، ينبغي أن تكون الجمل المتوالية مرتبطة في نظام حتى يصير المقطع منسجما.

4 – يقوم الانسجام أيضا على افتراض الحالة السوية الاعتيادية للعوالم المقتضاة : أي معرفتنا بجريان الأحداث.

إن الانسجام السابق هو انسجام أفقي ، لأنّه يوضح العلاقات بين قضايا متتابعة .

(*) : هناك من يستعمل مصطلحات أخرى كالاتساق ، و هناك فرق بين المصطلحين ، لأنّ الانسجام أعم من الاتساق .انظر ، محمد الخطابي ، لسانيات النص ، مدخل إلى انسجام الخطاب ، المركز الثقافي العربي ، ط : 1 الدار البيضاء 1999 ، ص : 5 .

(1) : فان دايك ، النص و السياق ، انظر تحليل المقطع هذا و المقاطع التي تليه ، ص : 143 إلى 150 .

تتحدد علاقات هذا الانسجام الأفقي انطلاقا من :

1 ـ ترابط المحيلات النصية لقضيتين، أو أكثر من خلال التطابق في العالم نفسه أو عوالم بديلة أو من خلال علاقة أخرى محددة مثل : جزء ، كل ، ملكية ... .

2 ـ ترابط المحيلات النصية .

3 ـ ترابط العوالم الممكنة (زمان ، مكان ، ...) [(1)].

لكن إذا كان بالإمكان الكشف عن العلاقات بين الجمل في النص ، فإنّه من الممكن التقدم خطوة أخرى مهمة، و عدم الاكتفاء بتتابعات الجمل ، و بالترابط الأفقي ، بل الاهتمام بأوجه الترابط التي ترتكز على النص بوصفه كلا ، أو على كل الوحدات الكبرى للنص ، و يطلق على هذه الأبنية النصية مصطلح الأبنية الكبرى Macrostructures .

2 ـ 2 ـ 4 ـ البنيات الكبـــرى للنصــوص :

يمكن أن ينتقل التحليل من مستوى تحليل المقاطع الجملية إلى مستوى أعم و أشمل ترتيبا و نظما ، هو مستوى البنيات الكبرى الشاملة ، و موضوع النص هو ما اصطلح على تسميته بالموضوعة أو التيمة Théme ، و المفهوم النظري الذي يستخدم لوصف هذا المعنى الشامل هو مفهوم البنية الكبرى [(2)] . و تحمل هذه الأخيرة الدلالة الشاملة للنص ، وتلخص موضوع في يسر و اقتصاد .

و هي بنية سيميائية دلالية، لذلك لا تختلف البنية الكبرى من الناحية الشكلية عن البنية الصغرى فهي تتكون أساسا من قضايا ، و من ثم فإنّ مفهوم البنية الكبرى مفهوم نسبي ، فهو يميز بنية ذات طبيعة عامة، نسبيا بالنظر إلى أبنية خاصة على مستوى < أدنى > أخر [(3)] .

---

(1) : انظر ، فان دايك ، علم النص ، ص : 72 .

(2) : انظر ، عبد القادر بوزيدة ، فان دايك و علم النص ، مجلة اللغة و الأدب ، ع : 11 ، الجزائر ، ماي 1997 ، ص : 23 .

(3) : انظر ، فان دايك ، علم النص ، ص : 75 .

أي أن البنية الكبرى في نص، قد لا تكون كذلك في نص آخر ، و يمكن تحديد ذلك بسؤال جوهري :

ما هو موضوع النص ، أو موضوع الخطاب ؟ أو موضوع الحوار ؟ أو ما يشبه ذلك.

و يمكن الإجابة عن هذا السؤال بأن تقدم تيمة أو موضوعة النص ذلك، و قد يكون العنوان جزءا من البنية الكبرى ، خاصة في الصحف.

تحتاج الأبنية الصغرى إلى قواعد لعمل الربط بينها و بين الأبنية الكبرى، إذ الأمر يتعلق بأبنية دلالية قضوية تتشكل بوصفها سلاسل من قضايا مرتبطة بسلاسل أخرى، يطلق على هذا النمط من القواعد ناقلات، فهي تنقل سلسلة من قضايا إلى سلسلة قضايا أخرى [1] ، (و تقوم بتنظيم معلومات النص و تفسيره).

يستطيع مستخدمو اللغة أن يستنبطوا تيمات النص، أو يقدموا اختصارات له بناءا على قواعد عرفية هي القواعد الكبرى، و تتمثل هذه القواعد الكبرى في : الحذف ، الاختيار ، التعميم التركيب أو الإدماج [2] .

(يظهر الحذف من الخاص إلى العام في القضايا المتتابعة في القضايا غير مهمة و التعميم : الإطلاق) .

و لذلك فالقواعد الكبرى تميز ما هو رئيس و ما هو ثانوي في النص و ترتبط بمفهوم الإطار و في الكثير من الأحيان يتفق القراء حول أهم تيمات النص، لكن قد يختلفون حول نص ما، نظرا لأن لكل قارئ في كل فترة معارف، و آراء، و مواقف و اهتمامات، و مهام، و أهداف [3] .

أما دور البنية الكبرى في النص فهو تحقيق الانسجام الكلي في المستوى الدلالي السيمانطقي، يظهر ذلك في رد فعل القارئ أو المستمع، و عدم قبوله للنص يفتقر إلى بنية كلية تجمع شتاته، و توحّد مقاطعه.

---

(1) : انظر ، المرجع السابق ، ص : 77 .

(2) : انظر ، المرجع نفسه ، ص : 80 – 81 .

(3) : انظر ، المرجع نفسه ، ص : 94 .

2U - 3 - المستوى التـداولـــي :

ما دام المستوى الدلالي قد سمح بتحديد أوجه العلاقات بين الجمل، و المقاطع فإن المستوى التداولي سيدرس العلاقات بين النص و السياق، من خلال نظرة عميقة لبنيـة السياق خاصـة بحيث يقوم المستوى التداولي بدراسة الترابط بين النص و عناصر الموقف الاتصالي الذي يرتبط به على نحو منهجي : إذ تشكل هذه العناصر معا السياق.

لكن ما هو السياق ؟ و كيف نحدده ؟

لا توجد إجابة بسيطة يمكن أن تقدم عن السياق، بل هناك نظريات مختلفة ترتبط بعلوم شتى منها اللغوية، و الانتربولوجية، و الاجتماعية.

السياق هو المحيط ، أي الوحدات المتتالية، محددة في الأخير، و هو ما يعرف بالسياق الفعلي . السياق هو أيضا الشروط الاجتماعية التي تفسر موقفا اجتماعيا و موقفا لسانيا، أي السياق الاجتماعي.

و يقال أيضا السياق الموقفي (المقام) ، و سياق الموقف : معطيات تتعلق بالمتلقي و المتكلم حول مواقف ثقافية و نفسيةP(1)P .

أما السياق تداوليا فقد عرّفه" سبربر" و" ولسن" على أنّه جزء صغير من المحيط المعرفي لفرد ما في لحظة ما، فهو لذلك ليس أمرا معطى دفعة واحدة، إنّما يتشكل قولا إثر قول. يتشكل السياق من المقدمات المنطقية انطلاقا من مصادر شتى كالمعارف الموسوعية و إدراك المقام وتأويل الأقوال السابقة P(2)P .

من هنا تعددت أنواع السياقات، التي ترتبط ارتباطا وثيقا بالوظائف التي يؤديها النص : فهناك السياق التداولي، و السياق المعرفي ، و السياق النفسي، و السياق الإدراكي ، و السياق الثقافي، و السياق الاجتماعي، و تعمل البراغماتية على دراسة هذه السياقات في علاقاتها مع النص كما أنها تتآزر معا في تحليل النص .

(1) : Dictionnaire de Linguistique, Jean Dulois.

(2): انظر ، آن روبول ، جاك موشلار، التداولية اليوم ، ص 77 ، و ص 87

2U – 3 – 1 – النص و السيــاق :

لا يمكن الكشف عن وظائف النص ، دون معاينة السياق لذلك فإن أهم أهداف البراغماتية هو أن تبين كيف تترابط المنطوقات من خلال السياق ، أي تميز أوجه الربط بين النص و السياق و من أوجه الربط هذه ما يندرج ضمن مجال الدلالة السياقية ، و هي تعبيرات تحيل إلى مكونات السياق الاتصالي و هي : المتكلم و السامع ، و زمن المنطوق و مكانه ... الخ P[(1)]P.

تعد هذه من أهم مكونات السياق، لأنها تقوم بدور كبير في تأويل النص. و << التأويل التداولي ليس أمرا يضاف إلى التأويل اللساني لتحديد ما تمّ تبليغه و الاستلزامات الخطابية في التأويل اللساني يحدد ما قيل القضية المعبر عنها، إنّ التداولية تتدخل سلفا لتحديد ما قيل، و لا تقتصر على ما تمّ تبليغه >> P[(2)]P .

تشكل بعد ذلك العلاقات الدلالية، أو العلاقات التداولية بين النص و سياق ما يسمى بالأفعال الأدائية (الإجرائية) . كأحداث تنجز من خلال نطق الجمل في سياق ملائم كالنصح، و الوعد، و الأمر ... و غيرها P[(3)]P. من هنا فإن مختلف الأفعال الكلامية تتوزع بين أفعال كلامية نفسية، و أفعال إدراكية، و أفعال اجتماعية و أفعال ثقافية. يفسر ذلك تعدد السياقات نفسها .

كذلك أصبحت لسانيات النص تهتم بكيفية فهم النص، و تأويله، و كيفية اختزان المعلومات النصية في الذاكرة، و كيف يربط المتلقي بين قضايا النص و تأثير الوضعية الاجتماعية و التاريخية و الثقافية في النص ، و غيرها .

و لا تكتفي لسانيات النص بإيضاح ذلك ، بل تحاول أن تكشف:

كيف يؤدي النص إلى بناء الرغبات و الأفعال ؟

و كيف يغير سلوك المتلقي أيضا ؟ .

(1) : انظر ، فان دايك ، علم النص ، ص : 135 – 136 .

(2) : آن روبول جاك موشلار ، التداولية اليوم ، ص : 99 .

(3) : انظر ، فان دايك ، علم النص ، ص : 137 .

2U – 3 – 1 – 1 – السياق النفسي الإدراكي :

لدراسة كل العلاقات بين المنطوقات اللغوية، و عمليات الاتصال، و التفاعل فإنّه يجب أن يعد علم اللغة النفسي، و علم اللغة الاجتماعي، و جزء كبير من علم النفس، و علم الاجتماع ضمن البراغماتية P(1)P .

لأنّ هدف البراغماتية في الأخير هو الكشف عن العلاقات بين النص، و السياق الذي يعد مجرد موقف اتصالي .

و تقوم الجوانب السيكولوجية، بدور كبير في فهم النص و إدراكه و تفسيره لذلك قد نتسأل :

لماذا تُختزن في الذاكرة معلومات بعينها و تَضيع أخرى غالبا ؟ و كيف ترتبط هذه العملية بفهم النص و بطبيعة النص و بطبيعة المعلومات أيضا ؟ و غيرها من المشكلات السيكولوجية الإدراكية التي قد تطرح .

يوصف مجال السيكولوجية الإدراكية، بوجه عام بأنّه مجال الوظائف المعقدة كالفهم و الكلام، و التفكير، و حل المشكلة، و التخطيط، و الاستعاب، و غيرها P(2)P .

و تؤكد البحوث السيكوفيسيولوجية دور الفصوص الجبهية في تنظيم العمليات النفسية كالإدراك و التخييل و التفكير P(3)P . ذلك أن إنتاج النص، أو فهمه، و استعابه يخضع لعوامل نفسية وفيسيولوجية. فالحالة العاطفية كالتوتر، أو السعادة، أو اضطرابات عصبية ذات تأثير واضح عند استيعاب النص، أو تأويله.

إنّ استيعاب النص لا يتعلق فقط بفهمه، بل يتعلق بعمليات إدراكية أخرى و هنا يبرز دور الروابط بين معلومات النص و المعارف السابقة.

لكن هناك مسارات و خطوات قبل استعاب النص .

---

(1) : انظر ، المرجع السابق ، ص : 114 .

(2) : انظر ، المرجع نفسه ، ص : 257 .

(3) : انظر ، عبد الوهاب محمد كامل ، علم النفس الفيسيولوجي، مكتبة النهضة، ط:2 ، القاهرة 1994 ص : 235 .

تتجلى الخطوة الأولى في أن مستخدم اللغة قادر على عزل وحدات متميزة في التتابع الصوتي، فيقطع إشارات من هذا الأخير، كما هو الأمر في الكتابة التي تقوم على تقطيع التتابع إلى حروف و كلمات.

ثم يظهر في المسار الثاني، و الخطوة الثانية التصنيف إلى مقولات و تجريد العلامات، و يكون ذلك على مستوى الفونيمات و على مستوى الكلمات، و غيرها بحيث تلحق صورة لفظية (مورفيم) بصورة معينة للأصوات و في الوقت نفسه يحدث تصنيف نحوي أولي : تلحق صورة لفظية معينة بمقولات نحوية معينة مثل : الأداة ، أو الاسم .

و بناء عليه يتجلى مبدأ ثالث، يقوم على تآلف الوحدات الصغرى، و هكذا فمبدأ الائتلاف صالح لفهم المورفيمات لأن الفونيمات تتوالى، و لفهم أجزاء الجمل لأن المورفيمات تتتابع [1] .

ثم يأتي مبدأ التفسير و يكون بربط معنى معين محدد عرفيا، بصفة الكلمة و أجزاء الجملة، و الجمل أيضا، بحيث يقوم مستخدم اللغة على توظيف ذاكرته لربط الصيغة اللفظية بالمعنى الممكن أو المعاني الممكنة.

في الأخير يكون استعاب المعلومات بعد عمليات عقلية هي :

- التقطيع (التجزئة) .
- التصنيف إلى مقولات .
- التـأليف .
- التفسير .

و الملاحظ أن الوحدات لا تفسر وحدها، بل العلاقات بينها، و يكون استعاب العلاقات النحوية مثلا، و العلاقات الدلالية، دون الفصل بينها، حتى المبادئ الأربعة لاستعاب المعلومة لا تأتي بشكل متعاقب، بل كثيرا ما تكون مترابطة بعضها ببعض [2] .

---

(1) : انظر ، فان دايك ، علم النص ، ص : 262 .

(2) : انظر ، المرجع نفسه ، ص : 263 .

وتقوم الذاكرة بدور كبير لاستعاب النص، لأنّ مستخدم اللغة يوظف معلومات سابقة لفهم الكلمات و أجزاء الجمل التي تمر معه، و هناك نوعان من الذاكرة : ذاكرة المدى القصير و ذاكرة المدى الطويل، بحيث يلاحظ أن البنية الدلالية عادة ما تبقى مدة أطول تحت التصرف لإنشاء علاقات الربط النحوي و التماسك الدلالي بالمعاني السابقة، و اللاحقة للجملة، بل لبناء المعرفة على المدى الأبعد .. و لذلك يطلق الذاكرة الدلالية على ذاكرة المدى الطويل [(1)]*. تكون طاقة ذاكرة المدى القصير محدودة، حيث لا تبقى فيها المعلومات إلا 30 إلى 40 ثانية لتنتقل بعدها إلى ذاكرة المدى الطويل، أو تمحى، و تتخذ المعلومات التي تتعلق بذاكرة المدى الطويل شكل ملخص[(2)] أي البنية الكبرى.

و مع ذلك قد يختزن المرء في ذاكرة المدى الطويل، معلومات ذات بنية سطحية (مثل الحفظ الحرفي لما يقوله شخص أو نصا غنائيا)، كما يمكن أن تبقى لوقت قصير في ذاكرة المدى القصير معلومات دلالية.

و تشكل الأطر جزءا من الذاكرة الدلالية العامة، و هي لا تتعلق بقواعد و قوانين و أعراف و أشخاص، و أدوار و وظائف فقط، بل لها دور في المواقف الاجتماعية، لأنّ معرفة الإطار تساهم في تفسير بعض المواقف، و الأحداث الاجتماعية. و كمثال على ذلك : الأكل في المطعم، و السفر بالقطار، و التسوق. هذه أطر تحدد أحداثا مقولية: كما أن المعرفة الأطرية ذات أهمية بالغة لفهم النص أيضا.

إن فهم النص كله يحتاج إلى نظرية إدراكية للاستعاب اللغوي، و يلاحظ أن مستخدم اللغة يمكن أن يتذكر بلا مجهود كبير المضمون العام للنص، أي البنية الكبرى، لأنّه يهتم أولا بمعلومات النص. قبل أن يهتم بالجوانب المورفولوجية أو الفونولوجية، أو المعجمية، أو التركيبية في النص، أي قلّما يهتم بالبنية السطحية.

أما فهم تتابعات جملية، فيتعلق بقدرة مستخدم اللغة في التحكم في العلاقات بين القضايا للربط بين هذه القضايا ربطا متماسكا، لأنّه يلاحظ أن المرء يستطيع حفظ الكلمات و الجمل، و إعادة إنتاجها كلما كانت مترابطة نحويا و دلاليا، في حين... يصعب عليه ذلك إذا غاب الانسجام و الترابط.

---

(1)* : هناك أ نواع مختلفة من أنماط الذاكرة، ذاكرة ترتبط بالاثرالمباشر للمعلومات الحسية. ذاكرة ذات المدى القصير ، ذاكرة ذات المدى الطويل، وقد توجد أنواع أخرى غير معروفة. انظر: عبد الوهاب محمد كامل علم النفس الفيسيولوجي، ص180.

(2): فضاء الأنترنت : www.Arches.ro/revue/n4/Comment peut on être lecteur?

<< و تقوم الذاكرة اللفظية المنطقية بإدراك العلاقات المنطقية بين عناصر المادة المتعلقة >> [1] ، فهذا النوع من الذاكرة يسمح باسترجاع الألفاظ للتعبير و إيجاد الروابط المنطقية فيها. و تتحقق علاقات الترابط التي تؤثر على عملية الحفظ، و التذكر و الفهم أيضا في :

-1- علاقات الربط الأساسي بين القضايا ككل .

-2- علاقات التماسك بين عناصر القضايا ، من خلال :

- مطابقة ، مثل: الشاب هو .. .
- علاقات إحالية: من خلال الضمائر ، مثل الشاب ... يداه .
- علاقات محمولية : تعود إلى موضوع واحد : الشاب ... اشترى تذكرة ... سافر .. .
- علاقات زمانية : اشترى ... سافر .
- علاقات صيغية : ترابط العوالم الممكنة أو العالم نفسه .

-3- موضوع عام : أي البنية الكبرى [2] .

من أجل ربط المعلومات بعضها ببعض، لابدّ من إيجاد ابتداء قضية كبرى أو عدة قضايا تتماسك دلاليا، و ربطها نحويا، إضافة إلى ملء الحلقات المفقودة من خلال معلومة الإطار، أي أن هناك خطوات للربط بين المعلومات و تفسيرها :

تكون البداية بربط معلومة جديدة بمعلومة سابقة و عند الفهم تتشكل بنية المعلومة النصية في الذاكرة الدلالية. أما اختزان المعلومات النصية في الذاكرة، فيجعل البنية النصية فيها تتكون من مستويات مختلفة مترابطة بعضها ببعض، مستوى السلسلة القضوية التي تترابط من خلال علاقات تماسك دلالي أفقي في غالب الأمر و مستوى البنية المتدرجة بوصفها عنوانا ثم مستوى البنية الهيكلية المتعلقة بالقضايا الكبرى [3].

---

(1) : عبد الوهاب محمد كامل ، علم النفس الفسيولوجي ، ص : 174 .

(2) : انظر : فان دايك علم النص ، ص : 278 .

(3) : انظر :المرجع نفسه، ص : 283 – 284 .

إن الاهتمام بالنص يؤثر على حفظه و تذكره، و استعابه أيضا، و هو يختلف باختلاف الشخصية و الوقف، لكننا غالبا ما نحتفظ بالموضوعات مدة أطول في ذاكرتنا، و هي موضوعات تترك في أنفسنا التأثير الأغلب. لكن ليس ذلك العامل الوحيد في بناء الذاكرة، فمادة التذكر تتوقف على حجم المادة، أي المعلومات و مدى تناسبها مع زمن تعلمها، كما أن تجانس المعلومات، أو عدم تجانسها يؤثرعلى بناء الذاكرة. إضافة إلى بعض المهارات العقلية، كإدراك علاقات التشابه أو الاختلاف ...(1)

كذلك تؤثر الميول الشخصية في عملية تفسير النص، بحيث يلاحظ أن مستخدم اللغة يلجأ إلى عدد من التحويلات الدلالية أثناء استيعاب النص، و لا يتعلق الأمر بعمليات شكلية نحوية، و غير بنيوية، بل بعمليات إدراكية في البنية المفهومية للذاكرة من خلال الحذف : فقد تحذف سلسلة من القضايا أو الإضافة، أو إعادة الترتيب أو إحلال قضية محل قضية أخرى، أو إعادة التـأليف .

أما الهدف الذي يراد تحقيقه بعد ذلك، فهو الحدث اللغوي لكي تنشأ من خلاله حالة إدراكية معينة، أو حدث معين، فقد يكون المنطوق توكيدا أو تهديدا. ذلك أنه يضاف إلى الأبنية الصرفية، التركيبية و الدلالية.

و من خلال كيفية النطق : السرعة و ارتفاع النغمة و ضغط و قوة الصوت ... تحدد ما إذا كانت جملة ما تهديدا أم وعدا ..(2) ، فالرجاء و الوعد و الوعيد و التهنئة و غيرها تختلف نغماتها اختلافا بينا، غير أن الخصائص التي تفسر المنطوق بوصفه حدثا لغويا، لا تكفي لتفسير براغماتي واضح، فعلى السامع أن يقوم هو الآخر بتحليل السياق أيضا، مستندا في ذلك إلى موقف تفاعلي و اجتماعي فعلي و مستعينا بالأطر الإجتماعية، فما يفهم في إطار ما على أنه رجاء يفهم في إطار آخر على أنه أمر.

إن التفسير البراغماتي للنص يفرض تحليلا منظما للسياق الاجتماعي.

---

(1) : انظر ، عبد الوهاب محمد كامل ،علم النفس الفيسيولوجي، ص 191.

(2) : انظر ، فان دايك علم النص ، ص : 328 .

2 – 3 – 1 – 2 – السياق الاجتماعي:

يعيش الإنسان في مجتمع تتظافر فيه الجهود وتتعاون قصد ، تحقيق التغيير عن وعي وإرادة، إذن هناك أشخاص يقومون بأحداث متوالية مترابطة بعضها ببعض ترابطا شرطيا داخليا.

لكن هناك شروط إدراكية حتى يكون هناك تفاعل، تتعلق بالفاعل و بالحدث المقصود، هذه الشروط لها أهمية من الناحية الاجتماعية، و فضلا عن ذلك يمكن أن يكون الربط و الترابط مقيدين قاعديا أو معياريا (مراعاة القواعد و المعايير و القوانين)، لذلك يمكن الحديث عن سياق اجتماعي : تجريدا بالنظر إلى الموقف الاجتماعي [(1)] .

و كمثال عن ذلك الحديث الذي يعد شكلا خاصا من التفاعل اللغوي، لكن هناك فرق دقيق بين الحديث و المحادثة، فالمحادثة وحدة تفاعل اجتماعية، تتكون من سلسلة متشعبة من أحداث لغوية، و تحدد ارتباطا بسياق اجتماعي، أما الحديث فهو تجريد لغوي، أو نظري نصي يقوم أساسا على التتابع و الترابط[(2)] .

فالفرق بين بنية الحديث، و بنية المحادثة واضح، فالمحادثة تتميز بوجود علاقة بين تتابعات الأفعال الكلامية، و علاقات تماسك دلالي أيضا بين الأدوار التي تعد أفعال كلامية متتالية فقد يكون فعلا كلاميا شرطا لمكون، أو نتيجة لفعل كلامي أخر .

و تتأثر أنواع الحديث (غير الأحاديث اليومية)، بدور المتحدث أو موقعه لأنّه يؤثر تأثيرا معينا في تخصيص الأدوار و طولها، ففي الاجتماع يحدد الرئيس: من، و متى، و عن أي شيء، و لأي مدة يمكن أن يتحدث [(3)] .

لأنّ الأفعال الكلامية هي أجزاء ملازمة للأطر الاجتماعية، والإطار السياقي [(*)] الخاص في السياقات الرسمية المؤسساتية يختلف عن غيره من الأطر السياقية .

---

(1) : انظر المرجع السابق ص 355

(2) : انظر ، المرجع نفسه ، ص : 357 .

(3) : انظر ، المرجع نفسه ، ص : 394 .

(*) : يقترب مفهوم الإطار السياقي هنا من مفهوم المقام – لكل مقال مقام – الذي عرفه التراث العربي الإسلامي قديما.

المهم أن الترابط الأفقي المتبادل للمنطوقات يرتبط بالأفعال الكلامية، إضافة إلى ذلك لابدّ أن تكون هناك أبنية كلية، تحدد وظائف كلية للحدث أو المحادثة فالبنية الكبرى تقدم تيمة النص (موضوعة) ، كما تساعد على الاستعاب الإدراكي له .

3U – بين علم الدلالـة و البراغماتية :

إنّ الاستعمال اللغوي ليس إبرازا لمنطوق لغوي فقط، بل هو إنجاز لحدث اجتماعي أيضا، فحين أنطق الجملة *سنلتقي غدا بعد الظهر*، فإني لم أنطق جملة فقط ، بل إني قدمت في الوقت ذاته التزاما، فقد وعدت بشيء .

إنّ الشخص لينجز أفعالا كثيرة، من خلال نص، أو جملة يتلفظ بها : كالتهديد، و الوعيد، و الوعد، و الرجاء، و التمني و غيرها من الالتزامات (التي تتجلى من خلال أفعال الكلام) .

لكن هناك شروط عامة و خاصة لنجاح إنجاز قوة أفعال الكلام، و ينبغي أن تصاغ هذه الشروط في حدود مكونات السياق التواصلي و بنياتها P(1)P .

لا يعني ذلك البراغماتية أن تنفصل عن علم الدلالة، فالعلاقة بينهما تتأسس على القيود الموضوعة على الشروط البراغماتية، بالنظر إلى المحتوى القضوي لإنجاز قوة فعل الكلام .

و كمثال على ذلك ما يوجد في الوعد و الوعيد، إذ ينبغي أن تدل القضية المعبر عنها من لدن المتكلم على الفعل الواقع في المستقبل، و في العتاب و اللوم و الاتهام تدل على الفعل الماضي بالنسبة للمخاطب، أكثر من هذا قد يستعمل التركيب النحوي، و تنغيم النبر، و حروف المعاني الملحقة للدلالة على فئات من إنجاز قوة فعل الكلام، و إن لم تحتاج هذه العلاقة لأن تكون ضرورية، و لا كافية و ذلك لأن البنية التركيبية التقريرية (الخبرية) ، و تنغيم النبر يطابقان ما يشبه الإثبات المؤسس على إنجاز قوى أفعال الكلام ... P(2)P .

و بعبارة أخرى فإن أدوات الربط لا تحمل معان سيمانطقية فقط ، بل تتعداه إلى معان براغماتية أيضا، فتختلف وظائف الأدوات باختلاف السياقات التي تقع فيها.

(1) : انظر ، فان دايك ، النص و السياق ، ص : 267 .

(2) : انظر ، المرجع نفسه ، ص : 271 .

فالأداة *من أجل ذلك* مثلا، قد تتوسط الجمل لربط حقيقة يكون لها بروز تداولي و قد تكون لها وظيفة تفسيرية. أما أداة الربط الواو فهي تختص أساسا بعطف التشريك ، و غالبا ما يأتي متوسطة بين الجمل مما يجعلها رابطة دلالية ، و في هذه الأحوال ينبغي أن يكون ترتيب القضية يوازي ضروب الترتيب الزمانية و العلية أو الشرطية للأحداث. كما ستبينه الأمثلة الآتية:

أ - 3 – فقد أصيب بيتر في حادث ، و يوجد في المستشفى .

4 – لقد زرنا أسرة جونسون ، و لعبنا لعبة الشطرنج .

ب- 5 – يوجد بيتر في المستشفى ، و قد أصيب في حادث .

6 – لقد لعبنا لعبة الشطرنج ، و زرنا أسرة جونسون .

تلاحظ أن المثالين في (أ) ، يختلفان عن المثالين في (ب) ، فالجملتان الأوليتان في: 3- 4 تحددان موضوع الخطاب باعتبار ما تؤول عليه الجملة الثانية ، في حين أن : 5– 6 لا تترابط الجملتان ، لأن الأحداث المدلول عليها ليست من الوجهة الشرطية متصلة على ذلك الترتيب المتعارف P(1)P .

(1): انظر، فان دايك، النص و السياق، ص.282.

4U – علاقة الأفعال الكليـــة بالخطاب :

يمكن ربط البنيات السيمانطقية الكبرى بالبنيات البراغماتية الكبرى ، ذلك أنه يمكن تعين اتساق الخطاب و انسجامه من خلال إطار فعل كلامي كلي ، كأن يكون الخطاب حوارا منسجما لأنّه يقتضي إنجاز فعل كلامي واحد .

و في الحقيقة ، فإن أحد الأسس لتميز أنماط الخطاب المختلفة مثل أساليب السرد ، و فنون الإشهار يقوم على إمكانية تعين فعل كلامي كلي واحد P(1)P .

ذلك أن أفعال الكلام تتوالى في تنظيم محكم ، كأن يكون فعل كلام طلب أو سؤال مثلا تمهيدا لفعل كلام آخر ، كما أن البنية الكبرى السيمانطقية تحدد بدورها نجاح فعل الكلام الشامل .

و تتجلى ضروب الإنجاز الكلية ، التي تعبر عن قوة فعل الكلام ، الخطاب كله ، في بداية الخطاب أو نهايته ، كقولنا : *سوف أقدم لكم نصحا جميلا* أو في النهاية : *إن هذا وعد* .. P(2)P

لا تكون العلاقات و الروابط بين الجمل و البنيات الكبرى فقط، و إنما بين الأفعال المنجزة بتلفظ الجمل ،مقابل دلك قد لا يحتاج مضمون التحية، و إفشاء السلام من حيث هو كذلك إلى ربط البنية السيمانطقية بسائر الخطاب، و إنما يمكن أن يكون فعل التحية شرطا ضروريا لإنجاح الطلب، بسبب التكلف المجتمعي و العمل على كسب رضا المخاطب P(3)P .

(1) ، انظر المرجع السابق ، ص : 323 .

(2) : انظر ، المرجع نفسه ، ص : 325 .

(3): انظر ، المرجع نفسه ، ص : 326 .

يتضح مما سبق أن الانسجام لا يمكن أن يكون مظهرا خطابا واحدا من مظاهر خطابية أخرى في المستوى الدلالي P(1)P ، بل هو مظهر خطابي متعدد الجوانب و الأبعاد .

ذلك أن مستويات التحليل تتداخل و تتشابك، بشكل معقد و متكامل ، تجعل الانسجام لا يتوقف عند حدود المستوى الدلالي، بل يتعداه إلى المستويات الأخرى و تجعل الانسجام يتجلى في المستوى الصوتي، و المستوى الصرفي، و النحوي و المعجمي ، و الدلالي، و التداولي .

لأنّه لا يمكن أن يكون الانسجام مقتصرا على مستوى واحد ، مع فقدانه في المستويات الأخرى .

إن علم النص يقوم على تحليل كل المستويات ، دون الفصل بينها في حقيقة الأمر .

(1) : كما يرى ذلك : محمد خطابي ، لسانيات النص ، مدخل إلى انسجام الخطاب ، ص : 28 .

U<u>الفصل الثاني:</u>

تطور الجهود الغربية بين

المدرسة الأنجلوأمريكية و المدرسة الفرنكفونية

U<u>" روبرت دي بوجراند" ... الترابط المفهومي</u>

1- معايير النصية

2- الترابط الرصفي

3- الترابط المفهومي

4- الكفاءة النصية

5- الأطر و المشروعات

6- إعلامية الوعي الإستبطاني

U<u>"جون ميشال أدام" ... الانسجام و النمو:</u>

1- العلاقة بين القضايا

2- مخططات التنظيم النصي

3- من أجل براغماتية نصية

4- النص و السياق

Uمن جهود المدرسة الأنجلوأمريكية :

تعددت النظريات الغربية في مجال علم النص، شأنّها في ذلك شأن مختلف العلوم اللغوية، و كان هذا الاختلاف اختلاف تنوع أثرى المدارس الغربية، و جعلها تستفيد من بعضها بعضا، لتطور نتائج أبحاثها تبعا لذلك.

يبدو للوهلة الأولى أن السبق كان للمدرسة الأنجلوأمريكية، فمعظم الدراسات ترى أنّ الإرهاصات الأولى لهذا العلم ظهرت مع كتاب تحليل الخطاب لهاريس (1952)، ثم عرف هذا العلم ازدهارا و تطورا، بداية من السبعينيات من خلال جهود دريسلور DRESSLER (1977)، و بثوفى، و رايسر PETOFI ET REISER (1973) وبليت PLETT (1975) و غيرهم. و في هذه الفترة ظهرت دراسات أخرى، أثرّت في الدراسات اللغوية، ككتاب رقية حسن و م . أ . ي هاليداي عن الاتساق في اللغة الإنكليزية Cohesion - الصادر بلندن (1971)، حيث نهج فيه الكاتبان منهجا فتحا به أفاقا جديدة للرؤى، و التحليل، خاصة أنّهما اهتما بما يجعل النص نصا وبالعلاقات بين الجمل، و غيرها من القضايا التي أخذت تتداول في الدراسات النصية و تتسع، و تستفيد من غيرها من العلوم و المعارف .

و منذ أواخر السبعينيات و بداية الثمانينيات، بدأ تحليل الخطاب في الدول الأنجلوأمريكية يتبلور بشكل مختلف عما عرفته الدراسات الفرنسية و الأوروبية.

فقد استبعد التراث الأدبي الأوروبي في مجال تحديد الخطاب، وكانت تلكّ الدراسات الأنجلوأمريكية، كأنها تنطلق من فراغ ، لذلك تكاد تخلو من النظريات الأوروبية.

و ساعد على تطوير المدرسة الأنجلوأمريكية بعد ذلك، في مجال علم النص جهود شومسكي ، و ما أحدثته من تغيير و ثورة ، حيث أصبحت القواعد النحوية عبارة عن نظام يتصل بالدلالة، و أصبحت الدلالة تمثل الجانب العميق، و الهام من اللغة P(1)P ، و أصبح شومسكي زعيم المدرسة اللغوية في الولايات المتحدة، بعد نقده للمدرسة السلوكية و المدرسة البنيوية .

---

(1) : انظر ، ممدوح عبد الرحمان ، من أصول التحويل في نحو العربية ، دار المعرفة الجامعية ، مصر 1999 ، ص : 26 .

Uروبــرت دي بوجراند ... الترابـــط المفهومي :

تعرف بحوث علم النص تقدما في مختلف أنحاء العالم، كما تعرف تنافسا و إسهامات عظيمة في مجال تحليل الخطاب بالولايات المتحدة، خاصة بمعاهد الدراسات اللسانية، كما أن هناك دراسة لصياغة النصوص في أقسام علم النفس في مؤسسات مثل جامعات كولوراد و و ستانفورد، وكاليفورنيا.

و في علم الحاسب الآلي هناك دراسات في أقسام بمعاهد، و جامعات مثل تكساس و تورونتو، و لوس انجلس P(1)P . مما يؤكد أن كسر الحواجز بين مختلف الاختصاصات في هذا العصر، قد تجاوز مرحلة التنظير إلى مرحلة الدراسات التطبيقية، و الميدانية.

و لعل أبرز المهتمين بعلم النص في المدرسة الأنجلوأمريكية الباحث الأمريكي" روبرت دي بوجراند" ROBERT DE BEQUGRQNDE الأستاذ بجامعة فلوريدا، الذي استطاع أن يقدم نظرية منسجمة في لسانيات النص, يمكن الإطلاع على بعض جوانبها في كتابه : النص و الخطاب و الإجراء Text discourse and process-الذي صدر سنة: 1980. وكان الغرض من الكتاب النظر إلى النص من زوايا مختلفة، بداية من الرصف إلى المفاهيم، إلى تطبيق نتائج الدراسة على المحادثة والقصص، و صور الإنتاج النصي الأخرى، قصد الاستفادة من هذا العلم أثناء الترجمة، و تعلم اللغات P(2)P.

المهم أنّ المدرسة الأنجلوأمريكية تطورت في مجال علم النص، انطلاقا من اتجاهين :

-1 – الاتجاه التوليدي Générative - Gènèratif

-2 – الاتجاه البنيوي - Structuraliste

ثم ما لبث أن اتخذت منحى آخر، تأثرا بروح العصر، و بثقافته السائدة ليصبح علم النص علما متعدد الاختصاصات.

وتصبح اللسانيات غير منعزلة عن غيرها من العلوم، بل تصبح علما محوريا للخطاب و الاتصال، فتهتم أكثر بإجراءات استعمال اللغة .

---

(1) : انظر ، روبرت دي بوجراند ، النص و الخطاب و الإجراء ، تر. د . تمام حسان ، عالم الكتب ، ط : 1 - القاهرة 1998 ، ص : 69 .

(2) : انظر المرجع نفسه ، ص : 6 . (مقدمة المترجم) .

قد يبدو النص أنه عبارة عن تراكم للأصوات، أو الصيغ التي تتابع، أو تراكم المعاني. لذلك هناك من سعى للفصل بين النحو، و المعنى في النص، كما فعل هاريس (1952) وشومسكي (1957)، وأدى هذا إلى جعل القواعد أكثر تجريدا. من هنا يختار الكاتب المستوى الرصفي Séquential connèctivity - Sèquence connèctive و الترابط المفهومي Concèptual connèctivity - Sèquence Conceptuelle و تتحكم إجراءات التخطيط في التفاعل بين هذا الترابط الرصفي، و الترابط المفهومي ليكون الربط بين النحو والمعنى[1] .

من هنا فإنّ تحليل النص يكون من خلال الكشف عن الترابط فيه، و من خلال الأمور التالية :

1- النحو : الترابط الرصفي

2- الدلالة : الترابط المفهومي

3- التداولية: أعمال ـ خطط ـ أغراض(علاقة المتلقي بالنص)

يرى دي بوجراند أنّ الصورة التقليدية للمناقشات اللسانية، قد تكون غير منتجة و يقصد بذلك : النحو و الدلالة و التداولية، لأنّ هذه الصورة كانت ملائمة لمطالب مناقشات الأنظمة الافتراضية، بينما يتجه اهتمامه إلى التفعيل Actualisation -Réalisation[2]. ومعنى ذلك أن النص نظام فعال، خاصة في عمليتي الإنتاج و التوصيل. ويهتم علم النص الحديث بالكشف عن سبل ذلك وهوالأمر الذي افتقدته اللسانيات التقليدية.

---

(1) : انظر ، المرجع السابق ، ص : 85-86

(2) : انظر ، المرجع نفسه ، ص : 97

لذلك يرى البديل في النظر إلى المسألة من خلال ما ياتي :

- الترابط الرصفي - الترابط المفهومي
- الحفاظ على الترابط بواسطة بناء نماذج عالم النص.
- استكشاف قضية الإعلامية
- وسائل الترابط لتحقيق المعرفة دون إعلامية دنيا
- الكيانات الكبرى التي تدعم عمليات الفهم مع التفريق بين الأطر Frames و المشروعاتShemes و الخطط Plansالمدونات Corpus.

بحيث يكون موضوع الترابط الرصفي : الدلالة النحوية ،و يكون موضوع الترابط المفهومي النحو الدلالي .والقصد من هذا التقسيم إحداث تفاعل بين النحو و الدلالة، الأمر الذي افتقده نحو الجملة، لأنه يبعد النحو عن مقتضيات الموقف الإتصالي، كذلك الأمر بالنسبة للدلالة التوليدية التي بقيت بعيدة عن إجراءات استعمال اللغة، فيعمد المؤلف إلى تقديم البديل الذي يبتعد عن التجريد، و يكون أكثر قابلية للإجراء، خادما للمواقف الاتصالية، فهو علم دلالة إجرائي منتج ، تكون الوحدة الأساسية في الدلالة الإجرائية هي القضية، من أجل ذلك يستعمل هذا المفهوم (القضية) استعمالا غير صوري .

1U - معايير النصية :

يقترح الكاتب سبعة أمور تجعل النص نصا أو تفقده نصيته، إذا ما غاب عنصر منها. هذه المعايير هي :

U-1- السبك ، النظام ، الربط - Cohesion : يتحقق به التضام بشكل جلي، بحيث يؤدي السابق منها اللاحق ، من خلال وسائل التضام التي تتمثل في الربط خاصة و التكرار، لذلك فإنّ التضام يتعلق بالترابط الرصفي و هو معياره.

U-2- الالتحام ، التماسك ، الانسجام - Cohérence :

تشمل وسائل الانسجام العناصر المنطقية كالسببية و العموم

حيث، تتفاعل معلومات النص مع المعرفة السابقة للعالم .

و إذا غاب الانسجام انهار الاتصال بين منتج النص و متلقيه، و هو معيار الترابط المفهومي .

U-3- القصد -Intentionnalité :

يتضمن موقف منشئ النص و هدفه من بناء نص متماسك منسجم، لأنّه لابدّ أن يكون للحدث اللغوي نية الدلالة ، فليس نصا ما يقوله المكره أو السكران مثلا .

U-4- القبول-Acceptabilité :

يتعلق بالمتلقي، و قبوله للنص أو عدم قبوله، فيما يتعلق بالتماسك و الانسجام بصفة خاصة.والخضوع للقواعد النحوية بصفة عامة .

و يقوم علم النص على مساعدة المتلقي لقبول موقف دلالي محدد، و استبعاد باقي الدلالات، لأنّه يهتم بالسياق كله لصحة القواعد النحوية، لذلك يكون القبول على مستوى الجملة، ثم يتعدى ذلك إلى مستوى النص كله .

U-5- رعاية الموقف - Situationnalité :

لابد من ربط النص بالمقام ، فالنص يكون متأثرا بالموقف مراعيا له، قادرا على التأثير فيه. ومجموعة المعارف السابقة مفيدة في تحديد الموقف و تحليل الخطاب .لذلك تساعد الظروف التي يقال فيها النص على فهمه و تأويله . .

U6- التناص - Intertextualité :

يتضمن النص علاقات مع نصوص سابقة بسبب حركتي التأثير و التأثر. ذلك أن أي نص لا ينطلق من فراغ، بل يتفاعل مع غيره من النصوص لإنتاج نص جديد. وقد اهتمت الدراسات الحديثة بالتناص، رغم أن الظاهرة قديمة قدم الآداب و الفنون.

U-7- الإعلامية -Informativité :

لكل نص درجة معينة صغرى أو كبرى من الإعلامية. فلا يمكن أن يكون نصا دون محتوى ودلالة ،لأن النص يهدف إيصال دلالات إلى المتلقي .

من هنا ترتبط الإعلامية ببنية النص من خلال المنظور الوظيفي للنص .

و من المعايير السابقة يتضح أن التماسك و الانسجام يرتبطان أكثر بالنص فهما المعياران الرئيسان الأقرب إلى طبيعته [(1)] .

يشترك بعد ذلك منتج النص، و متلقيه في بناء نموذج عالم النص Model Building a Text Word- Construire le modèl du monde du texte الذي يتكون أساسا من مضامين أي قضايا propositions و يمكن تعريف مضمون القضية بأنّه علاقة قائمة بين تصورين مثلا في قولنا < البيت واسع > تقوم العلاقة الوصفية بين المفهومين اللذين استدعاهما لفظا البيت ، وواسع على تصور أول عن البيت وتصور ثان عن حاله، تقود إلى تصورثالث في ذهن المتلقي عن حالة البيت فانطلاقا من كلمتين متجاورتين يكون الربط بين عنصرين: مسند و مسند إليه و بعبارة أخرى فإن التناسق الشكلي الذي يفرضه النحو، يقابله تناسق معنوي يفرضه المنطق، وفي ذلك إعلامية للمتلقي.

<u>2 – الترابط الرصفي – *Séquence connéctive:*</u>

كانت نتائج الأبحاث في النحو التحويلي يطغى عليها الطابع القالبي دون مراعاة الجوانب التداولية، لأن استقلال النحو عن الموقف الاتصالي، و إخضاع الجمل الطويلة لمجموعة ثابتة من التراكيب البسيطة، يؤدي إلى تقييد نظام اللغة الشاسع إضافة إلى افتقاد النحو التحويلي إلى الطابع الإجرائي .

من أجل ذلك يرى دي بوجراند أن هذا الأمر-الإجراء- متاح في الترابط الرصفي، و يقصد الكاتب بالترابط الرصفي.

<< كل نشاط و كل إجراء غايته رصف عناصر اللغة في ترتيب نسقي مناسب بحيث يمكن للكلام أو الكتابة أو السماع أو القراءة أن تتم في توال زمني >> [(2)] .

ذلك أن النص ليس متواليات من الوحدات الصوتية و الصرفية، بل هي وحدات تنتظم قصد غاية إجرائية. ومنذ الخطوات الأولى للسانيات تبين أن اللغة نظام تتشابك فيها الأنظمة المكونة، و يأتي النحو الدلالي ليبين كيف ترتبط مفاهيم مثل فاعل و فعل وصفة ...من أجل تحقيق معنى النص.[(3)]

---

(1) : انظر ، المرجع السابق ، ص : 103 – 104 – 105.

(2) : المرجع نفسه ، ص : 136 .

(3) :انظر ، المرجع نفسه، ص 85.

يتحدث الكاتب أبضا عن التكافل النحوي، و يقدم أدوات التفريع والربط لإبراز البنية المتصلة، و يبين دور الضمائر و الموصولات و غيرها.

فأي جملة لا تخلو من وجود حالة كبرى Macro -State . Macro -Situation التي هي المركب الاسمي، و هي مركز ضبط Centre de contrôle الاسم في الجملة الاسمية هو مركز ضبط ، و الفعل في الجملة الفعلية هو كذلك ، إضافة إلى وجود مخصصات Modifiers و هي الصفات ، و قد تكون في جمل أخرى ظروفا أو المركبات المبدوءة بالحرف ... .

أما المحدّدات Determinants فهي أداة التنكير a- ، و قد تكون أداة التعريف الإشارات و الأعداد، لذلك تكون المخصصات مؤشرات كيفية Qualitative إلى الكلمات الرؤوس و تكون المحدّدات مؤشرات كمية Quantitative (كالأفراد و الجمع و التعريف و التنكير ..الخ) .

و تهدف هذه الشكلانية التي هي شبكة التحولات المتنامية لتكون بديلا للنحو التحويلي [(1)]. تكون هذه الشكلانية انطلاقا من وجود الفعل مع الفاعل، و الفعل مع المفعول غير المباشر، والفعل مع المخصص ...

أ – الرابطة : *Jonction* : تدخل ضمن مجموعة من العلاقات علاقات التماسك، و الانسجام، يبدو ذلك جليا في علاقة الوصل مطلق الجمع Conjonction تكون بين عنصرين.

- علاقة مطلق الجمع من خلال روابط : الواو ، كذلك، أيضا- والجمع بين أمرين يقتضي وجود مناسبة بينهما .. .
- علاقة التخيير Disjonction بين عنصرين على الأقل باستعمال أدوات أو. و يسمى أيضا الفصل
- علاقة الاستدراك : يعبر عنها بـ : لكن ، غير أن ..[(2)]

غير أن غياب وسائل الربط في الجملة- ما سمي بالفصل- يجعل عناصر الجملة أشد ترابطا من خلال تجاورها.

---

(1) : انظر ، المرجع السابق ، ص : 147 .

(2): انظر، المرجع نفسه، ص :149-إلى 152.

و إذا كانت العلاقات السابقة تتجلى خاصة بين مكونات الجملة، فإنّ هناك علاقات أخرى تبعية Subordination ، و هي علاقات التفريع بين العناصر، ليكتمل معنى الجملة و لتكوين جمل مركبة، فقد تستلزم الجملة الأولى جملة أخرى ليتضح المعنى، كالجمل الشرطية مثلا، ولابد أثناء التفريع من إبراز المركب الفعلي أو الاسمي، ومن تحديد الرأس، والمحددات، والمخصصات، و الروابط وغيرها ...

و هذه التفريعات في الجمل تستلزم الانسجام، و الإعلامية، و الرصف و تكون بشكل علمي.

أما العلاقة بين العناصر في النص ككل، فهي علاقة تجمعية عادة ، و قد تكون التراكيب ناقصة كما في حالات الإعلانات، أو عدم سماع بعض أجزاء النص بسبب التشويش أو ضجة الشارع ، لكن المعلومات العامة عن العالم ، و استنتاجات السامع ، تجعل النص موضع قبول عقلي ، و صياغته كافية [1] .

---

(1) : انظر ، المرجع السابق ، ص : 169.

3- الترابط المفهومي -Séquence conceptuelle:

إن تحليل المعنى إلى وحدات صغرى أو ما يسمى بالسيمات Sémes المقومات لا يخلو من نقائص، و تناول المعنى من جهة نظر السمات لن يحل حلا سريعا، لذلك سيكون من المفيد النظر إلى الاتجاه المعاكس : فبدل الاعتماد على التجزئة يكون الاهتمام بالانسجام [1]. و الاهتمام أكثر بإجراءات الاستعمال فيما يتعلق ببناء المعاني في مواقف الاتصال.

و يتحقق ذلك من خلال علم الدلالة الإجرائي، بحيث تكون القضية هي الوحدة الأساسية للدلالة الإجرائية، و ذلك بوصفها علاقة قائمة بين مفهومين على الأقل، حتى أنّه يمكن تحليل الكثير من المفاهيم لتوضع على صورة قضايا.

من ذلك مثلا الإحالة Référence لا تتم بواسطة القضايا فقط ، بل لابد من النظر إليها انطلاقا من نموذج عالم النص، فالإحالة تقتضي ربط القضايا داخل الفقرة الواحدة. ليبدو انسجام النص، و تتحقق أهداف الا تصال في الأخير.

<< إن جملة المعنى بالنسبة للمفهوم تدرك بالوقوف عند مركز ضبطه في شبكة ما، ثم النظر إلى خارج المركز على طول ارتباطاته العلائقية في هذه المساحة المعلومية >>[2].

من هنا يكون النظر إلى القضايا في علاقاتها، لكن ذلك لا يكفي، فلا بد أن يتبع ذلك تنشيط المفاهيم، و إدخال محتواها في المخزون العقلي، و الانتقال بين العبارات و محتوياتها أمر من أمور التخطيط[3] Planification أي أن هناك ثلاثة أنواع من الترابط ، هي : الترابط الرصفي و الترابط المفهومي و الترابط التخطيطي. و يرى الكاتب أن :

الترابط المفهومي بصفة عامة أعمق من الترابط الرصفي، و الترابط التخطيطي أعمق من الترابط المفهومي .

---

(1) : انظر ، المرجع السابق ، ص : 179 .

(2) : المرجع نفسه ، ص :184 .

(3) : انظر ، المرجع نفسه ، ص : 182 .

أما المفاهيم في النص، فتحتاج إلى ثلاث عمليات:الاكتساب، الاختزان و الاستخدام و يكون من مسلمات الإجراء و الاستعمال :

الانسجام، و الإتاحة، و الاقتصاد، لتكون الشبكة الدلالية مقبولة، و تدرك جملة المعنى في النص.

أمّا اكتساب المعلومات و اختزانها و استخدامها، فيفرض تفاعلا بين الذاكرة الواقعية و الذاكرة المفهومية، و بعبارة أخرى فهو عطاء الذاكرة الواقعية للذاكرة المفهومية، بحيث تساعد الذاكرة الإنسانية على تنظيم الأشياء المهمة و تساعدنا على هيكلة العالم، وتمدنا بما نحتاجه، و بما نريده من معلومات. و تشكل المشاريع، و الأطر حالات معينة للعالم، ثم يكون انتخابها للوصول إلى الربط بين عناصر النص(1) و الكشف عن انسجامه.

مما سبق يتضح أن الانسجام يتحقق بتفاعل هاتين الذاكرتين الواقعية والمفهومية.

فإذا كان التضام يتحقق بالترابط الرصفي، فإنّ الانسجام يتحقق بالترابط المفهومي، و بعبارة أخرى فإنّ الترابط المفهومي هو أساس الانسجام (2).

يسمي الكاتب الفقرة من النص بالمساحة النموذجية .. هذه المساحة النموذجية تعين على توحيد المعلومات في عالم النص، لتكون على صورة كتلة ، خاصة عندما تكون المساحة النموذجية مجتمعة تماما بحيث تكون جميع القطع التي تتكون منها تشترك في عقدة واحدة، و تقع في موقع مركزي، فهي في مركز ضبط ، و لذلك تصبح هذه المساحة النموذجية بنية كبرى بتعبير "فان دايك" (3) و عندما يكون النص مترابطا سياقا، منسجما، فإن ذلك يجعله واضحا، مفهوما لدى المتلقي .

---

(1): فضاءالانترنيت www.arches.ro/revue/n4/.comment peut-on être lecteur.?

(2) : انظر : دي بوجراند، النص و الخطاب و الإجراء، تر: تمام حسان، ص : 247 .

(3) : انظر ، المرجع نفسه ، ص : 230 .

4U - الكفـــاءة النصيـــة Compétence textuelle:

تكمن الكفاءة أولا و قبل كل شيء في صياغة أكبر كمية من المعلومات بإنفاق أقل قدر من الوسائل،ويتسع مفهوم الكفاءة النصية ليشمل دور المتكلم، و دور المتلقي، و القدرة على القراءة في وقت وجيز، بحيث يستطيع قارئ مجيد أن يميز من 1 الى 2 من خلال النظرة الواحدة، و يستطيع أن يقرأ، أو يفهم 200 كلمة في الدقيقة[1] و أصبح علم النفس، و علم النفس اللغوي، و علم الاجتماع، و البراغماتية تهتم بقدرات المتكلم، و القارئ و المتلقي في التعامل مع النص، و المعلومات. غير أن المعايير التي تسهم في الكفاءة النصية ، هي أهم وسائل التضام -الترابط الرصفي -و يمكن تحديدها في النقاط التالية:

4U -1- إعادة اللفظ (التكرار) Répétition :

و هو أولا شكل من أشكال الانسجام المعجمي، ويكون تكرارا فعليا للعبارات أو الكلمات بصفة جزئية أو كلية، بحيث تتحد محتوياتها المفهومية، و تختلف في السياق، و قد تتكرر مع اختلاف المدلولات تبعا لاختلاف السياق، كالجناس التام مثلا في قوله تعالى : **{وَ يَومَ تَقُومُ السَاعَةَ يُقسِمُ المُجرِمُون مَا لَبِثوا غَيرَ سَاعَةٍ}.**

المهم أن إعادة اللفظ يحافظ على الترابط المفهومي،ويبعد الرتابة التي يؤدي إليها مجرد التكرار، و إعادة اللفظ في هذه الحالة يمنح النص صورة لغوية جديدة ، لأن أحد العنصرين المكررين قد يسهل فهم الآخر [*]. ـ قد يكون التكرار كلمة أو جملة كما هو في تكرار آيات البتأرة في سورة الرحمان .

4U -2- التحديد:

<< و هو المدى الذي يفترض عنده إمكان التعرف على طبيعة عالم النص بالنسبة لتعبير ما في نقطة بعينها، ثم استعادة هذه الطبيعة في مقابل حالة ذكرها لأول مرة عند هذه النقطة >>[2]. لذلك لا يمكن لنص أن يخلو من الأدوات الدالة على التحديد، بحيث أن الوظيفة التحديدية تتحقق من خلال طائفة من الأدوات المتخصصة لذلك، مثل الصفات المحددة كالإشارة، والإضافة، والتنكير، و الدلالات العددية <<[3] و تتقدم أداة التعريف العبارات الدالة، بخلاف التنكير .

---

(1): فضاء الانترنت .www.arches.ro/revue/n4/

(2): انظر،دي بوجراند: النص، و الخطاب، و الاجراء، ص:301.

(*): يتجلى هذا بشكل جلي في دور التكرار في النص القرآني.

(3): جون كوين، بناء لغة الشعر، تر: أحمد درويش، دار المعارف، ط:3، القاهرة:1993، ص:160.

و يمكن أن يأتي التعريف في صورة العلاقة التحديدية أو يأتي بوصفه وصلة نموذجية<<أي أن التعريف يمكن أن يشمل أي عنصر من عناصر عالم النص في نطاق دلالي مربوط بمركز الضبط>>.[(1)]

ذلك أن معنى تحديد الوضع من خلال اسم معرفة أن تقول للسامع أو القارئ أن المحتوى المفهومي المضبوط ينبغي أن يكون سهل الاستحضار على أساس المساحات المعلومية المنشطة بالعقل . أما النكرات فتتطلب من ناحية ثانية تنشيطا لمساحات معلومية أخرى، و لا يعني ذلك أن تكون النكرات في بداية الكلام ، لأن الأمر يرتبط بأهداف المتكلم.

4-3- اتحاد الإحالة بواسطة الكنائيات :

يقصد بالكنائيات : الضمائر و الإشارات والموصولات و غيرها ، بينما الإحالةRéférence فهي العلاقة بين العبارات و الأشياء Objects و الأحداث Evénements و المواقف Situations في العالم الذي تدل عليه بالعبارات و تطلق تسمية العناصر الإحالية على قسم من الألفاظ ،لا تملك دلالة مستقلة، بل تعود على عنصر أو عناصر أخرى مذكورة في أجزاء أخرى من الخطاب، فشرط وجودها هو النص [(2)]

و هناك أنواع من هذه الإحالة المشتركة كالترادفات والألفاظ الشارحة .. و الألفاظ الكنائية. و تعدّ الضمائر أبرز الألفاظ الكنائية [(3)]، حيث يلجأ المتكلم إلى الكثير من القرائن التي تمنع اللبس، و الغموض ليكون التعاون بين المتكلم و السامع قصد تحقيق النصية : القصد و القبول.

كقوله تعالى :{ **وَ عِبَادُ الرَّحمَانِ الذِينَ يَمشُونَ عَلَى الأَرض هَونًا وَ إذَا خَاطَبَهُمُ الجَاهِلُونَ قَالوا سَلامًا ❁ وَ الذِينَ يبيتُونَ لِرَبّهم سُجَدًا و قِيَامًا ❁ وَ الذِينَ يَقُولُونَ رَبَنَا اصرِف عَنّا عَذَابَ جَهَنّمَ إنّ عَذَابَهَا كَان غَرَامًا** } (الفرقان 64 – 65) .

إن المتدبر في هذا النص سيجد أن عباد الرحمان :محال عليه ، بمجموعة من الإحالات ، أكثرها الضمائر الظاهرة و المستترة.

(1): أحمد عفيفي، نحو النص، ص:114.

(2): دي بو جراند، النص و الخطاب، و الاجراء، تر، تمام حسان، ص:320.

(3): أزهر الزناد، نسيج النص، ص:118.

4U ـ4- الإحالة لغير مذكور:U

تعد إحالة خارج النص، لأنها تقوم على الإتيان بالضمير للدلالة على أمر ما غير مذكور في النص مطلقا و يتجلى ذلك من خلال استعمال ضمير الشأن و اسم الإشارة في أول النص. تعتمد الإحالة لغير مذكور على سياق الموقف Context شأنها في ذلك شأن الإحالة لمذكور سابقا، و الإحالة لمتأخر، و يتجلى معنى المرجع من عالم النص و عالم الموقف الاتصالي . كما هو في الاستفهام التالي : ما هذا ؟ أو في حالة ضمير الشأن في اللغة العربية ، أو في حالة الضمير، أو غيرها من أسماء الإشارة الواردة في أول النص .

المهم أن الإحالة لغير مذكور تؤكد على التفاعل المتبادل بين اللغة و الموقف. فهذا الأخير يؤثر بقوة في استعمال طرق الإجراء P(1)P. كقوله تعالى :

{ هُوَ ٱلذِي أَخرَجَ ٱلذِينَ كَفَرُوا مِن أَهلِ الكِتَابِ مِن دِيَارِهِم لأَوَلِ الحَشرِ مَا ظَنَنتُم أَن يَخرُجُوا وَ ظَنُوا أَنَهُم مَانِعَتُهُم حُصُونُهُم مِّنَ اللهِ فَأَتَهُمُ اللهُ مِن حَيثُ لَم يَحتَسِبُوا ...} (الحشر 2) .

حيث كان السبق لاسم الإشارة .

4U ـ5- الحذف - Ellipse :

يكون بتجاوز أفعال، أو أسماء، أو جمل ، يتوقعها المتلقي . أما المتلقي غير المتعاون فقد يعسر عليه فهم النص ، و يجده غير منسجم، خاصة إذا كانت القرائن غير واضحة تماما . و قد تكون هناك جملة محذوفة ، دون أن يبدو ذلك. كقوله تعالى :

{وَ قَالَ ٱلذِي نَجَا مِنهُمَا وَ ادَّكَرَ بَعدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُم بِتَأوِيلِهِ فَأَرسِلُونِ ❁ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِيق أَفتِنَا فِي سَبعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأكُلُهُنَّ سَبعٌ عِجَافٌ }(يوسف45 –46)

و في العربية يكثر الحذف في التراكيب إذا طالت ، فغالبا ما يقع في الجملة الصلة إذا استطالت و أسلوب الشرط ، و أسلوب القسم ، و في سياق العطف و في غيرها من المواضع التي تستطيل فيها الجملة و يوجد من الأدلة ما يغني عن ذكر بعض عناصرها P(2)P.

---

(1): انظر، المرجع السابق، ص:339.

(2): طاهر سليمان حمودة، ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، الدار الجامعية، الإسكندرية 1999، ص:43.

أدخله ابن جني في باب شجاعة العربية حيث يقول :<<قد حذفت العرب الجملة أو المفرد و الحرف و الحركة ، و ليس شيء من ذلك إلا عن دليل عليه، و إلا كان فيه ضرب من تكليف علم الغيب في معرفته>>[(1)].

6- الربط - Jonction:

يرى الكاتب أن << إذا كان إعادة اللفظ، و الإحالة المشتركة، و الحذف تحافظ على بقاء مساحات المعلومات ، فإنّ الربط يشير إلى العلاقات التي بين المساحات أو بين الأشياء التي في هذه المساحات ، إن الصور التي تترابط بواسطة مطلق الجمع و الفصل و الاستدراك يحسن أن تعد ذات نظام سطحي متشابه >> [(2)] . ويحقق ذلك ترابطا على المستوى السطحي للنص من خلال مؤشرات لغوية، مثل علامات العطف و أدوات الترقيم...

و هناك أربعة أنواع من الربط :

- **ربط مطلق الجمع** : ربط صورتين أو أكثر من صور المعلومات بالجمع بينهما باستخدام الواو، أيضا .
- **ربط التخيير** :يكون الربط على أساس التخيير بين صورتين أو أكثر من المعلومات متحدين من حيث البيئة أو متشابهين باستخدام أو، مثلا.
- **ربط الاستدراك** : يكون بين صورتين من صور المعلومات بينهما علاقة التعارض باستخدام: لكن ، بل ، مع ، مع ذلك .
- **ربط التفريع** : تصبح العلاقة بين صورتين، أوأكثر علاقة تدرج، أي أن تحقق إحداهما يتوقف على حدوث الأخرى، فتكون جملة فرعية أو أكثر مرتبطة بجملة أصلية، و غالبا ما تظهر في العلاقات المفهومية من خلال أدوات مثل لأن ، و ما دام، و من حيث ، لهذا و بناء على هذا ، و من ثم، و هكذا ، و بينما. فنجد علاقات دالة على العلة والسبب.

---

(1): أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، تحقيق، محمد علي النجار، المكتبة العلمية، د.ط، د.ت، ج:2 ص:360.

(2) :روبرت دي بوجراند النص والخطاب و الإجراء ، تر تمام حسان ، ص : 346 .

لهذا، بناء على هذا ...و علاقات أخرى زمانية تدل على ترتيب سابق أولاحق، أومتزامن، هذا يدخل ضمن الترابط الموضعي الشرطي، مقابل التماسك الوظيفي، والروابط البلاغية << يميز علماء النص بين أنواع الترابط الموضعي الشرطي للنص، والتماسك الوظيفي فيه. فالنوع الأول هوالذي يعتمد على الروابط السببية المعتادة بين الوقائع التي تدل عليهاالأقوال و عادة ما يشار إليها بمجموعة من الأدوات الرابطة مثل: لأنّ ، وعليه، ونتيجة لذلك...الخ. أما النمط الثاني من التماسك فهو أصعب تحديدا بدرجة كبيرة، وهو وظيفي، لأنه يحدث عندما يعزى إلى أحد الأقوال في النص وظيفة محددة بالنسبة لقول سابق عليه P<< P[2] تساعد العلاقات السابقة في تحقيق الانسجام في النص، كما أنها تزيد من يسر الإجراء .

---

(1): صلاح فضل، بلاغة الخطاب، ص:262.

5U -الأطر و المشروعات :

يمكن النظر إلى المعلومات على أنها عرض تنظيمي يمكن من خلاله تنظيم العناصر، بحيث يسهل إتاحة المطلوب منها، و يسمى هذا المنظور إطار، أما منظور المشروع، فهو أكثر ارتباطا بالتعاقب في رتبة التنفيذ.

فالأطر و المشروعات أكثر اتصالا بالتنظيم الداخلي للمعلومات، حتى أنّه يمكن القول أنّ المشروعات أطر موضوعة في ترتيب تتابعي ، فالإطار بيت مثلا يمكن تنشيطه بصورة انتقائية لإحداث المشروع < بناء بيت > [1] .

و يبدو دور هذه المفاهيم مثلا في فهم النص، فإذا لم تتحقق المناسبة بين النص، و ما لدى المتصدي للفهم من أطر، فربما استعصى النص على الفهم. و يشير الكاتب إلى ترابط الأطر في التفكير، و دورها في فهم النص و تذكره.

ويتحقق ترابط الأطر أيضا في بناء المعلومات ترابطا متزامنا، من أجل بناء نموذج لعالم النص،لأن هناك حاجة مباشرة لتحقيق التماسك، و الانسجام في إنتاج النص ، و تنظيم المعلومات في الذهن، ومما يساعد على ذلك أن تتسم عناصر النص بالأفضلية ، إذا أمكن وصلها بعقد، و وصلات كبرى لنمط معلومات مختزن شامل مثل < إطار > أو < مشروع > [2] .

يصل الكاتب بعد ذلك إلى مراحل إنتاج النص قصد السيطرة الإجرائية ملّخصة في أربع مراحل :

-1- التخطيط Planning.

-2- التجريد Ideation.

-3- التطوير Développement.

-4- التعبير [*] Expression.

---

(1) : انظر دي بو جراند، النص و الخطاب و الإجراء، تر: تمام حسان، ص : 455 .

(2) : انظر، المرجع نفسه ، ص : 476 .

(*) : هذا الاجتهاد يقترب مما توصل إليه العرب الأقدمون : الجرجاني مثلا ، انظر ، ص : 109 و كذلك عبد الرحمان ابن خلدون ، المقدمة ، دار الكتاب اللبناني ، لبنان 1960 ، ص : 1100 . انظر كيف ربط ابن خلدون بين الصناعة الشعرية و الصورة الذهنية و التركيب و البناء .

6U- المشروع التربوي التعليمي و علم النص:

تناول المؤلف إعلامية الوعي الاستبطاعي ، لأن لها الأثر الكبير في سلوك التعلم بواسطة توزيع الانتباه بين العناصر المدركة، فترى الناس يوزعون انتباههم توزيعا انتقائيا، ليسلطوا الضوء على بعض المعلومات أفضل من غيرها.

و هناك أعمال أولية للتعلم، يتعلق بعضها بنسبة تكرار العرض، و وضوح القرائن عند العرض بسبب اللون، علو الصوت و وضوح الأجزاء و الترابط الإدراكي .

و كذلك الارتباط العاطفي لدى صاحب الترابط الإدراكي، و موضوع التعليم، و موقف صاحب الترابط الإدراكي، و رغباته، و تتفاعل العوامل هذه و عوامل أخرى بالغة التعقيد ذات صلة بالإجراءات النصية [1]. أصبح علم اللغة النصي يستفيد من مكتسبات العلوم الأخرى إذن.

وتقترب هذه الأفكار من نظرية "فان دايك" عن تعلم النص و حفظه التي ربطت الأمر بالنص تارة و بعلاقته بالمتلقي تارة أخرى. غير أن "دي بوجراند" يرى<< أنّ التربية تسير من الناحية المعرفية في الطريق الخطأ، كلما زاد اهتمامها بالمعلومات الوقائعية على اهتمامها بالمعرفة العلائقية الفكرية فعند الاهتمام بالنوع الأول من المعلومات يحشى ذهن المتعلم بطائفة من الحقائق العرضية التي تستعصى على التوحد في نظام ملتحم وعملي، قوامه المعرفة بالعالم >>[2] .

من هنا تبدو أهمية البحث في قضية الانسجام و توظيف تلك الأبحاث في مجال التعليم و التربية.

---

(1) : انظر ، دي بوجراند، النص و الخطاب و الاجراء، ص : 353 .

(2) : انظر ، المرجع نفسه ، ص : 270 .

جهود المدرسة الفرنكفونية :

عرفت لسانيات النص تأخرا في المدرسة الفرنكفونية، مقارنة بالمدرسة الأنجلوأمريكية، و هو ما جعل المدرسة الفرنكفونية تستفيد من غيرها من الجهود و تستفيد أكثر من أبحاث السيميائين التي عرفت أوج تطورها في السبعينات في فرنسا من خلال أعمال كل من "جوليا كريستفا" ، "رولان بارت" ، و" قريماس" و" كورتيس" ، و غيرهم .

و في الفترة نفسها ما بين 1972 - 1973 عرفت المدرسة الفرنكفونية اهتماما بارزا بالنص كمادة نظرية، و كانت حركة الترجمة من أسباب هذا الاهتمام[(1)] : حيث كان التعريف بأهم الأعمال العالمية التي ظهرت في تلك الفترة سوءا أكانت أبحاث ألمانية أم إنكليزية أم هولندية ... ، للاهتمام بعد ذلك بالنص الفرنسي ، فظهرت أعمال "ميشال شالوس" و "جون بيتار" و كان العمل متعلقا بتعليم الحكي و انسجام النص.

أمّا في الوقت المعاصر، فقد اتخذت الأبحاث أشكالا، أكثر تنظيما من خلال المخابر، و فرق البحث في مختلف مراكز البحث، و الجامعات في الدول الفرنكفونية أو غيرها .

(1) : فضاء الانترنيت laboratoire de linguistique textuelle, WWW.crdp.montpellier.Fr/

جـون ميشــال أدام ... الانسجـــام و النمــو :

يـرى "جـون ميشال أدام" (ولد سنة :1947)[*] أنّ الـنص مـادة معقدة قد يحتـاج إلـى نظريـات مختلفـة،و لابـدّ أن تـرتبط كـل نظريـة بمـادة الـنص، و علاقاتـه بمجالات أوسع من الخطـاب ، و يـرى أن نظريـة عامـة للبعد النصـي ، و أفعـال اللغـة تبدو ضرورية اليوم[1] .

عـاد "جون ميشال أدام" في أعمالـه إلـى جهود سبقته، و لـم يتقوقـع علـى مـا أنتجته المدرسة الفرنسية، بـل كثيـرا مـا يستعرض مختلف الأعمـال العالميـة، وكـان متـأثرا بالدراسـات الانجلوساكسونية، فـي بدايـة أبحاثـه، ويمكـن إبرازهـا مـن خـلال كتابيه :

- Eléments de Linguistique textuelle- الذي صدر سنة: 1990.

- Linguistique textuelle- الذي صدر سنة : 1999.

جمـع الكاتـب فـي عمليـه بـين التنظيـر و التطبيـق، حـاول فـي الكتـاب الأول وضع الأسس المعرفية، والتأمل في الوحدات اللسانية التي تعرف كلاسيكيا بالروابط. كما عمل على تحديد معنى النص بدقة، قبـل تـحـديد مخـتـلف المخطـطات النصية و كان هدف الكتاب تحقيق براغماتية نصية.

و جـاء الكتـاب الثـاني عـن اللـسانيات النـصية، تطـويرا للأفكـار الـواردة فـي الكتاب الأول: << ذلك أن التحاليل النصية المقترحة سنة 1990 لا تراعي التحديدات النوعية التي تمثل محورا رئيسا في العمل الثاني >>[2] .

فالكتاب الثاني جاء مرتبطا بالأول، يهدف إلى مزيد من الدقة و التحديد، بعد سنوات من البحث، و الاطلاع على بحوث عالمية أخرى.

(*) : Email : Jean-Michel.Adam@Fmod.Unil.ch.

(1) :J.M. Adam, Linguistique textuelle. Des genres de discours aux textes Nathan, Paris 2004, P :17.

(2) : IBID, P :17

من أجل ذلك يهتم الكاتب بالوصف، و التنظير في مجال لسانيات النص، فيهتم بمقاربة النص و ومستوياته التركيبية ، انطلاقا من مجموعات من القضايا يتشكل منها النص ، يسميها الكاتب :

- الدورات PERIODES .

- المتتاليات SEQUENCES .

و هو ما يساعد بعد ذلك على تحديد المخططات النصية .

لكن قبل ذلك يلاحظ أن هناك نوعين من عمليات ربط القضايا، تحصر في ثلاثة مستويات تركيبية، يخضع كل واحد منها إلى عملية تقطيع شفهية أو كتابية لكنها تترابط في الأخير مشكلة دورات لتكتمل وحدة كبرى هي النص.

و الترسيمة التالية توضح ذلك [1] :

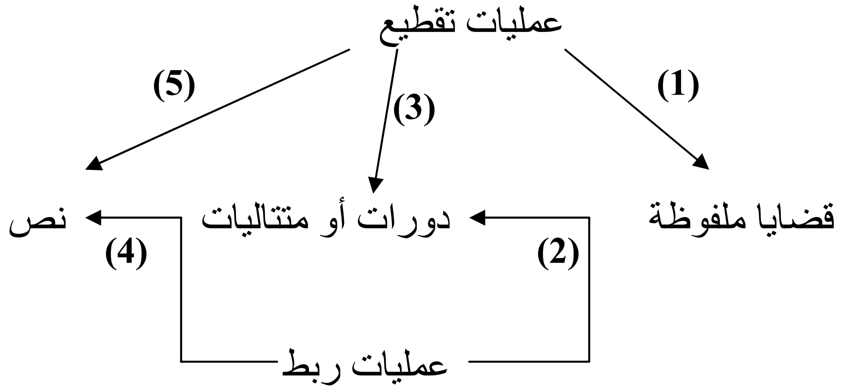

عملية تقطيع شفهية أو كتابية تعبر عن قضايا ملفوظة أو مكتوبة، تتكون منها جمل (أ)، أو مجموعة متتالية هي التي تشكل في الأخير النص، لكن النص لا يمكن أن يكون بدون عمليات ربط.

(1) : JEAN. M. ADAM,Linguistique textuelle, P : 47-48.

1- العلاقة بين القضايا :

إنّ تابع القضايا Proposition ، لابدّ أن يخضع للنمو و الانسجام ، وهو قبل ذلك يخضع لمجموعة أفعال :

1- فعل مرجعي Acte de référence: تكوين لتمثيل خطابي لأنّ ليس هناك كلام دون مرجع. تكون القضية وحدة قضائية دلالية صغرى

2- فعل التلفظ Acte d'énonciation : يتحقق ذلك من خلال موضوع الكلام .

3- فعل الربط Mise en relation ou liage : يكون ذلك من خلال عملية الربط بين القضية وغيرها من القضايا التي تليها لأنّها تشكل وحدة نصية مرتبطة بغيرها

أي أن قبل الربط بين القضايا في النص هناك مراحل تلخص كالتالي :

مرجعية ←——— التلفظ ←——— اختيار الرابط .

و الربط لا يكون ربطا بين الكلمات فقط، بل بين تتابع الجمل، و القضايا من خلال عملية الضم و الوصل، و هناك نوعان من الضم :

- ضم عام

- ضم متتابع

يتحقق الربط العام من خلال المفهوم ـ الكلاسيكي للدورة ، و هو ضم يمنح النص خصوصية أيضا ، و يمكن تمييزه نحويا من خلال الروابط النحوية، و من خلال أدوات الترقيم و مظاهر التكرار، و بذلك لا يمكن عزل أي جملة عن سياقها العام .

و بناءا على عملية الربط هذه يقدم الكاتب تعريفا نصيا للقضية ، على أنّها وحدة مرتبطة من خلال حركة مضاعفة، مكملة للتتابع الخطي و الهيئة التركيبية Configuration (1) .

(1) : Eléments de linguistique textuelle, théorie et pratique de l'analyse textuelle, MARDAGO,2éme ED ,1990 , P :36.

يلخص في الترسيمة التالية:

Uقضية ملفوظةU

مرجعية : بناء لتمثيل خطابي

التلفظ: عملية الربط

الوصل: تتابع و هيئة تركيبية

تثبت

توجيه

نصية

قضية ملفوظة أو مكتوبة، تحمل مرجعية ما، و عند التلفظ يكون الربط بين عناصر الجملة الواحدة، ثم يكون الوصل. و تتتابع القضايا لتحقيق هيئة تركيبية، أو ما يسمى بالنص.

U2- مخططات التنظيم النصي :

ينطلق"ج. أدام" في تحديد مخططات لتنظيم النص من جهود سابقة: من كتاب لميشال شارلون: مخططات التنظيم النصي Les plans d'organisation textuelle.

ثم لا يلبث "ج . أدام" أن يحور ما جاء في الكتاب السابق ، بحيث يرى شارلون أن مخططات تنظيم النص تحصر في أربعة مخططات هي :

1- التسلسل – La chaîne
2- المدى – La portée
3- الدورة – La période
4- التتابع - La séquence

و لا تشكل مع بعض مستويات ذات طابع بنيوي تركيبي (لأنّ الوحدات فيها لا تتداخل و تؤطر بعضها البعض لتشكل وحدة عليا) .

يستفيد "ج . أدام" مما ورد في كتاب شارلوس ، لكن يرى أنّ المخططات ستة بدل أربعة، و يختار مصطلح مقطع بدل المساق – التتابع الجملي – La séquence لتصبح المخططات حسب أدام كالتالي :

1- التسلسلات - Les chaînes
2- الفضاءات الدلالية - Les espaces sémantique
3- التقطيع النصي - La segmentation textuelle
4- الدورة - La période
5- البنية التتابعية – La structure séquentielle
6- البعد البراغماتي التركيبي La dimension pragmatique configurationelle

و الهدف من هذه القضايا هو وصف مختلف النصوص وصفا لسانيا P[1]P.

إنّ تتابع القضايا لا ينتج نصا منسجما إلاّ إذا توفرت شروط أهمها :

1- الإعلامية .

2- نمو النص .

3- الانسجــام .

فحسب الكاتب هذه أهم شروط النصية، و لتبين ذلك نأخذ المثال التالي: { إنّه الرجل الذي اشترى سيارة ، و أكل ، و غنى صباحا ، و أذى جيرانه ، و خرج باكرا و اتصل هاتفيا ، و تزوج } .

يلاحظ ضمن الجمل السابقة نموا، لكن دون انسجام ، و هو ما يؤدي إلى وصف التتابع السابق باللانص Non-texte بسبب غياب التكرار و الإعادة الكافية.

و من خلال تحليل الأمثلة يصل "أدام" إلى تحديد النصية على أنّها تواز دقيق بين استمرارية التكرار من جهة، و نمو المعلومة من جهة أخرى P[2]P .

بحيث يتحقق نمو النص من خلال أنّ المسند Rhème في الجملة الأولى مثلا يصبح مسندا إليه Thème في الجملة الثانية و هكذا، و هو ما يؤدي إلى انسجام النص في الأخير .

مثال: بحيث تكون جملتان متتاليتين في النص، ترتبطان ارتباطا مباشرة بغير أداة.

[ح$_{B1}$B ، ح$_{B2}$B] ---> ح$_1$B Φ$_B$ ح$_B$B$_{B2}$ P[3]

لأن النص هو تتابع تركيبي موجه، متكون من وحدات (القضايا) مرتبطة فيما بينها، و تنمو نحو نهاية P[4]*P .

و عند تحليل النص لابدّ من نظرة شاملة له، لأنّه كل منسجم تكون فيه القضية عنصرا دالا من هذا النص.

(1) : J.M. Adam. Eléments de linguistique textuelle, théorie et pratique de l'analyse textuelle, P :51.

(2) : IBID, P :45

(3): الأزهر الزناد، نسيج النص، ص:28.

(4) : J.M. Adam. Eléments de linguistique textuelle, P :49.

(*): يقترب تعريفه للنص مما ورد في التراث العربي الإسلامي، انظر ص:10.

2-1 ـ دور الإحالة في الربط بين الجمل :

غالبا ما يتحقق الربط بين الجمل من خلال مظاهر التكرار (الإحالة) التي تسمح بتتابع موضعي ، لكن إذا كان التكرار شرطا ضروريا و مهما فهو غير كاف لتحقيق الانسجام ، تكون الإعادة – التكرار- الإحالة – من خلال بعض خواص اللغة:

- الضمائر .
- التعريف .
- المرجعية : من خلال أسماء الإشارة في السياق نفسه .
- إبدال معجمي .P (1)P.

نطلق على ما سبق العناصر الإحالية و هي قسم من الألفاظ ، لا تملك دلالة مستقلة بل تعود على عنصر، أو عناصر أخرى مذكورة في أجزاء أخرى من الخطاب فشرط وجوده هو النص P(2)P .

تمنح الإحالة في النص انسجامه، كما تمنحه أيضا نموه، كما هو واضح في المثال التالي : { تكلم UالUرجل ، و ذكر ضربا من ضروب UالUشعر لم أفهمه ، و قام فأحضر كتابا يشرح فيه ما يقول، فكان ذلك الكلام لغوا لا يستفاد منـUهU }.

جاء النص السابق منسجما، يعرف نموا (لدور الإحالة فيه)، الإحالة من خلال الضمير :

- الضمير : أفهمUهU .
- التعريف : UالUرجل .
- اسم الإشارة : ذلك .
- الإبدال المعجمي : الكلام ،ا لغو .

---

(1) : IBID P : 52

(2) : انظر ، الأزهر زناد ، نسيج النص ، ص : 118 .

و اهتمام "أدام" بالبنية الإحالية في النص ، خاصة بالروابط الحالية السابقة يعود إلى طبيعة النص نفسه، ذلك أن النص جملة من العناصر يترابط بتوفر الروابط التركيبية، و الروابط الإحالية، الروابط الزمانية، و لا يكاد نص يخلو من ضمير عائد أو اسم إشارة أو اسم موصول أو غيرها من المعوضات [1] . بحيث تتآزر العناصر الإشارية و الإحاليةفي الربط بين الجمل.

أي أنّ النص هو تتابع خطي يتكون من فقرات، تشكل دورات أو متتاليات تجمعه وحدة دلالية، أو براغماتية، أو وحدة تمثيلية، يلخص ذلك في الترسيمة التالية [2] :

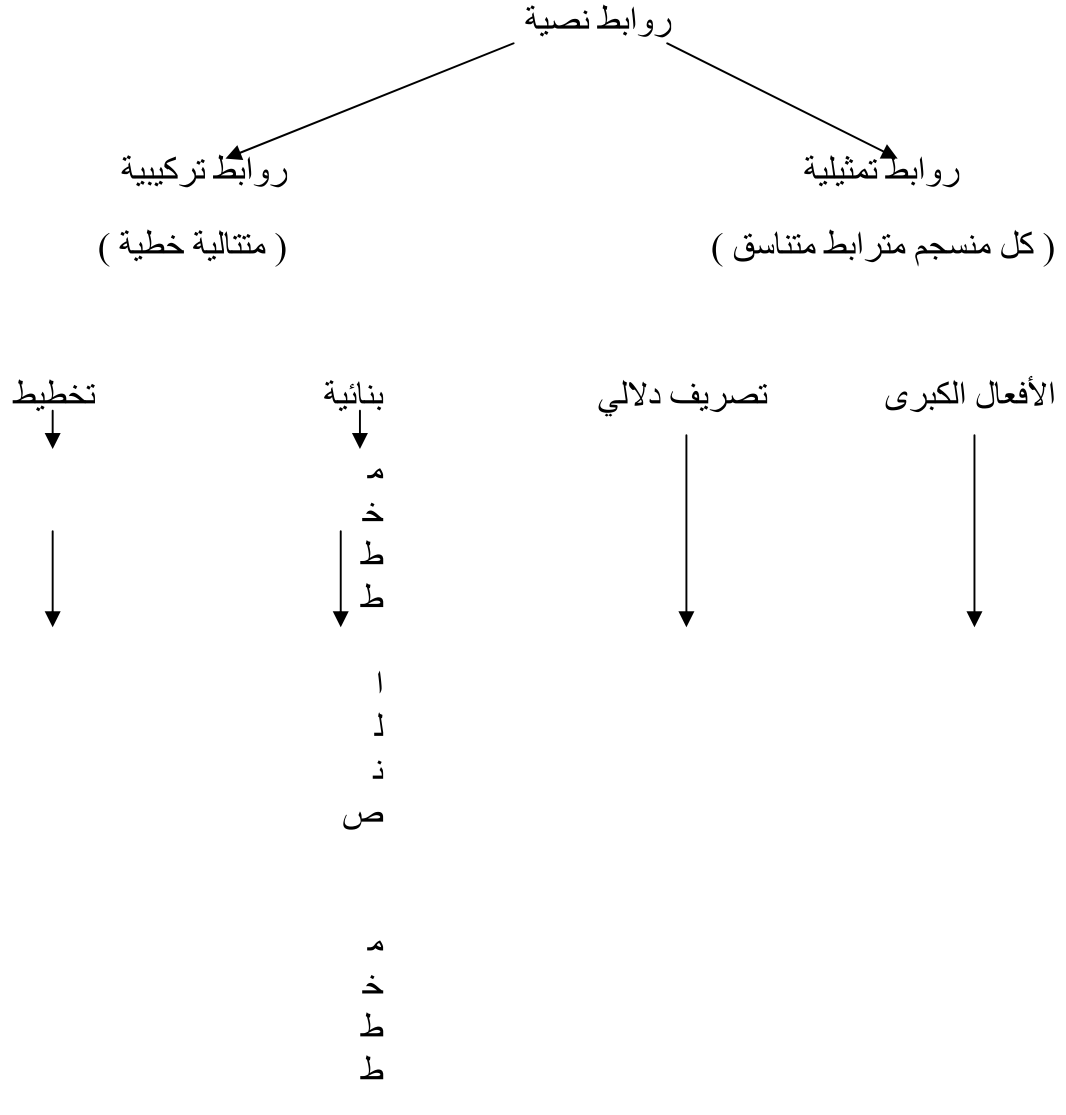

ا
لـ
نـ
ص

مـ
نـ
ا
سـ
بـ
تـ
ي

ا
صـ
ط
لا
حـ
ي

الـــنص

<< يتألف النص إذن من عدد من العناصر تقيم فيما بينها شبكة من العلاقات الداخلية التي تعمل على إيجاد نوع من الانسجام، و التماسك بين تلك العناصر>>P(3)P.

(1) : انظر ، المرجع السابق ، ص : 121 .

(2) : J.M. ADAM LINGUISTIQUE TEXTUELLE, P :68.

(3): سعيد حسن البحيري، دراسات لغوية تطبيقية في العلاقات بين البنية و الدلالة، مكتبة زهراء الشرق د.ط، د.ت، القاهرة، ص 78.

2-2 - الفضاءات الدلالية :

بالانتقال من الروابط إلى الفضاءات الدلالية، يكون تغير مستوى التحليل ففي الحالة الأولى تبرز استمرارية، و نمو السياق .

أما في حالة الفضاءات الدلالية، يكون الانتقال، و الدخول إلى البنية الدلالية و اللفظية للخطاب. و قد يكون الخطاب متكونا من عدّة فضاءات دلالية، لكن هناك دائما فضاء يوحده .

إنّ المفهوم الدلالي للترابط يهدف إلى الإجابة عن سؤال جوهري .

كيف يمكن فهم نص و تحقيق وحدته ؟ حتى في حالة نص معقد.

تعمل الفضاءات الدلالية التي يتكون منها النص عل الإجابة على هذا السؤال بإعطاء كافة المعلومات و الحقائق البارزة عن عالم النص.

2 – 3 – التقطيع La segmentation:

يبرز دور التقطيع في منح النص تخطيطا خاصا به Un plan du texte، فهو الذي يدل على الفصل ، أو تغير الفقرة ، و حتى العناوين الفرعية ، و العناوين الكبرى ، و أدوات الترقيم التي تعمل على توجيه القارئ ، كما أنّها تعمل على تحقيق وحدة النص بعد ذلك.

يبدو ذلك واضحا في الاستقلال بين الفصول أو الفقرات، و هو أوضح من استقلال العبارات، و يتعهد الوقف للتعبير عن هذه النسبية من خلال تناسق مدته مع درجة الاستقلال، فعلى مستوى الجملة، حيث تتماسك النفسي للعناصر يتضاعف منها تماسك تركيبي، و لجأت اللغة المكتوبة مهمة التعبير عن هذه العلاقات[1].

كما يتجلى ذلك أثناء قراءة النص، حيث تتحول القراءة إلى تقنية لتحليل النص، فتكون العملية الأولى التقطيع ثم وضع وحدات النص في إطارها بالانتقال من وحدة نصية إلى أخرى. فالوحدات الشكلية توضع في علاقات معنوية، خلال قراءة متتابعة[2]. تبدو الوحدات الشكلية في العلامات التنغيمية و العلامات الوقفية خاصة.

---

(1): جون كوين، بناء لغة الشعر، تر، أحمد درويش، ص:71.

(2): فضاء الانترنيت: La segmentation des textes par l'étude des la ponctuation www.lalic.paris4.sorbonne

و خير مثال على دور التقطيع نأخذ تصميم الجريدة و تقسيمها إلى عدة صفحات، و أعمدة، و مواضيع: صفحة خاصة بالأخبار المحلية، و أخرى بالأحداث الدولية، بالرياضة و غيرها.

(كما يتجلى دور التقطيع أكثر في الشعر المعاصر، في منحه خصوصية في تخطيطه و تصممه الخاص).

و يتجلى في الرواية لأنّه يمنحها مخططا معياريا، فقد تكون مقسمة إلى فصول معنونة أو غير معنونة ، و قد تكون غير مقسمة.

و هذا ما نجده في الشعر المعاصر، حيث أصبح لتخطيط القصيدة، و رسمها الهندسي، بل البياض و السواد في الصفحة دلالتها التي ترتبط بالبناء الفني لهذه القصيدة و مضمونها.

2– 4 الدورة La période:

يمكن تعريف الدورة على أنّها مجموعة من الجمل المتعلقة بعضها ببعض من خلال روابط ، تحمل هذه الدورة معنى منته ، فهي تركيب تام المعنى ، لذلك فالأسلوب الدوري يتميز هو الأخر بالانسجام.

قد تكون الدورة متكونة من جزأين أو من أكثر، من ذلك الجملة الشرطية التي غالبا ما تتكون من جملتين : شرطية و جواب الشرط.

و إذا كانت الدورة تتكون من أربعة أجزاء، تصبح دورة مربعة، كما قد تكون مستديرة أم مثلثة، كما أن الدورة النحوية مرتبطة هي الأخرى بالدورة الإيقاعية، و تقوم أدوات الترقيم بدور واضح في إبراز الدورة الإيقاعية خاصة في الشعر المعاصر.

لكن" أدام" يقصد بالدورة مفهوما واسعا، فغالبا ما تتضح في النص السردي الذي يتميز بوجود وضعية بدئية و وضعية نهائية متطورة [(1)] .

---

(1) : J.M .ADAM, linguistique textuelle, P :98.

2 – 5 – البنيـة التسلـسلية التتــابع La structure séquentielle-:

يتكون النص من عدة جمل متسلسلة متتابعة، كوحدات تشكل النص و كمثال عن تجمع تلك الوحدات : رأينا الدورة ، و يمكن إضافة إلى جانب ذلك الحكي Le récit ، الوصف Description ، المحاجة ، الخ .

فالنص يتكون من عدد س من التتابع.

و كمثال على ذلك حكايات ألف و ليلة ، الخرافة. أي أن البنية التابعية هي أساس تكوين النص .

أي أن [≠ ن ≠ [تتابعات [وحدات كبرى [وحدات صغرى] [1].
الرمز ≠ يعني بداية و نهاية النص .

يتكون النص من تتابع الجمل هي الأخرى تتكون من جمل مركبة ، هي الأخرى تتكون من جمل بسيطة .

و هو ما يفسر وجود أنواع من النص : النص السردي ، النص الوصفي ، الحجاجي التفسيري الحواري .. .

و يختلف عن هذا التقسيم النص الشعري، كمثال على ذلك متتالية تفسيرية séquence explicative يمكن أن تحدد انطلاقا من :

- قضية 1 : من خلال سؤال جوهري لماذا ؟
- قضية 2 : تفسير ، لماذا ؟ لأنّ .
- قضية 3 : خاتمة : نتيجة ما سبق من طرح [2] .

---

(1) : J.M. ADAM. Eléments de linguistique textuelle; P:85.

(2) : J.M. Adam. Linguistique textuelle, P:72.

فالبنية التتابعية للنص هي التي تحدد بعد ذلك طبيعة النص ، و تحدد بنيته العليا . و هي بذلك تحقق انسجامه، و تلاحمه، و نموه ، و تعمل الروابط و أدوات الترقيم على تحديد هذا التماسك و الانسجام .

إنّ النص هو بنية ذات نظام رتبي مركبة، تتكون من س من التتابعات تامة أو غير تامة، من النوع نفسه، أو مختلفة النوع [(1)] .

يتفق" أدام" في تعريف البنية العليا مع ما جاء به "فان دايك"، و هي تختلف عن البنية الكبرى بأنّها لا تتعلق بمحتوى الخطاب، بل بشكله.لكنه يرى أن هذا المصطلح فضفاض، لأنّ هناك بنية عليا صوتية، و أخرى معجمية[(2)] .

ثم.يصل الكاتب إلى تحديد ثلاثة مستويات للتحليل، و توزيع المخططات السابقة عليها [(3)] .

<u>مستوى أ :</u> ما قبل لساني – مخطط الربط

البنية العليا شكليا

ترتيب الأحداث –الأحوال – للتصورات .

<u>مستوى ب :</u> البنية التتابعية .

بB_1 $_B$: تنظيم لساني متدرج لكل أشكال وضع النص .

(الجمل المركبة (تتابع الجمل (النص) **.**

بB_{B2} : تنظيمات لسانية نوعية (أنواع التتابعات) .

---

(1) : J.M. Adam Elément de linguistique textuelle. P :91.

(2) : IBID, P :96-97.

(3) : IBID, P :96.

مستوى ج : النصية .

جB_1 : الحقول الدلالية .

جB_2 : التقطيع (تصميم النص أدوات الترقيم) .

جB_3 : الدورة و التقويس .

جB_4 : الترابط المتسلسل

2- 6 - التوجه البراغماتي التمثيلي :

إنّ النص كل متكامل، يمكن الانتقال فيه من العلاقة الخطية للربط بين الجمل إلى علاقة أخرى غير خطية تتعلق بالتماسك، و الانسجام، و بدور المتلقي أيضا.

و لتحديد الوحدة الدالة للنص (الخطاب) يقترح الكاتب ربطها بالبعد البراغماتي أو التمثيلي [(1)] .

يتجلى دور القارئ في قدرته على تلخيص الخطاب أو تقديم عنوان له ،... أي تحديد البنية الكبرى وموضوعة الخطاب .

كذلك يجب التمييز بين المظهر البراغماتي لبناء البنية الكبرى الدلالية، و بين مظهر أكثر اتساعا لبناء التشاكل (أو العديد من التشكلات) التي تسمح بتفسير التماسك في الخطاب [(2)].

إنّ البنية المتعددة التشاكلات للنصوص (الأدبية خاصة) لا تكون في غياب تماسك النص، و يمكن الحديث عن نواة المعنى أي الموضوعة، أو بعبارة أخرى البنية الكبرى [(3)]. إضافة إلى ذلك، فحتى يكون النص متماسكا منسجما، لابدّ أن يكون له تثبيتلت لفظية Ancrages énonciatifs بشكل صريح أو ضمني.

---

(1) : IBID : P : 98

(2) : IBID :P :100

(3) : IBID :P : 101

لذلك فإنّ فهم النص و الوصول إلى بنية الفعل الكبرى Macro-acte يتطلب الإجابة عن سؤال براغماتي:

ما هدف النص ؟

و لماذا أنتج ؟ P[(1)]P.

و هو يبين كفاءة المتلقي في تحديد أهداف النص، و يساهم في الكشف عن أبنيته.

3- من أجل براغماتيـــة نصيـــة :

يقوم التحليل النصي على التمييز بين المفاهيم التالية:

1- الرابطيةConnexité **2-** الترابط Cohésion.

3- الانسجام في النص Cohérence .

يساعد تحديد المفاهيم في، تحديد المجال البراغماتي النصي.

يلاحظ في هذا الشأن ، أنّه لابدّ من كفاءة التواصل Compétence de communication التي تسمح بفهم، و تأويل النص، كما تسمح بتكوين، و إنتاج ملفوظات موصولة و مرتبطة و منسجمة. فالأمر مرتبط بالقارئ (المتلقي) و منتج النص أيضا.

إلى جانب ما سبق يربط "ج م أدام" بين المفاهيم التالية : الرابطية –Connexité و الانسجام - Cohérence، و النمو - Progression.

3-1- الرابطية:

و تتعلق بالعلاقات و الروبط النحوية المختلفة. و وجود الربط بين الكلمة و الأخرى و الجملة، و الأخرى دليل على الربط بين الألفاظ و المعاني، فالنص لا يخلو من الروابط التي تسهم في فهمه، و تأويله.<< و يرتكز انسجام النص ووحدته على مجموعة من العناصر تشطل الروابط المختلفة جزءا أساسيا منها. إذ أنّها وسائل لغوية تعمل على تنظيم عناصر عالم الخطاب، كما أنّ انتظام الجمل في النص دليل على انتظام العناصر المكونة لعالم ذلك النص>>P[(3)]P.

(1) : J.M. Adam, Linguistique textuelle, P :79.

(2) : J.M. Adam, Eléments de linguistique textuelle, P:41

(3): سعيد حسن البحيري، دراسات لغوية تطبيقية بين البنية و الدلالة، ص:79-80.

3-2-الانسجام:

مفهوم دلالي...، و فعل سياقي - Cotextualité ، يمكن الكشف عن ذلك من خلال مفهوم التشاكل.
كما سيتضح ذلك من خلال المثال التالي:

- إنّ الحاسوب خزين، منذ أن أصبح حصانه من غير عجلة...

نلاحظ عدم تماسك و انسجام في النص السابق بسبب هذا التنافر بين المقومات (+حيوان) و (- حيوان)، كذلك العجلة التي تنتمي إلى حقل يوافق (سيارة) و لا يوافق (الحصان) .... و غيرها ذلك.

لذلك يمكن الحديث عن تماسك – تشاكلي، و يدعم ذلك نظرية الحقول الدلالية التي تساعد في الربط بين قضايا النص.

لذلك ليس الانسجام خاصية لسانية للملفوظات، بل إنتاج لعملية تفسيرية من خلال حكم المتلقي على النص. ذلك أن المتلقي هو الذي يقوم بعملية فهم و تفسير النص، و قد يلجأ إلى تأويل ما يقال، معتمدا في ذلك على عناصر خارج النص تتعلق بثقافته، و إيديولوجيته فيوظف من أجل ذلك ذاكرته للربط بين القضايا التي تؤلف النص.

4- النص و السياق :

ترتبط لسانيات النص بالبراغماتية النصية، ذلك أنّ كلمة براغما الإغريقية تعني < الفعل > Action ، و البراغماتية تهتم بتحليل الخطاب من خلال دراسة فعل القراء إزاء الجمل التي تكون في الآخير النص، لذلك يمكن اعتبار البراغماتية نظرية تتعلق بمعلم الاجتماع P(2)P .

يتعلق مفهوم السياق بالبراغماتية، بعدما كان مرتبطا باللسانيات لأنّه يتحدد انطلاقا من المحيط الخارج لسانيات L'environnement extra-linguistique، فلا تخلو كل جملة مهما كانت من السياق الذي يفرض هو الآخر دور الذاكرة في هذا الشأن سواء أكانت ذاكرة قصيرة المدى أم طويلة المدى.

(1) : J.M. Adam, Elément de linguistique textuelle, P :110
(2) : J.M. Adam, Linguistique textuelle, P :119.

و لكي يقوم الكاتب بإبراز أهمية السياق في تأويل النص و فهمه ، يأخذ مثالا هو قول الجنرال ديغول عند زيارة الجزائر (4 جوان 1958) :

{JE VOUS AI COMPRIS } أي : { لقد فهمتكم }، يمكن أن يؤول الكلام بأن الجزائر تبقى فرنسية، لكن تبعا للأحداث آنذاك يبدو أن الجنرال ديغول يقصد أنّ الجزائر تصبح مستقلة.

إنّ مفتاح تحليل النص السابق، و تأويل خطاب الجنرال يستدعي الوقوف على السياق و وضعه في إطاره الاجتماعي، لأنّ غياب ذلك يؤدي إلى غياب فهم النص .

<< و يبدو جليا نظرا إلى الأحداث اللاحقة أنّ مقاصد الجنرال ديغول لم تكن أنّ الجزائر ستظل فرنسية (..) كيف يمكن أن نصف هذا الكذب في نظرية الأعمال اللغوية.. إنّ الجنرال ديغول و هو يقول :" أيها الفرنسيون لقد فهمتكم" إنما كان يقصد إدعاء أنه ينجز عمل إخبار، و كان يقصد مغالطة فرنسي الجزائر>>[1].
دليل على أن القول يخضع لظروف قوله، و علاقته بالمخاطبين.

و يفقد انسجامه بعيدا عن السياق الذي أنتجه.

يتبين لنا في الأخير، بعد تقديم مختلف الرؤى، المتعلقة بدراسة الانسجام في اللسانيات الغربية أنّ النظريات الغربية يخدم بعضها بعضا، و يلاحظ أنّه رغم اختلاف نتائج الأبحاث بين المدارس الأوروبية، و الأمريكية، فإنها تتداخل و تتكامل الأمر الذي أدى إلى اختلاف زوايا النظر إلى بعض المفاهيم، كمفهوم الانسجام بحيث ترى تلك الدراسات أن الانسجام من أهم معايير النصية، و هو يتحدد انطلاقا من العلاقات المنطقية التي تربط بين قضايا النص، سواء أكان مفهوم القضية مفهوما صوريا، أم مفهوما غير صوري، كما يتحدد انطلاقا من دور المتلقي في الخطاب و هو ما يجعل للانسجام بعدا براغماتيا.

(1): آن روبول، جاك موشلار، التداولية اليوم، ص:40.

البـاب الثاني:

الانسجام

في

الدراسات العربية الإسلامية

الفصل الأول :

من دراسة الإعجاز
إلى بيان
الانسجام في الخطاب القرآني

الفصل الثاني:

الجهود العربية الإسلامية
في
علم النص و دراسة الانسجام

الفصل الأول :

من دراسة الاعجاز الى

بيان الانسجام في الخطاب القرآني:

1- الاعجاز في ظل منظومة فكرية موحدة

2- الأسس الفكرية و الفلسفية للتفكير في إعجاز القرآن الكريم

2-1- الاتجاه التقليدي

2-2- الاتجاه الفلسفي

3- وجوه الاعجاز

3-1- الاعجاز خارج النص

3-1-1- الإعجاز بالصرفية

3-1-2- الإعجاز بالتأثير

3-2- الإعجاز داخل النص – بداية من الصوت إلى النص –

3-2-1- الإعجاز الإيقاعي

3-2-2- الإعجاز المعجمي

3-2-3- الإعجاز النحوي

3-2-4- الإعجاز الصرفي

3-2-5- الإعجاز الدلالي

3-2-6- الإعجاز النصي

- ترتيب الترتيل

- المناسبة بين الآية و السورة

3-3- الإعجاز الكلي – منظومة الإعجاز

لم تعرف البشرية عبر تاريخها الطويل، كتابا تحدى الأقوام، و الأجناس مثلما عرفت ذلك عن كتاب الله الذي أنزل من فوق سبعة سماوات، يتحدى العرب و العجم، بل يتحدى الإنس و الجن. يقول السيوطي << فقد كانت أكثر معجزات بني إسرائيل حسية لبلادتهم، و قلة بصيرتهم و أكثر معجزات الأمة العربية عقلية لفرط ذكائهم و كمال أفهامهم>>[1].

ذلك أن البشرية مرت بمراحل مختلفة، تفرض كل مرحلة معجزة خاصة و عندما بلغ العقل البشري مرحلة من النضج الفكري، اختار الله تعالى معجزة عقلية خالدة متجددة، و كانت أول كلمة أنزلت "اقرأ" إذانا بنهاية عصر المجزات و بداية عصر العلم. إنّ القرآن الكريم معجزة ، يثبت صدق رسالة النبي محمد – صلى الله عليه و سلم- في عهد كان العرب عباد بيان، قبل أن يكونوا عباد أوثان، فقد كان العربي يبدع في استخدام لغته، فينحت صورا بيانية، لا تقل جمالا عما كان ينحته فيد باس في المرمر[2].

فاهتزت أمام القرآن المشاعر، و تحركت العقول، و طربت له الأذان و عرف المؤمن منهم، و الكافر أنّ هذا الكلام لا يمكن أن يكون شعرا، و لا نثرا و لا كلاما مسجعا، و لا مرسلا[3]*. و لا هو بكلام الإنس، أو الجن. أما لماذا كانت معجزة النبي – صلى الله عليه و سلم- كتابا، فذلك لأنها آخر معجزة، و النبي – صلى الله عليه و سلم- آخر الأنبياء[4].

صار القرآن بالنسبة إلى المسلمين العرب، و غير العرب كتابا مقدسا و ظاهرة فنية خارقة، تمثل بداية لا ماض لها، و لم يجد المسلمون أنفسهم بحاجة إلى الكشف عن الإعجاز في القرنين الأولين، لأن القرنين يمثلان مرحلة الدهشة التي لا تسمح بالمناقشة.

---

(1): جلال الدين عبد الرحمان السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، المكتبة الثقافية، بيروت: 1973 ج:1، ص 116.

(2): انظر، مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، تر، عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق 2000، ص:6.

(3): انظر، عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، دار الكتاب اللبناني، لبنان 1960، ص:1093.

(*): نأخذ بهذا الرأي رغم اختلاف العلماء حوله.

(4): زغلول النجار، الاسلام و العلم الحديث، معجزة القرآن، ج1، الأثير لبرامج الكمبيوتر –الجزائر -VCD.

لكنّ إعجاز القرآن كان أول مسألة تواجه العقل العربي آنذاك، و كان أعقد مسألة أيضا. فبدأت حركة التأليف بداية من القرن الثاني الهجري، و ظهرت كتب عديدة تحاول أن تتناول الاعجاز بالتأمل و الدراسة، أهمها في تلك الفترة <مجاز القرآن> لأبي عبيدة معمر بن المثني التميمي(ت 210هـ) الذي ألفه 188 هـ للكشف عن معاني الألفاظ في مواضعها من النص القرآني، و عرض سبل التعبير القرآني.

و كتاب <تأويل مشكل القرآن> لابن قتيبة (ت276هـ)، الذي يعد من البدايات الأولى للبحوث البلاغية في ظلال القرآن و تفسيره، و كان هدفه من وراء ذلك هو الدفاع عن القرآن من محاولات التشكيك و الطعن فيه.

فنراه << اهتم بأمرين هامين جدا، و لهما خطورة كبيرة، و هما قضية التأويل و المجاز>>، اللذان وجد فيهما الطاعنون ثغرة، فحاولوا التسلل من خلالها إلى التعطيل و التشكيك (...)و التأويل على رأي ابن قتيبة: << هو استخراج مجهول من معلوم بفرض الانطلاق من مقدمات تهيئ التأويل من الزلل و تؤدي إلى نتائج سليمة و مستقيمة. أما المجاز عنده فهو قاسم مشترك بين اللغات جميعا لكن اللغة العربية انفرادية >>[1].

و لم تبدأ حركة التأليف بشكل واضح، إلا بداية من القرن الرابع الهجري لتحاول أن تبرز خصوصية القرآن الكريم، لغويا و أدبيا.
و أهم تلك الكتب:

- النكت في إعجاز القرآن للرماني، (ت 386 هـ).
- بيان إعجاز القرآن للخطابي، (ت 388 هـ).
- إعجاز القرآن للباقلاني، (ت 403هـ).
- دلائل الإعجاز، و أسرار البلاغة للجرجاني، (ت 471 هـ).

---

(1): رابح دوب، البلاغة عند المفسرين في نهاية القرن الرابع الهجري، دار الفجر للنشر، ط:1، بيروت 1997، ص:27.

1- درس هؤلاء الإعجاز، و وجدوا فيه سمة تظـهر الخصوصية فــي الـنص القرآنـي.

2- درسوا الأدبية لإبراز فرادة النص.

3- درسوا اللغة على أساس أنها أداة ايصال.

4- درسوا اللغة على أساس أنها غاية النص، و هدف إيصال[(1)].

كما تناول هؤلاء استقراء النص القرآني، و اكتشاف المزية فيه، أي خصوصيته محددين في الكثير من الأحيان مفاهيم جمالية، لم يعرفها النقد العربي، و لا البلاغة العربيــة من قبـل، ذلـك أنّ الكـثيـر مـن مؤلفـات تلك الفترة كانت تخلط بين الـنـقد و البلاغة[(2)].

(1): انظر، منذر عياشي، مقالات في الأسلوب، اتحاد الكتاب العرب، دمشق:1990، ص: 190- 191.

(2): انظر، الأخضر جمعي، قراءات في التنظير الأدبي و التفكير الأسلوبي عند العرب، رابطة الإبداع الثقافية، الجزائر: 2002، ص:11.

1- الإعجاز في ظل منظومة فكرية موّحدة:

تختلف النظرة العربية الإسلامية عن النظرة الغربية للإنسان و الحياة و الكون و تتأثر مختلف الدراسات اللغوية، و الفقهية، و حتى العلمية بهذه النظرة، فلا غرو بعد ذلك أن تتأثر مختلف الدراسات العربية الإسلامية بنظرة المسلم الفلسفية للوجود.

أصبح العربي بعد الإسلام، ينظر إلى الكون نظرة متميزة، فكل شيئ يتناعم و يرتبطمع الأشياء الأخرى، و كل شيئ لا ينفصل في تركيبه، و بنائه عما يحيط به، إنها رؤية تجعل الكون يبدو متناغما منسجما، و تجعل التراث بتعدد مشاربه و اتجاهاته متأثرا بهذه الرؤية، قائما على نظرة شمولية مّوحدة:

<<إنّ التراث منظومة فكرية واحدة، تتجلى في أنماط و انساق جزئية متغايرة في كل مجال معرفي خاص ... لم يكن سيبويه مثلا، و هو يضع البناء النظري و القوانين الكلية للغة العربية معزولا عن إنجازات الفقهاء، و القراء، و المحدثين و المتكلمين، و بالمثل لم يكن عبد القاهر الجرجاني، و من سبقه، و من تلاه من البلاغين يمارسون نشاطهم الفكري في مجال البلاغة خارج إطار علم الكلام و أصول الفقه (...) و من قبيل تحصيل الحاصل اليوم أن نقول أن علوم النقد و البلاغة لم تنعزل لحظة عن العلوم الدينية من كلام ، و فقه، و تفسير>>[1].

وكان لها منطقها الخاص الذي لا يمكن فصله عن الظروف التاريخية و السياسية السائدة آنذاك. نشأت البلاغة مثلا في أحضان الفلسفة ، و المنطق اليوناني ، و استفادت من علوم الفقه و اللغة و التفسير. لكنها بقيت كغيرها من الدراسات بعيدة عن النظام الفكري ، الذي نشأت و ترعرعت فيه ، لذلك من المهم جدا اليوم، الكشف عن العلاقات العضوية الخفية بين مختلف المعارف الإسلامية [2] و قبل ذلك ، لابدّ من ربط الصلة الوثيقة بين دراسة الإعجاز في القرآن و مختلف هذه المعارف .

إن القرآن الكريم دعوة للتأمل و التدبر في آياته و سوره. ، و كان أول سؤال يواجه العقل العربي.

---

(1) : نصر حامد أبو زيد ، إشكاليات القراءة و أولويات التأويل، المركز الثقافي العربي ط:2 ، الدار البيضاء 1992، ص:6.

(2) : انظر ، محمد مفتاح ، مجهول البيان ، ص : 11 .

- أين يكمن الإعجاز في القرآن الكريم؟

وإجابة عن السؤال المحير، ظهرت علوم البلاغة و نظرية النظم و غيرها.
و تقدمت في الثقافة العربية علوم اللغة على علوم البلاغة.
و حفاظا على القرآن ، و دفاعا عن الإسلام ، تكونت علوم اللغة العربية و الإسلامية فحفاظا على القرآن من اللحن ظهر النحو العربي ، و دفاعا عن الإسلام ظهرت الفلسفة باتجاهاتها المختلفة خاصة فلسفة المتكلمين.

لقد كانت الظاهرة الإعجازية أساس كل فكر، و كل اتجاه ، جعلت مختلف العلوم العربية الإسلامية تتفاعل، و تتكامل لتمنحها صبغة حضارية متميزة عبر التاريخ البشري .
إنَ الحضارة العربية الإسلامية حضارة كتاب بامتياز ، لا الكتاب بألف و لام التعريف، من حيث هو وعاء للوحي فحسب، بل كذلك الكتاب من حيث هو وعاء معرفة و الأداة الوحيدة لإنتاجها و تداولها P(1)P .

فلا غرو بعد ذلك أن نصف الحضارة الإسلامية بأنَها حضارة النص ، على أساسه نشأت و به ازدهرت و تطورت ، رغم أنها لم تنعزل يوما عن التيارات الفكرية و الفلسفية الأجنبية الوافدة، بعدما عرف العرب و المسلمون حركة الترجمة و الاحتكاك بالأقوام الآخرين.

(1): انظر، جورج طرابيشي، نظرية العقل، دار الساقي، ط:2، بيروت 1999، ص:360.

2- الأسس الفكرية و الفلسفية للتفكير في إعجاز القرآن :

كانت الثقافة العربية الإسلامية استجابة منفرذة ترتبط ببنية اللغة العربية و الدين الإسلامي إلاّ أن ذلك لم يمنعها من الأخذ من الثقافات الأجنبية.
و يمكن أن نختزل تلك الاتجاهات الفكرية في :

1- الاتجاه التقليدي .
2- الاتجاه الفلسفي و المنطقي .

2-1- الاتجاه التقليدي :

هو اتجاه سلفي النزعة، سني الصبغة، تغلب عليه الثقافة الأصلية الدينية فمرجعيته الكتاب و السنة، و صحابة رسول الله(صلى الله عليه و سلّم)، و التاريخ الإسلامي العربي .
يتجلى هذا الاتجاه بشكل واضح في كتب التفسير التي تلجأ إلى التفسير بالمأثور، و الدراسات البلاغية التي ترى أن المزية في المعنى ، لأنَ الكلام عبارة عن معنى قائم في النفس، و تؤمن تلك الدراسات أن كلام الله قديم و هو عبارة عن معنى قائم في ذات الله[1] .

2-2- الاتجاه الفلسفي و المنطقي :

عمل العرب على ترجمة الفلسفة اليونانية، و المنطق الارسطي بشكل خاص متَبعين في أحيان كثيرة ، و مبدعين حينا أخر . مصيبين الفهم تارة ، و مسيئين الفهم و الصواب تارة أخرى . فقد أجمع معظم الدارسين على وجود التأثير اليوناني الذي تتجلى أبرز ملامحه في الشعر و المنطق ، و المنهجية النقدية .

بحيث لم يقتصر تأثير الثقافة اليونانية على الأدب وحده ، بل تعداه إلى المنهجية النقدية فزودت الفلسفة اليونانية العقل العربي بقدرات عقلية أكبر.
فأصبح العقل العربي يلجأ إلى استقراء النصوص لحصر المادة المدروسة و لاستنباط قوانينها، كما فعل عبد القاهر الجرجاني لبناء مفهوم النظم[2].
كما أصبح قادرا على القياس للوصول إلى المعرفة اليقينية .

(1): انظر علي مهدي زيتون، إعجاز القرآن و أثره في تطور النقد الأدبي من أول القرن الحادي عشر إلى القرن الثالث عشر، دار دمشق، ط:1، بيروت 1992، ص:23.
(2): انظر: الأخضر جمعي، قراءات في التنظير الأدبي و لبتفكير الأسلوبي عند العرب، ص:13.

و ســاهم ذلك في تطوير عـلم الكلام و الدفاع عن الانسجام في النص القرآني و سمـو كلام الله ، و يتجلى هذا التيار بشكل واضح في كتب التفسير الاعتزالي التي تقدم العقل عن النقل و الرواية مستخدمة التأويل، جاعلة للفظ الواحد أكثر من معنى معتمدة في الكثير من الأحيان على المجاز.

و يختلف التيار الاعتزالي عن تيار أهل السنة ، بأن يتجه المعتزلة من الدال إلى المدلول، و يتجه الأشاعرة من المـدلول إلى الـدال في إثبـات الإعجـاز القرآني. و يتضح إصرار المعتزلة على أنّ إثبات النظم لا يتحقق إلا من خلال الدال..
إنّ المعاني لا يقع فيها تزايد، إنما يقع التزايد في الألفاظ التي تعبر عنها. و هو المبدأ الذي يمثل النظرية الاعتزالية في مقابل المبدأ المضاد الذي اختص به الأشاعرة[1]... يتضح مما سبق تأثير الثقافة اليونانية [*] في بعض القضايا النقدية و القضايا البلاغية البيانية. يضاف إلى ذلك فإن المنطق الارسطي قد منح العقل العربي القدرة على التبويب، و التصنيف بشكل منهجي، رغم أنّ تلك الدراسات جاءت مقتضبة، و مشتتة، بسبب الثقافة الموسوعية التي تطغى على ذلك العصر.

يرجع ذلك إلى تأثير الترجمة، فقد ظهر تأثير الترجمة في تنسيق الكتب و تبويبها، و العناية بالتنظيم، و القياس، و التقسيم، و المقارنة، و التسلسل في عرض الأفكار و الآراء و المذاهب و المعتقدات. و بعد أن لم يكن للعرب سوى خطرات الفكر و فلتات الطبع فقد غدوا فحولا في التمحيص، و التحليل، و مثلا يحتذى في سير الأغوار، و الغوص على المعاني[2].

ألفت العديد من المجلّدات إذانا للبحث في إعجاز القرآن الكريم ، في مختلف المجالات و المعارف : تفسيرا ، و نحوا ، و بلاغة ، و نقدا . و هو ما أدَى إلى تطوير هذه المعارف ، بحيث انطلقت من سؤال جوهري :

- أين يكمن الإعجاز؟

ثم اختلفت حول الأسس النظرية، و الفكرية، فاختلفت النتائج و الدراسات و تنوعت.

---

(1): انظر، سعيد حسن البحيري، دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية و الدلالة، ص:160.

(*): لا يعني ذلك أن العرب لم يتأثروا بالثقافات الأخرى، الهندية و الفارسية خاصة، لكن تأثير هذه الثقافات كان محدودا مقارنة بالثقافة اليونانية، و ارتكز بشكل واضح في الجانب الجمالي و الفني.

(2): محمد عبد الرحمن مرحبا، الموسوعة الفلسفية الشاملة (من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية) عويدات للنشر، ط:1، المجلة1، بيروت 2000، ص:335.

3 - أوجـه الإعجـــــاز:

من القضايا التي شغلت الإعجازيين، محاولة تحديد أوجه الإعجاز بدقة ، لكن بقيت تلك الدراسات اجتهادات مبعثرة، لم تصل إلى حسم القضية في إجابة نهائية.

المهم أنّ دارسي الإعجاز قد اكتشفوا وجوها عديدة للإعجاز. فقام هذا الأخير بدور ثنائي. شجَع حركة التأليف من جهة، و ساعد على تطوير الكثير من المعارف و المفاهيم من جهة أخرى، و لا يعني ذلك أنّ للعرب السبق في تأثير النص المقدس على مختلف العلوم، خاصة على علم اللغة .. فالهنود هم أسبق الأمم في دراسة كتابهم المقدس < الفيدا >، كما عرف اليونانيون، و المصريون القدماء و السريان، و العبرانيون، و الصينيون مثل هذه الدراسات، لكن ارتبط ظهور الدراسات اللغوية عند العرب مثلا بنزول القرآن، فلهم السبق في كيفية التأثير و مدى التأثير (1).

و يبدو هذا التأثير بشكل جلي عند محاولة تحديد وجوه الإعجاز ، التي يمكن تصنيفها في ثلاثة أنواع و أوجه : - الإعجاز من داخل النص – الإعجاز من خارج النص – الإعجاز الكلي.

3-1- الإعجاز خارج النص :

3-1-1-: الإعجاز بالصرفة :

تحدى القرآن بلغاء العرب على أن يأتوا بسورة من مثل القرآن، فعجزوا مع أن القرآن بلغة قريش، و بألفاظ عربية. لذلك رأى بعض العرب أن الله صرفهم بقدرته على الإتيان بمثله، و عن قبول التحدي يأخذ بهذا الرأي إبراهيم بن يسار المعروف بالنظام من المعتزلة (2)، و طوره من بعده القاضي عبد الجبار :

<< و هذا قول فاسد بدليل قوله تعالى :

{ قُل لَئِن اجتَمَعَتِ الإنس و الجِن عَلَى أن يَأتُوا بِمِثِل هَذَا القُرآن }

فإنه يدل على عجزهم مع بقاء قدرتهم و لو سلبوا القدرة لم تبقى فائدة لاجتماعهم لمنزلته منزلة اجتماع الموتى، وليس عجز الموتى مما يحتفل بذكره ، هذا مع أن الإجماع منعقد على إضافة الإعجاز إلى القرآن، حيث سلبهم القدرة على الإتيان بمثله، و أيضا فتلزم من القول بالصرفة زوال الإعجاز بزوال زمان التحدي و في ذلك خرق لإجماع الأمة أنّ معجزة الرسول باقية >> (3)

---

(1): انظر، أحمد نعيم الكراعين، علم الدلالة بين النظر و التطبيق، المؤسسة الجامعية للدراسات ط:1 بيروت 1993، ص:7.

(2): انظر: أبو الفتح، محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، الملل و النحل، تحقيق، أمير علي و علي عيسى، دار المعرفة، بيروت 1997، ج:1، ص:67.

(3): جلال الدين السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، ج:1، ص:118.

لذلك يبطل رأي الإعجاز بالصرفة لثلالة أسباب:

1- الدليل القرآني الذي يعلن التحدي للإنس و الجن.
2- صفة الإعجاز الملازمة للقرآن.
3- خلود النص القرآني.

3-1-2- الإعجاز بالتأثير :

يمكن الاستدلال على إعجاز القرآن مما هو خارج النص ، من خلال تأثيره على المتلقي هذا التأثير لم يقتصر على الإنس بل على الجن أيضا :

{ قُل أوحِيِ إلى أنَه استَمَعَ نَفَرُ مِنَ الجِنَ فقالُوا إنَا سَمِعنَا قُرآنًا عَجَبًا }(الجن:1)

بل تعداه إلى الجماد، يقول الله تعالى :

{ لَو أنزلنَا هَذَا القُرآنَ عَلَى جَبَلِ لَرَأيتَه خَاشِعًا مُتَصدِعًا مِن خَشيَةِ الله ، وَ تِلكَ الأمثَالُ نَضرِبُهَا للنَّاسِ لَعَلَّهُم يَتَفَكَرُون } (الحشر : 21)

كان تأثير القرآن عجيبا على العرب، حين نزل، و يبدو هذا التأثير جليا فيمن آمن به بعد سماعه لبضع آيات : كعمر بن الخطاب ، و فيمن لم يؤمن به كالوليد بن المغيرة ، و لما لم يجد كفار قريش من تفسير لتأثير القرآن على الأنفس ، قالوا عنه أنه سحر يؤثر ، و أمروا باللغو فيه.

كذلك يتجلى تأثير النص القرآني على المتلقي، فيما يصنعه من شخصيات و في قدرته على تغيير الأنفس و بنائها بكلمات. لتصبح شخصيات خالدة لم يعرف التاريخ مثلها من قبل، و لا من بعد كشخصية أبي بكر ، و عمر بن الخطاب و خالد بن الوليد ، و غيرهم من عظماء الإنسانية.

و قد تنبَه الدارسون قديما إلى تأثير القرآن على السامع، و حاولوا البحث في جماليات التلقي، و إن لم يقصدوا إلى ذلك قصدا، و توصلوا إلى الكثير من النتائج التي عرفتها نظرية الاستقبال الغربية، التي لم تتبلور إلاّ بداية منذ القرن العشرين.

3-2 الإعجاز داخل النص :

كان لابدَ من تجاوز فكرة الإعجاز من خارج النص، و البحث في الإعجاز داخله، فهل كان إعجاز القرآن يعود إلى ما تضمنه من أخبار، و قصص عن الأقوام الغابرة ؟ أم لما يحمله من أمور غيبية مستقبلية ؟ أم في حسن تأليفه و فصاحته و بلاغته ؟ أم في أسلوبه الغريب الذي لم يعرفه بلغاء العرب من قبل ؟.

لذلك اختلف الدارسون حول أوجه الإعجاز ، و انقسموا فيما بينهم ، لكن يمكن حصر أوجه الإعجاز المختلفة في مستويات هي مستويات التحليل اللغوي الخمسة :

1- المستوى الصوتي .
2- المستوى الصرفي .
3- المستوى النحوي .
4- المستوى المعجمي .
5- المستوى الدلالي .

- إضافة إلى مستوى سادس هو المستوى النصي .

تنبه علماء العرب قديما إلى التحليل اللساني للنص، و هم يدرسون النص القرآني من الداخل، لكن كان النظر إلى هذه المستويات منفصلة عن بعضها البعض دون تكامل أو تتابع و هو ما جعل التحليل يتسم بالجزئية و التفتت.

3-2-1- الإعجاز الإيقاعي :

كان جمال الإيقاع في القرآن أول شيء اهتزت له الأذان العربية، و كان ذلك مثار جدل، و اختلاف بين الدارسين ، و كان أول سؤال:

هل في القرآن سجع ؟ .

رأى الكثير من النقاد و الدارسين أنه لا يمكن وصف كلام الله تعالى بالكلام المسجع، و عملوا على استبدال مصطلح السجع بالفاصلة، لأن السجع لغة مقترن بسجع الحمام، كما أنه يدل على خضوع المعنى للزخرفة اللفظية، و هو ما لا يليق بكلام الله لذلك فالقرآن معجز لجمال وقعه في الأذن و النفس، و مما زاد جمال الإيقاع فيه هذا الانسجام الصوتي، و التناغم بين الكلمات و الأصوات، أخذ بهذا الرأي الزركشي، الرماني، و الباقلاني [(1)] .

أما الفاصلة، فهي آخر كلمة في الآية كقرينة السجع، و قافية الشعر ، و سميت بذلك لأن آخر الآية فصل بينها و بين ما بعدها، و أخذا من قوله تعالى :

{ **كِتَابُ فُصِلَّت آيَاتِهِ** }(فصلت: 3) [(2)] .

يكون الوقف عند الفاصلة، و ذلك لا يخلو من فوائد منها: << إبراز ملامح الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم من خلال انفتاح السياق لمعطيات متنوعة من أوجه المعنى بناء على وقوف اضطراري تارة، و على اختياري أخرى، مما يؤكد بلاغة القرآن، و انطوائه على أسرار تنقدح عنها أذهان المفسرين>>[(3)].

كما تظهر أهمية الفواصل عند التلاوة، حيث يتجلى النظام الإيقاعي المتنوع خدمة لتنوع الدلالات التي تحملها الآيات، من أجل ذلك اهتم أسلافنا بعلم التجويد و البحث في دقائق حق الصوت كتابة، و نطقا، مثلما اهتموا بعلم الترتيل، و مختلف الظواهر الإيقاعية. المهم أنّ للفاصلة قيمة صوتية، ذات وظيفة دلالية.

(1): انظر، الزركشي، البرهان في علوم القرآن تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، دار الجيل، بيروت ج:1، ص:54.

(2): انظر: عبد الرزاق علي ابراهيم، المحرر الوجيز في عد آي الكتاب العزيز، مكتبة المعارف الرياض1998 ط:1 ، ص:33.

(3): زيد الخير مبروك، ظاهرة الوقف و أثرها في تغيير المعاني النحوية في السياق –سورة النساء أنوذجا- إشراف محمد العيد رتيمة، مخطوط بحث لنيل شهادة الماجستير، كلية الآداب و اللغات، و جامعة الجزائر، سنة 2001، ص:13.

(4): فضاء الأنترنيت – الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم - yataba.com.archive/index

3-2-2- الإعجاز المعجمي :

يختلف هذا الكتاب السماوي عن غيره من الكتب و النصوص شكلا و مضمونا، و اسما. فقد اختار الله تعالى لكتابه اسما مغايرا : القرآن ، كما أن من خصائصه أن له عدة أسماء أوصلها بعضهم إلى ما يزيد عن تسعين صفة، من ذلك: الكتاب ، و الذكر و الفرقان ، و النور

لكن العلماء اختلفوا حول اسم القرآن، هل هو اسم جامد أم اسم مشتق و انقسموا إلى ثلاث فئات :

أ- فئة ترى أن القرآن اسم جامد .

ب- و فئة ترى أن القرآن اسم مشتق، وأن النون في الكلمة أصلية، و على هذا فالاسم مشتق من مادة قرن، مأخوذ من قرنت الشيء أي ضممته [1] .

بينما رأت طائفة أن النون أصلية لكن الاسم من القرائن جمع قرينة، لأن آياته يشبه بعضها بعض .

ج- ورأت فئة ثالثة أن الألف أصلية ، ثم اختلفوا ، فقالت طائفة أن القرآن مصدر مهموز بوزن الغفران، مشتق من قرأ بمعنى تلا، سمى به المقروء تسمية للمفعول بالمصدر .

و قالت طائفة أخرى إنه وصف على وزن فعلان، مشتق من القرء بمعنى الجمع [2] .

يلاحظ مما سبق أن كلمة القرآن تدل على الضم و الجمع ، و التلاوة ، أما أصل التلاوة فهو الاتباع قال الراغب :

<< التلاوة تختص باتباع كلام الله المنزل بالقراءة تارة و أخرى بالارتباط لما فيه من أمر و نهي و ترغيب و ترهيب >> [3] .

تعني كلمة ترتيل اصطلاحا إحدى أساليب التلاوة الصحيحة ، فيقصد بها لغة ما يلي يقال : ثغر مرّتل أي مفلّج مستوي النبتة ، حسن التنضيد ، و الرتل : حسن تناسق الشيء، و رتلَ الكلام ترتيلا : أي أحسن تأليفه و آبان و تمهل فيه [4] .

فالترتيل : يدل على حسن التأليف و التناسق و الانسجام .

---

(1) : عبد اللطيف فايز دريان ، التبيين في أحكام تلاوة الكتاب المبين ، ط : 1 ، دار المعرفة بيروت 1999 ص : 22 .

(2) : انظر، المرجع نفسه ، ص : 24 – 25 .

(3) : محمد بن يعقوب الفيروزابادي ، القاموس المحيط ، تحقيق مكتب تحقيق التراث، مؤسسة الرسالة ط:6 بيروت 1998 ، ص : 1265 .

(4): انظر، ابن منظور، لسان العرب ، مادة رتّل ، المجلد 11 ، ص : 265 .

أما كلمة السورة، فتحمل هي الأخرى دلالات مختلفة، قال القتيبي :

<< السورة تهمز و لا تهمز فمن، همزها جعلها من أسأرت أي فضلت من السؤر. و هو ما بقي من الشراب في الإناء ، كأنها قطعة من القرآن (...) ، و منهم من شبهها بسور البناء، أي القطعة منه، أي منزلة بعد منزلة.

و قيل من سور المدينة لإحاطتها بآياتها، و اجتماعها كاجتماع البيوت بالسور و يحتمل أن تكون السورة بمعنى الرتبة ، لأن الآيات مرتبة في كل سورة ترتيبا مناسبا، و في ذلك حجة لمن تتبع الآيات بالمناسبات.

و قيل سميت سورة لارتفاع قدرها فالسورة بمعنى العلو، و أما في الاصطلاح فحدّ السورة قرآن، يشمل على أي ذوات فاتحة، و خاتمة ، و أولها ثلاث آيات >> [1] .

يلاحظ إذن أن السورة تدل على المنزلة بعد المنزلة، و الرتبة العالية مع حسن الترتيب و التنسيق. و هو ما يجعل مفهوم اسورة يقترب من مفهوم النص.

بينما تكاد تجمع معاجمنا اللغوية على أنّ الآية من حيث وزنها – فعلة – بفتح العين و أصلها – آيية – تحركت الباء، و انفتح ما قبلها، فجاءت أية، و أنّ معناه لغة العجب و العلامة و الشخص و العبرة و جماعة الحروف (...)[2].

ليتأكد من خلال ما سبق أن الكلمات التالية : القرآن و السورة و الآية و الترتيل، و التلاوة تؤكد على معنى التنسيق، و الترتيب المحكم، والانسجام. و حين ننظر إلى أول ما أنزل على رسول الله -صلى الله عليه و سلم- نلاحظ أنه فعل أمر < اقرأ > ، فزيادة على التقاء كلمتي القراءة و القرآن معنى و القران و القرآن رسما و معنى .

نلاحظ << أن عملية القراءة هي بذاتها ربط الحروف ببعضها بعضا و جعلها مقترنة لتكون الكلمة ثم ربط الكلمات ببعضها بعضا، و جعلها مقترنة لتكون الجملة ثم ربط الجملة ببعضها بعضا و جعلها مقترنة للإبانة عن الرسالة المقصودة من النص ، و هكذا فالقراءة و القرآن إذن هما القِران و الوصل و الربط >> [3].

---

(1): الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج:1، ص:264.

(2): عن تأويل أسماء القرآن و سورة و آية، انظر أيضا، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، دار الكتب العلمية، ط:3، بيروت1997، المجلد1، الجزء1، ص:67 إلى 72.

انظر أيضا محمد العيد رتيمة، المفهوم اللغوي للآية في القرآن الكريم –مخطوط لنيل شهادة دكتوراه الدولة – جامعة الجزائر 1992-1993، ص:174.

انظر محمد العيد رتيمة، الآية بين اللسان و القرآن، مجلة اللغة و الأدب، ع:5، الجزائر 1994، ص 124.

(3): فريد قبطني، طلوع الشمس من مغربها علم للساعة، تر، أحمد أمين حجاج، د.ط، دار البراق د.ت بيروت، ص:18.

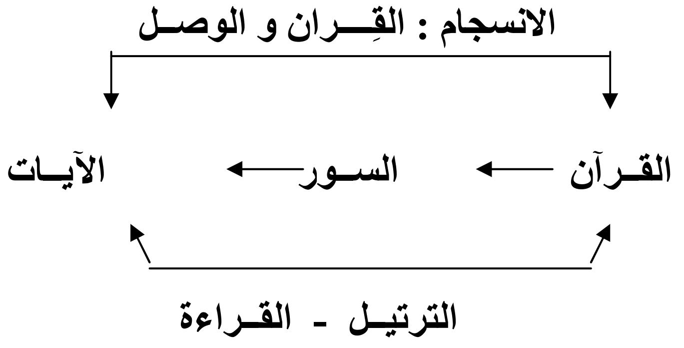

حتى أن الـقران عند أهل الـبلاغة هو الربط بين آبيات القصيدة، ليقع التشابه و الانسجام[1] ، كذاك يدل القران على انسجامه. إنَ جمع الكلمات السابقة ابتداء من القرآن السورة ، و الآية ، و الترتيل ، و التلاوة ، و القراءة إذا اجتمعت في نسق يضم بعضها بعضا للكشف عن الصلة بـينـها، يتـأكد دلالتـها على الانـسجـام و حسن التأليف، و الترتيب، و ذلك قبل دراسة متن السور و الآيات ، و الكشف عن مواطن الانسجام، و الاتساق في النص القرآني ذاته .

و لم يتوقف الدارسون قديما عند هذه الألفاظ فقط، و هم يحاولون البحث في أسرار النص القـرآني ، بـل ربـطوا اللفظ بالمعنى، و منهـم مـن انـتصر للفـظ ، بـل و رأى أن إعجاز القرآن في ألفاظه ، و في فصاحته.

لأن الفصاحة تعني أولا، فصاحة المـفرد و خـلوصه من تنـافـر الحـروف و الغرابة و ضعف التأليف، ولا يمكن أن توصف الكلمة المفردة بالفصاحة معزولة عن سياقها، و القرآن الكريم مثال عن الفصاحة العربية، لما امتاز به من فصاحة اللفظ، و دقة اختياره .

---

(1) : انظر أحمد مطلوب ، معجم المصطلحات البلاغية و تطورها، مكتبة لبنان، لبنان 2000 ج : 1 ، ص : 67 .

3-2-3- الإعجاز النحوى :

وجد الكثير من أعلام اللغة العربية أن الإعجاز في القرآن الكريم يكمن في الاستخدام الفريد للتراكيب النحوية ، فهناك إبداع نحوي، لا يضاهى في النص القرآني يمكن الكشف عنه و الوقوف عليه .
يقول عبد القاهر الجرجاني : << .. فإذا بطل أن يكون الوصف الذي أعجزهم من القرآن في شيء مما عددناه.. لم يبق إلا أن يكون في النظم و التأليف (...) و كنا قد علمنا أن ليس النظم شيئا غير توّخي معاني النحو و أحكامه فيما بين الكلم >> [1] .

رأى عبد القاهر إذن أنه يمكن الاستدلال على الإعجاز من خلال النظم و ليس النظم سوى توخي معاني النحو في معاني الكلم، لأن هناك إمكانات نحوية بمنحها التركيب ، و نظم الكلمات. و مع ذلك كانت الدراسات النحوية، و هي تبحث في الظاهرة الإعجازية تحليلية لا تركيبية، أي أنها كانت تعنى بمكونات التركيب و بالأجزاء التحليلية فيه أكثر من عنايتها بالتركيب نفسه، فلم تكن العناية كافية للجانب الآخر من دراسة النحو، و هو الجانب الذي يشمل على طائفة من المعاني التركيبية و المباني التي تدل عليها [2] . و عدم اهتمام تلك الدراسات بذلك جعلها لا تتجاوز حدود الجملة في الكثير من الأحيان، رغم <<أنّ القرآن قد أضاف إمكانات كبيرة للنحو بالمفهوم الجمالي التركيبي و استحدث طرقا فنية للربط بين المفردات و بين الجمل و العبارات >> [3] .

من أجل ذلك جاء ارتباط النحو بالبلاغة و بالتفسير حيث أصبح النحو في خدمتهما يتجلى هذا بشكل واضح عند دراسة الروابط النحوية، و عند دراسة الزمن حيث يلاحظ أن الزمن القرآني كثيرا ما يوظف فنون البلاغة من ذلك : الجمع و التفريق، و التقديم، و التأخير، و التخصيص، و التعميم، و التكرار، و التشبيه و الاستعارة ، و الكناية، و الإيجاز، و الإطناب، و الالتفات ... و غيرها من فنون البلاغة مما أحصاه المفسرون و البلاغيون خاصة [4]
و تأتي أهمية العلاقة الحميمية التي حاول هؤلاء المفسرون إقامتها بين القاعدة النحوية و النص القرآني في أنهم فهموا أكثر من غيرهم أن دور القاعدة النحوية لا ينتهي عند شكل الكلمة و إنما تتجاوزه إلى التركيب، تركيب الكلمة داخل الجملة و ما تؤديه من عمل في تجلية المعنى [5] . لذلك ربطوا زمن الفعل بالقرينة التي تسبقه أو تلحقه .

---

(1) : عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز في علم المعاني ،وقف على تصحيح طبعه و التعليق على حواشيه،محمد رشيد رضا ، مطبعة محمد علي ، ط:6، القاهرة 1960 ، ص : 360 .
(2) : انظر ، تمام حسان ، اللغة العربية معناها و مبناها، عالم الكتب، ط:3، القاهرة 1998 ، ص : 16 .
(3) : محمد عبد المطلب ، البلاغة و الأسلوبية، مكتبة لبنان ط:1، لبنان 1994 ، ص : 48 .
(4) : انظر ، محمد بن موسى بابا عمي ، مفهوم الزمن في القرآن الكريم، دار الغرب الإسلامي، ط:1 ،بيروت 2000 ، ص : 61 .

(5) : انظر ، بكري عبد الكريم ، الزمن في القرآن الكريم ، دراسة دلالية للأفعال الواردة فيه، دار الفجر ط:1القاهرة 1997 ، ص : 8 .

أما الاهتمام بالروابط النحوية فقد بدا جليا في الكشف عن معاني الأدوات الوظيفية دلاليا و براغماتيا ، وفق أسس علمية دقيقة ، و في الكثير من الأحيان كان يتجاوز الإعجازيون حدود الجملة للبحث عن علاقات الكلمات ببعضها البعض في الجمل و العبارات في إطار تماسك سياقي. المهم قبل ذلك ، أنهم نحوا بقواعد اللغة العربية منحى عقليا ، فقدموا بذلك برهانا ساطعا (خاصة المعتزلة) على إعجاز القرآن .

و كانت اجتهاداتهم دعوة إلى إيمان عقلي Rational تنادت به أوروبا في القرنين الماضين [1] .

3-2-4- الإعجاز الصرفي :

لم تتوقف البحوث العربية الإسلامية في دراسة القرآن عند حدود اللفظ أو التركيب، بل رأت أن قوة اللفظ لقوة المعنى، فاهتمت بمباني الكلمات مثلما اهتمت بمعانيها و تركيبها.

يقول ابن الأثير (ت 630 هـ) : << اعلم أنّ اللفظ إذا كان على وزن من الأوزان، ثم نقل إلى وزن آخر أكثر منه فلا بدَ من أن يتضمن أكثر مما تضمنه أولا لأن الألفاظ أوجبت القسمة زيادة المعاني فيه ، لبيانه >> [2] .

لذلك كثيرا ما يقف المفسرون، و اللغويون عند مباني الألفاظ في القرآن الكريم للكشف عن أسباب الاستعمال اللغوي لتلك الألفاظ، من ذلك مثلا < أن اقتدر > أقوى من معنى قدر في قوله تعالى :

{ فَأَخَذْنَاهُم أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ}

فمقتدر هنا أبلغ من قادر، و إنما عدل إليه للدلالة على تفخيم الأمر و شدة الأخذ الذي لا يصدر إلا عن قوة الغضب، أو للدلالة على بسطة القدرة، فإن المقتدر أبلغ في البسطة من القادر و ذاك أن مقتدرا اسم فاعل من اقتدر، و قادر اسم فاعل من قدر ، و لا شكَ أن افتعل أبلغ من فعل [3].

و حاول المفسرون تفسير الالتفات في القرآن من حيث الصيغ، كالانتقال من أبناء إلى بني(في سورة النور الآية 31) ، فقد وردت أبناء جمع تكسير، ثم عدل عنها إلى صيغة جمع المذكر السالم، عند الإضافة إلى الأخوات و الإخوان، فأجمعوا على أن الصيغة الأولى هي إحدى صيغ القلّة، بينما دلت الصيغة الثانية على الكثرة لأن أبناء الأخوة و الأخوات يكونون أكثر من أبناء بعولتهن، و في اختيار القرآن الكريم للصيغ المناسبة التي تساير السياق دليل آخر على إعجازه .

(1) : انظر، حلمي علي مرزوق، محاضرات في فلسفة البلاغة العربية، جامعة بيروت، بيروت 1982 ص:119 .

(2) : ابن الأثير ، المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر ، تحقيق محمد الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية بيروت 1999 ، ج : 2 ، ص : 56 .
(3) : انظر ، المصدر نفسه ، ج : 2 ، ص : 56 .

3-2-5- الإعجاز الدلالي :

رأى بعض الدارسين أن إعجاز القرآن الكريم يكمن فيما يحمله من مضامين تتعلق بأمور ماضية عن بداية الخلق و قصص الأقوام الغابرة، و أخرى تتعلق بأمور غيبية أخروية، و مستقبلية، حتى أنّ هناك من تحدث عن الإعجاز الغيبي و التاريخي في القرآن[1]، و رغم تنوع المواضيع التي يحويها النص القرآني، يكون الانتقال فيها من التشريع إلى الوعظ إلى الوعيد ...،فإنه جاء خاليا من التناقض منسجما من حيث الدلالة أشد الانسجام.

اعتمد الدارسون في بيان الانسجام الدلالي في القرآن الكريم على الربط بين الآيات و السور، كما اعتمدوا على تفسير القرآن بعضه بعضا، و على السنة النبوية الشريفة. و معرفة أسباب النزول، و الاهتمام بالجانب الدلالي للنص القرآني في كتب التفسير، و كتب البلاغة خاصة.

و كان التركيز واضحا لمحاولة الربط بين عنوان السورة، و مضمونها، قصد تحديد البنية الكبرى للسورة ، قبل إبراز الانسجام الكلي في السورة.

3-2-6- الانسجام إعجاز :

يتجلى البحث في مستوى النص القرآني كله في كتب التفسير، و في علم المناسبات بالدرجة الأولى، فلم تتوقف الظاهرة الإعجازية عند حدود النظم و التركيب و الدلالة، بل تجاوزتها للبحث في العلاقات بين السورة و السورة، و بين الآية و الآية << فينبغي في كل آية أن يبحث أول كل شيء عن كونها مكملة لما قبلها أو مستقلة، ثم المستقلة م و به مناسبتها لما قبلها ففي ذلك علم جم ، و هكذا في السور يطلب وجه اتصالها بما قبلها و ما سيقت له >>[2] .

و رغم قلة المصادر التي اهتمت بعلم المناسبات فقد كان هناك وعي للبحث في العلاقات بين الآيات و السور .

يذكر السيوطي قول الإمام الرازي في سورة البقرة :

<< و من تأمل في لطائف نظم هذه السورة و في بدائع ترتيبها علم أن القرآن كما أنّه معجز بحسب فصاحة ألفاظه، و شرف معانيه، فهو أيضا بسبب ترتيبه(...) و لعل الذين قالوا إنّه معجز بسبب أسلوبه أرادوا ذلك، إلا أني رأيت جمهور المفسرين معرضين عن هذه اللطائف غير منتبهين لهذه الأسرار >>[3]

B.

---

(1): انظر ، ضمن موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، www.55.a.net
(2) : السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ج:1، ص: 108.
(3) :المصدر نفسه، ج:1، ص:108.

نلاحظ كيف ربط الإمام الرازي بين النظم و الأسلوب، و المناسبة بين الآيات و السور، و جعل هذه المفاهيم تتداخل و تتقارب.

3-2-6-1- ترتيب الترتيل :

إن ترتيب السور و الآيات في القرآن الكريم، دليل أخر على صدق النبوة محمد -صلى الله عليه و سلّم-، لأنّه يكشف عن وجه من أوجه الإعجاز ، فهو لا يمكن أن يكون من وضع عقل بشري قاصر، لا يستطيع أن يتذكر موضع فقرة بعد مضي سنوات ليربطها بما قبلها و بما بعدها في انسجام غريب .
و من جهة أخرى يعمل البحث في علم المناسبات على تنزيه كتاب الله تعالى من الفوضى و الاضطراب، و سوء التنظيم ، لكن دون تكلف أو مبالغة في الأمر ، فقد تحفظّ " الشيخ عز الدين بن عبد السلام" من علم المناسبات قائلا :

<< علم حسن لكن يشترك في حسن ارتباط الكلام أن يقع في أمر متحد مرتبط أوَله بآخره. فإن وقع على أسباب مختلفة لم يقع فيه ارتباط، و من ربط ذلك فهو متكلف بما لا يقدر عليه إلا ربط ركيك يصان عن مثله حسن الحديث فضلا عن أحسنه ، فإن القرآن نزل في نيف و عشرين سنة [*] في أحكام مختلفة شرعت لأسباب مختلفة ، و ما كان كذلك ليتأتى ربط بعضه ببعض >> [1].

إن نزول القرآن في نيف و عشرين سنة ، و ترتيب السور و الآيات بأمر من رسول الله- صلى الله عليه و سلّم- بأمر من جبريل عليه السلام هو دليل آخر على إعجاز هذا الكتاب. صحيح أن العلماء اختلفوا في ترتيب السور و الآيات ، لكن الراجح أن هذا الترتيب توقيفي عن رسول الله- صلى الله عليه و سلّم- كما أخبر جبريل عليه السلام ربه عز و جل [2] .

لذلك قد تجد سورا مكية تحوي على آيات مدنية، و قد تجد سورا مدنية تحوي على آيات مكية، و قد تكون الفترة الزمنية بين نزول الآيات لا تتعدى الأيام، و قد تكون فترة طويلة تصل إلى عدة سنوات ، لكن ترتيب الترتيل لم يكن حسب التنزيل بل بأمر من رسول الله ـ صلى الله عليه و سلم ـ لكتبة الوحي ، دون أي اجتهاد منهم.

(*) : من سنة 610 إلى سنة 632 ميلادي ، كما تذكر ذلك كتب التاريخ .
(1) : السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ، ج : 1 ، ص : 108 .
(2) : هناك أحاديث كثيرة تدل على ذلك :
انظر ، مسند الإمام أحمد بن حنبل ،دار الفكر ، ط:1، بيروت 1994 ، ج : 1 ، ص : 126، الحديث 399 .
و انظر ، سنن أبي داود ، للإمام أبي داود سلمان ابن الأشعث الأزدي ، دار الجيل ، بيروت 1992
المجلد 1 ، ص : 206-207 الحديث 786 .

فنحن نؤمن أن المصحف العثماني في ترتيب سوره، و في عدد آياته هو القرآن، كما أنزل على رسول الله -صلى الله عليه و سلم- ، و قد ذهب جمهور العلماء كالإمام مالك و أحمد و أبو عمرو، و السخاري و غيرهم إلى أن الرسم العثماني أمر توقيفي لا يجوز مخالفته، مهما اختلفت الاصطلاحات العصرية، و ادعى بعض أهل العلم الإجماع على ذلك [(1)] .

فإذا كان النقد التاريخي الحديث قد أثبت أن التوراة و الأناجيل قد كتبها مؤلفون مختلفون في عصور مختلفة، فإن الأمر يختلف مع كتاب الله الذي أنزل على محمد رسول الله - صلى الله عليه و سلم- ، فلا مجال لممارسة النقد التاريخي حول صحة النص القرآني، لأنه لا يمكن أن يكشف إذا مورس بجدية و من منظور تاريخي موضوعي عن شيء آخر غير ما هو معروف [(2)] .

إنَ النقد التاريخي حول صحة القرآن لن يكشف إلاّ أنّ هذا الكتاب بأحرفه و كلماته، و جمله، و آياته، و سوره، وضع بحكمة ربانية لا يمكن لإنسان مهما أولي من قدرات أن يقوم بها فكل حرف من القرآن الكريم وضع في الكلمة التي ينتمي إليها بشكل دقيق، لا يمكن تغيره بحرف آخر، و كذلك كل آية و كل سورة .

فالمعجزة لا تتعلق بترتيب الآيات و السور فحسب ، بل بوضع الكلمات و الأحرف ، لأن هناك علاقات بين حروف القرآن، و كلماته، و جمله، و آياته و سوره، فلو حذف حرف واحد، أو بدل لاختلت العلاقات ، و تلاشت .

إن حكمة وضع الحرف، لا تقل عن الحكمة التي وضع بها النجم في موقعه و مداره ضمن مجموعته، و ضمن مجرته، و ضمن ما هو أكبر من ذلك، و بالتالي فإن معجزة وضع الحرف في مكانه توازي معجزة وضع النجم في مداره [(3)].
يقول الله تعالى :
{فَلاَ أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ۞ وَ إِنَّهُ لَقَسَمٌ لَو تَعلَمُونَ عَظِيمٌ ۞ إِنَّهُ لقُرآنٌ كَرِيْم ۞ فِي كِتَابٍ مَكَنُونٍ } (سورة الواقعة الآية 78-81) .

إنّ الله تعالى لم يقسم بالنجوم، بل بمواقع النجوم ، التي تحدد بحسابات دقيقة و رهيبة ، و التي تخضع لنواميس و قوانين كونية، تدل على قدرة الله و حكمته و تدبيره ، هذا هو القسم العظيم ، أما المقسم عليه فهو القرآن الكريم.

(1): انظر، مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، دار القلم، ط:2، دمشق 1997، ص:87.
(2): انظر، محمد عابد الجابري، في قضايا الدين و الفكر – حوار ، مجلة فكر و نقد، ص:7.
(3): انظر، عدنان الرفاعي، المعجزة، كشف إعجازي جديد في القرآن الكريم، د.ط، دار الشهاب، د.ت، سوريا ص:14.

3-2-6-2- المناسبة بين الآية و السورة :

إن للترتيب العثماني ما يبرزه، لأنه يقدم دليلا ماديا لغويا على لحمة خارجية بين سور القرآن، و لحمة داخلية بين آياته، تبرهن من جهة أخرى مثل الدليل الإحصائي العددي أن المصحف العثماني في ترتيب سوره و في عدد آياته هو القرآن الرسمي و النص المعجز [1] .

فالقرآن الكريم أنزل متفرقا، منه ما أنزل ابتداء، و منه من أنزل بعد واقعة أو سؤال و التعرف على أسباب النزول، يساعد على معرفة أسباب الترتيب، و هذا دليل آخر على أن نزول القرآن منجما سر من أسرار إعجازه.

فلو أن القرآن أنزل دفعة واحدة، لأصبح مادة مقدسة ، لا حياة فيها ، بعيدا عن حياة المجتمع الإسلامي، و الإنسان المسلم. و لا يعني ذلك أن الدين حاجة اجتماعية ، بل الدين الحق ذو وجود كوني مستقر [2] ، و مستقل عن إرادة الإنسان.

إن البحث في مناسبة الترتيب بين الآية و الآية ، و بين السورة و السورة بعد معرفة مناسبة النزول ، سيكشف عن أوجه الروابط داخل النص ، و يجعله لحمة واحدة .

يقول الزركشي عن مناسبة الترتيب :

<< و اعلم أن المناسبة علم شريف تحرز به العقول، و يعرف به قدر القائل فيما يقول (...) و المناسبة أمر معقول إذا عرض على العقول تلقته بالقبول >> [3] .

و المناسبة في اللغة هي المشاكلة و المقاربة، يقال ، فلان يناسب فلان ، فهو نسيبه أي قريبه [4] .

و في الاصطلاح : جعل أجزاء الكلام بعضها أخذا بأعناق بعض ، فيقوى بذلك الارتباط، و يصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء [5]

لذلك يختلف مصطلح المناسبة في الدراسات العربية الإسلامية، عما يعرفه المنطق المعاصر : الرابطة و المربوطية و المناسبة.

---

(1): انظر، الهادي الجطلاوي، قضايا اللغة في كتب التفسير، دار محمد علي، ط.1، تونس 1998، ص:466.

(2): انظر، سعيد رمضان البوطي، حوار حول مشكلات حضارية، الدار المتحدة، مكتبة الرحاب، ط:3 الجزائر 1990، ص:29.

(3): الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج:1، ص:35.

(4): انظر، ابن منظور، لسان العرب، مادة نسب، المجلد1، ص:756.

(5): انظر: جلال الدين السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، ج:1، ص:108.

إن البحث في علم المناسبة هو بحث في انسجام النص القرآني ، بصورة ضمنية، فإذا كان الغربيون، قد انتبهوا حديثا إلى ضرورة تجاوز حدود الجملة للنظر إلى النص كله، و البحث في انسجامه فإنّ المسلمين الأوائل، قد خاضوا في هذا المجال، و توصلوا إلى نتائج لا تقل شأنا عمّا يعرفه المحدثون –كما سيتضح ذلك لاحقا في الفصل الموالي -.

3-3- الإعجاز الكلـــــي :

لم يكن القرآن معجزة لغوية، نحويا، و صوتيا، و معجميا، و تركيبيا. بل هو أيضا معجزة بيانية و بلاغية، و هو معجزة تشريعية. هذا الرأي تبناه الكثير من الإعجازيين ، فقد اختلف العلماء حول أ وجه الإعجاز في القران، وكان ذلك من أسرار إعجازه وتحديه قديما وحديثا، فقديما قالوا إنّ إعجازه يكمن في بلاغته وبيانه وفصاحته وإيجازه، بل في تفرده واختلافه عما عهده العرب من كلام نثر أو شعر، و في تأثيره على السامع، أما حديثا فيرى الكثير من العلماء أن القران يتميز بإعجازه العلمي، و التشريعي، و العددي، وغيره .

و الأرجح أنّ القرآن معجزة لما يتضمنه من أوجه الإعجاز هذه كلها ، هذا الرأي تبناه قديما "الروماني"(ت 386 هـ)، "الباقلاني"(ت 304 هـ) " السكاكي" (ت 576 هـ)، "الزركشي" (ت 764 هـ)، "السيوطي" (ت 911 هـ)[1].

و يتأكد عبر مرّ العصور أن معجزة القرآن في آلا تحدد معجزاته. و في عصر العلم هذا، ما زال القرآن يعلن عن تحديه، و عن إعجازه، لذلك يجب مقاربة النص القرآني بوسائل منهجية علمية، لاكتشاف بعض وجوه إعجازه.

يقول مالك بن نبي في هذا الشأن :

<< إنّ الجانب الأدبي للرسالة، ذلك الذي كان في نظر المفسرين التقليدين موضوع الدراسة الأول، يفقد بعض أهميته شيئا فشيئا، في عصرنا الذي يهتم بالعلم أكثر من اهتمامه بالأدب و يرى إنّ مسألة إعجاز القرآن هي أعقد مشكلة يمكن أن يعانيها العقل الحديث >> [2] .

لذلك يتحتم علينا دراسة النص القرآني، وفق منهج لغوي علمي، يناسب روح العصر، و يكشف عن وجه من وجوه الإعجاز هو الانسجام في القرآن، لكن قبل ذلك، لا بدَ من الوقوف وقفة متأنية لما قدمَه علماء العرب و المسلمين في هذا الشأن ليكون اللقاء بين التراث و الحداثة .

(1) : انظر ، فتحي عبد الفتاح ، الإعجاز النحوي في القرآن الكريم، مكتبة الفلاح ،ط: 1، الكويت 1984 ص : 78 .
(2) : مالك بن نبي ، الظاهرة القرآنية ، تر . عبد الصابور شاهين ، ص : 229 .

الفصل الثاني:

الجهود العربية الإسلامية في علم النص و دراسة الانسجام:

I-1- النظرة التراثية:

-1-1- من خصائص التراث العربي الإسلامي

-1-2- بين النظرة التجزيئية و النظرة الشامولية للنص

I-2- التراث اللغوي:

2-1- النظرة البلاغية:

2-1-1- ابن قتيبة ... بداية البحث عن الانسجام

2-1-2- الباقلاني .. النظرة الشمولية

2-2- النظرة النحوية:

2-2-1- الجرجاني .. التعليق

I- 3- التراث النقدي: حازم القرطاجي .. مستوى النص

I-4- التراث الفلسفي:

4-1- الشاطبي .. المجال التداولي و عملية التأويل

4-2- ابن رشد .. من الاستدلال إلى الانسجام

I-5- التراث الديني:

5-1- علم النص و علوم القرآن

5-1-1- الزركشي و السيوطي .. التنظير لعلم المناسبات

5-2- كتب التفسير

II- النظرة الحديثة:

II- 1- الدراسات النصية

II- 2- كتب التفسير

2-1- سيد قطب: المناسبة الموضوعية و الايقاع الموسيقي

2-2- سعيد حوي: الوحدة القرآنية

I- 1 النظرة التراثية:

1-1- من خصائص التراث العربى الإسلامى :

إنَ التراث العربي الإسلامي منظومة واحدة، تتكامل فيها المعارف و تتشابك الاختصاصات، فهل يحقَ لنا بعد ذلك، الحديث عن علم النص مرتبطا بعلم النحو أم بالبلاغة، أم بالنقد، أم بالفلسفة ، أم بعلوم القرآن و التفسير ؟. أم بها جميعا . فهل كان الجرجاني نحويا فقط أم بلاغيا و ناقدا أيضا ؟، و هل كان حازم القرطاجني مثلا ناقدا أم بلاغيا ..؟.

يمكن تجاوز هذه التساؤلات بإبراز الجانب الغالب، لدى كل عالم من هؤلاء لكن قبل ذلك يجب تحديد جوانب النظرة التراثية ، و هي كالآتي :

1- التراث اللغوي : ← - النظرة البلاغية .
↙ - النظرة النحوية .

2- التراث النقدي .

3- التراث الفلسفي .

4- التراث الديني : ← - التفسير .
↙ و علم القرآن

-
.P (1)P

فإذا كانت النظـــرة التراثـــية لا تتعدى أمورا أربعة هي: التراث اللغوي و الأدبي و الفلسفي و الديني، فقد وقع الاختيار على بعض فروعـــها و علـــى بعض أعلامـــها فقط لاتساع البحث و تشعبه.

ففي التراث اللغوي : يبرز في البلاغة مثلا ابن قتيبة، و الباقلاني، و في النحو نجد عبد القادر الجرجاني. أما في النقد، فتتجلى جهود حازم القرطاجني، و في الفلسفة وقع الاختيار على ابن رشد و الشاطبي. أما في التراث الديني، فقد وقع الاختيار على أهم فرعين، علوم القرآن و علم التفسير حديثا و قديما .

(1) :انظر عبد السلام المسدي ، التفكير اللساني في الحضارة العربية ، الدار العربية للكتاب

ط : 2 ، تونس 1986 ، ص : 36 .

إنَ المتتبع للتراث العربي الإسلامي سيجده يتميز بخصائص مختلفة منها :

- الاتساع ، والتنوع و الثراء
- تداخل الاختصاصات .
- غياب المنهجية الواضحة

وهذا دليل على الغنى الفكري الذي عرفته الثقافة الإسلامية. لذلك سيجد الباحث نفسه مضطرا للكشف عن أصول لسانيات النص عند العرب، و المسلمين في هذا الموروث العربي الإسلامي الضخم، و لن يتوقف البحث به عندما قدمته البلاغة، و التفسير، و أصول الفقه، باعتبارها تمثل لسانيات النص [1] بل يمتد إلى معارف و أبحاث أخرى من فلسفة، و نقد .. لأنها عرفت إرهاصات و بدايات الوعي بتجاوز حدود الجملة إلى مستوى النص كله.

1-2- بين النظرة التجزيئية ، و النظرة الشمولية للنص :

تميزت القصيدة الجاهلية بغياب الوحدة الموضوعية، و الوحدة العضوية [*] كان الشاعر يرحل عبر مواضيع القصيدة، كما يرحل في حياته ، و قامت القصيدة الجاهلية على وحدة البيت، لا على وحدة القصيدة، فانعكس ذلك على طبيعة النقد قديما ، و وظيفته، فأصبح هو الآخر ذوقيا جزئيا. ينظر إلى القصيدة الشعرية نظرة تجزيئية، حتى أنَه يحمد للبيت أن يستقيل بمعناه فلا يتعلق بما يليه، و بما سبقه و اصطلح على هذا العيب الفني بالتضمين، فغابت في القصيدة النظرة الشمولية للنص الشعري، خلال القرنين الأول و الثاني بصفة خاصة .

أما النص القرآني ، فقد كان نصا منسجما - و إن كان انسجامه خفيا – فرغم تعدد موضوعات السورة الواحدة، إلاّ أنّ الوحدة العضوية التي تشد كل آية إلى أختها موجودة ، ثم أنَ تعدد المواضيع في السورة الواحدة ، له ما يبرره و يدعمه.

لذلك بدأ الوعي بالنظرة الشمولية من النص القرآني، و ليس من النص الشعري، أو الخطابي، أو غيره، لأنَ طبيعة النص فرضت اتجاهها في التحليل و الرؤية. فالنص الشعري القديم القائم على استقلالية البيت، فرض نظرة جزئية. أما النص القرآني فقد فرض اتجاها آخر و نظرة أخرى ، قدمت وعيا مبكرا في البحث في انسجام و تماسك النص . معنى ذلك أن الرؤية تتأثر بطبيعة النص الداخلية قبل أن تؤثر فيها أمور خارجية .تتعلق بطبيعة الحياة المعيشة وسعة الأفق المعرفي أو غيره .

---

(1) : محمد الخطابي ، مدخل إلى انسجام الخطاب. لسانيات النص - ص : 95 .

(*) : لا يعني غياب الوحدة العضوية بين الآبيات ،أن الشاعر لم يكن يحسن التخلص من غرض إلى آخر .

2-I -التـــــراث اللـــــغوي:

2-1- النظـــرة البـــلاغية :

2-1-1 ابن قتيبة .. بداية البحث في الانسجام

تجاوز ابن قتيبة (213- 276) في كتابه < تأويل مشكل [*] القرآن الذي ألفه في القرن الثالث الهجري عصره، فهدف الكتاب كان واضحا و محددا من البداية، هو الرد على الملحدين الذين يريدون الطعن في القرآن ، و اتبعوا :

{ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ اِبتِغَاءَ الفِتْنَةِ وَ اِبْتِغَاءَ تَأوِيلِهِ } (آل عمران 7)

يقول ابن قتيبة : << فأحببت أن أنضح عن كتاب الله، و أرمي من ورائه بالحجج النـــــيرة و البراهين البينة، و أكشف للناس ما يلبسون >> [1] .

لذلك بدأ ابن قتيبة كتابه بسرد ما يقوله الطاعنون عن كتاب الله، ثم عقد أبواب للرد عليهم في وجوه القراءات، و فيما ادعي على القرآن من اللحن، و التناقض و الاختلاف و المتشابه ثم ينتقل إلى المجاز و أبوابه. لأنه أكثر ما يقرب منه المتأولون الطاعنون :<< ففيها الاستعارة و التمثيل و القلب و التقديم و التأخير و الحذف و التكرار و الإخفاء و الإظهار و التعريض و الإفصاح و الكناية >> [2]

يبدأ ابن قتيبة بتقديم حجج هؤلاء، ثم يقوم بدحضها، و كثيرا ما يستدل بالأحاديث النبوية الشريفة، و الشعر أيضا ، ثم ينتقل إلى حججه بمنهج واضح وبموضوعية تجعل ابن قتيبة يخطو الخطوة الأولى للدرس العلمي في تراثنا العربي الإسلامي، أكثر من هذا استطاع ابن قتيبة أن يقدم دراسة للنص القرآني تقترب في الكثير من الأحيان مما يعرفه علم النص حديثا ، يتجلى ذلك في ما يلي :

1- النظرة الشاملة للنص القرآني كله ، فلا يقدم موقفه إلاّ بعد عرض مختلف الآيات الواردة، من ذلك في باب تكرار الكلام و الزيادة فيه، واو النسق : قد تزداد حتى يكون الكلام كأنَه لا جواب له ، كقوله :

{ حَتَّى إذَا جَاءُوهَا وَ فُتِحَت أبْوَابُهَا وَ قَالَ لَهُم خَزَنَتُهَا } (الزمر 73)
والمعنى قال لهم خزنتها ، و قوله :

{ فَلَمّا ذَهَبُوا بِهِ وَ أجْمَعُوا أن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الجُبِّ وَ أوْحَيْنَـا إلَيْهِ} (يوسف 15)

(*): المشكل من أشكل، أي دخل في شكل غيره فأشبهه و شاكله، كما يورد ذلك ابن قتيبة في كتابه وهو يتحدث عن المشابه ص : 102 .

(1) : ابن قتيبة ، أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، تأويل مشكل القرآن ، شرح و نشر السيد أحمد صقر المكتبة العلمية ، ط : 3 ، المدينة المنورة 1971 ، ص : 23 .

(2) : المصدر نفسه ، ص : 20 .

و قوله أيضا : { **فَلَمَا أسْلَمَا وَ تَـلّهُ لِلْجَبِينِ وَ نَـادَيْنَاهُ** }(الصافات 103) و غيرها من الآيات .

فابن قتيبة كان يعرض مختلف السياقات التي وردت فيه الواو زائدة، وهو بهذا يفرق بين واو ،كأداة ربط، و الواو غير الرابطة، فابن قتيبة كان يهتم بدور أدوات الربط في اتساق النص .

2 - حديثه عن التكرار و الحذف في القرآن الكريم: من ذلك آن يأتي بالكلام مبينا أن له جوابا، فيحذف الجواب اختصارا لعلم المخاطب به ، و يمنحه بعدا تداوليا كقوله تعالى :

{ **وَ لَوْلاَ فَضْلُ الله عَـلَيكُم وَ رحْمَتُهُ وَ أنَّ الله رَؤُوفُ رَحِيمٌ** } (سورة النور 20) أراد لعذبكم ، فحذف [1] لعلم المتلقي بذلك، فهو يولي اهتماما بدور المتلقي في الربط بين الآيات ، << و قد حذفت العرب الجملة، و المفرد، و الحرف، و الحركة و ليس من ذلك إلاّ حيث دليل عليه، و إلاّ كان فيه ضرب من تكليف علم الغيب في معرفيه >> [2] .

3 - انسجام القضايا الواردة في النص القرآني : ليبدوا ذلك واضحا و هو يردَ على من ادعى على القرآن التناقض و الاختلاف، يقول : << فأمَا ما نحلوه من التناقض في مثل قوله تعالى :

{ **فَيومَئِذٍ لاَ يَسألَ عَنْ ذَنْبهِ إنْسٌ وَ لا جَانٌ**}(الرحمن 39)، و هو يقول في موضع آخر

{ **فَوَ رَبِّكَ لَنْسئلَنَهُمْ أجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ** } (الحجر 92-93) فالجواب في ذلك : أن يوم القيامة يكون كما قال الله تعالى :

{ **مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ ألفَ سَنَةٍ** } (المعارج 4) ، ففي مثل هذا اليوم يُسألون و فيه لا يَسألون ... >> [3].

من أهم القضايا التي طرحها ابن قتيبة في كتابه إذن، قضية انسجام النص القرآني التي تنظر إلى السور، و الآيات المتباعدة نظرة موحدة متالفة، و كانت هذه القضية قضية خطابية نصية، كان من الممكن أن يترتب عنها تنظير في نسق النص غير أن النقاش البلاغي حولها وقف عند حدود الكلام[4]. فلو اتسع البحث في هذه المسألة، لجعل البلاغة العربية تعرف درسا آخر و لكانت البحوث اللسانية الحديثة على غير ما هي عليه الآن .

(1) : المصدر السابق ، ص : 213 .
(2) :انظر أبو الفتح عثمان بن جني – الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، ج:2 ، ص : 360 .
(3) : المصدر نفسه ، ص : 65 .
(4):انظر محمد العمري، البلاغة العربية، أصولها و امتدادها، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء1999 ص: 145

لا يعني ذلك أن ابن قتيبة كان رائدا في طرح كل القضايا الواردة في كتابه فقد تأثر بالجاحظ و بغيره، لكن تأثيره في غيره أكبر، كتأثيره في البلاغيين : الروماني و الخطابي و الباقلاني الذين استطاعوا أن يكشفوا في النص القرآني مكامن الإبداع و خصوصيته، و يتوصلوا إلى مفاهيم جمالية جديدة.

2-1-2- البـــاقـــلانـــي ... النظـــرة الشمولـــــيـــة :

كان الباقلاني (ت 404هـ) سنيا أشعريا، بل من أبرز متكلمي أهل السنة، ألفَ العديد من الكتب، و اهتم بالرد على المعتزلة، و إبطال آرائهم و حججهم، كان أشهر كتبه < إعجاز القرآن> و كان هدف الكتاب، كما هو واضح من العنوان الوقوف على سر إعجاز القرآن، لكن ما لبث أن تحول إلى البحث في قضايا بلاغية نصية متكئا في ذلك على دعامتين :

1- الاعتماد على الحجاج المنطقي، و الأسلوب الإقناعي، حتى أنه كثيرا ما يلجأ إلى المقارنة بين النص القرآني، و بين النص الشعري، و إلى تقديم بعض الآراء حول القرآن الكريم ثم دحضها .

2- الاعتماد على الأدلة المنقلة من القـرآن و السنة و الأخبـــار الواردة عن الصحابـــة و التابعين، قبل أن يلجأ إلى الأدلة العقلية، ليكون اللقاء بين العقل و النقل.

و كثيرا ما يلجأ الباقلاني إلى أسلوب الحوار، و الجدل. يقول : << إن قال قائل بينوا لنا ما الذي وقع التحدي: أهو الحروف أو الكلام القائم بالذات، أو غير ذلك قيل الذي تحداهم به أن يأتوا بمثل الحروف التي هي نظم القرآن منظومة كنظمها متتابعة كتتابعها، مطردة كاطرادها ولم يتحدهم إلى أن يأتوا بمثل الكلام القديم الذي لا مثل له، و إن كان كذلك فالتحدي واقع إلى أن يأتوا بمثل الحروف المنظومة التي هي عبارة عن كلام الله تعالى في نظمها، و تأليفها .. >> (1).

يرى الباقلاني أنّ القرآن معجز في أسلوبه، و يوّظف مصطلح الأسلوب بمعنى لا يختلف عما تعرفه الدراسات الأسلوبية، و اللسانية الحديثة، و الأجمل من ذلك أن يربط بين أسلوب القرآن و انسجامه ، بحيث يرى أن إعجازه يكمن في تفرد أسلوبه، و في سيره على نمط متجانس، دونما اختلال أو اضطراب أو تفاوت بين سورة و سورة ، أو آية و آية ، أو موضوع و موضوع (2) .

و كثيرا ما ينظر الباقلاني إلى أسلوب القرآن نظرة شاملة ،و يجعله يضم الفواتح و الخواتم و المبادئ و المناسب و المطالع .. (3)

(1): القاضي أبي بكر الباقلاني، إعجاز القرآن، هامش(الإتقان في علوم القرآن للسيوطي)، المكتبة الثقافية، بيروت1973، ج:1، ص:158.
(2):انظر المصدر نفسه، ج:1، ص:11.
(3): انظر المصدر نفسه، ج:2، ص:202.

و أكثر من هذا، يربط الباقلاني في استعمالاته بين النظم و التأليف و الرصف : كما يبدو ذلك جليا، و هو يحلل سورة النمل يقول :
<< انظر في آية آية و كلمة كلمة، هل تجدها كما وصفنا من عجيب النظم و بديع الوصف، فكل كلمة لو أفردت، كانت في الجمال غاية، و في الدلالة آية ... من غير خلل يقع في نظم الفصل إلى الفصل، و حتى يصور لك الفصل وصلا ببديع التأليف و بليغ التنزيل >> P(1)P

يقدم الباقلاني نظرة أخرى تجمع بين التحليل البصير، و التذوق الرفيع ، حين يحاول تفسير انسجام الآيات رغم تباعد مقاصدها، فقد تجد آيات متباعدة في المواقع نائية المطارح قد جعلها النظم البديع أشد تآلفا من الشيء المؤتلف في الأصل P(2)P .

و لا يفتأ الباقلاني يذكر الأمثلة المختلفة من القرآن الكريم تأكيدا على نظرته هذه و يحاول أن يفسر انسجام القرآن رغم تعدد مواضيعه ، و الانتقال من معنى إلى آخر، و يكشف عن أوجه الخلوص من احتجاج إلى وعيد و من اعذار إلى إنذار .. لكنها تأتلف بشريف النظـم وبعلى الضم P(3)P .

فجاءت المصطلحات المتكررة التالية : الضم - الرصف - النظم - الانسجام . دون أن يبرر كيف كان هذا الرصف، و النظم، و الانسجام صوريا، و دلاليا
المهم أن الجهد البلاغي القديم استطاع أن ينظر إلى النص من حيث ائتلافه و تلاحمه دون أن يتعمق أكثر في ذلك .

بل بقي الموقف جزئيا، و ذوقيا دون أن يكون ذلك عن قصور أو عجز، و إنما هو تمثيل لمرحلة معينة لها خواص معينة استدعت بالضرورة نتاجا يلائمها.
و كان المأمول أن تستمر الجهود لتطوير الدرس البلاغي القديم، والوصول به إلى مرحلة التنظير الكلي ، لكن مرحلة الجمود التي مرَ بها الفكر العربي و الثقافة العربية، كانت ذات تأثير بالغ على الدرس البلاغي P(4)P .

---

(1) : المصدر السابق ، ج : 2 ، ص : 58 – 59 .
(2) : انظر ، المصدر نفسه، ج : 2 ، ص 64 – 65 .
(3) : انظر ، المصدر نفسه ، ج : 2 ، ص : 69- 70 .
(4) : انظر ، محمد عبد المطلب ، بناء الأسلوب في شعر الحداثة ، التكوين البديعي ، دار المعارف ، ط : 2 القاهرة ، 1993 ،ص : 6 .

2-2- التــراث اللغــوي – النــظرة النــحوية :

2-2-1- الجرجاني ... التعليق :

تكمن أهمية جهد الباقلاني في التأثير على جهود الجرجاني (ت 471 هـ) و غيره .

فإذا كان الباقلاني لم يجرد من فهمه لفكرة النظم، و الائتلاف أساسا نحويا فإنّ هذا الأساس النحوي المسؤول عن تضافر الوحدات و تلاحمها، سيتجسد في نظرية النظم عند الجرجاني [1] .

لا يعني ذلك أنَه هو مبتكر هذه النظرية فقد سبقه إليها غيره من أعلام اللغة العربية، خاصة المعتزلة، كالجاحظ، والروماني، لكن يعود إليه الفضل في بلورتها و صياغتها و حسن تشكيلها .

<< عمد الجرجاني إلى ربط النحو بالدلالة، فنظر في العلاقة بين المكون التركيبي، و المكون الدلالي، العلاقة التي تأخرت النظرية التحويلية في إدراكها و معرفة أهميتها إلى ظهور كتاب شو مسكي الثاني بعد كتابه الأول بعشر سنوات >> [2] .

يقول عبد القادر الجرجاني في دلائل الإعجاز :

<< قد سمعنا ما قلتم فخبرونا عنها فماذا عجزوا ؟ عن معان من دقة معانيه و حسنها و صحتها في العقول ؟ أم عن ألفاظ مثل ألفاظه ، فإن قلتم عن الألفاظ فماذا أعجزهم من اللفظ ؟ أم ما بهرهم منه ؟ فقلنا أعجزتهم مزايا ظهرت في نظمه و خصائص صادفوها في سياق لفظه، و بدائع راعتهم من مبادئ آية و مقاطعها ..>> [3] .

فالجرجاني ربط بين النظم القرآني، و مضمونه، فربط بذلك بين المكون التركيبي و المكون الدلالي .

---

(1) : انظر ، الأخضر جمعي ، قراءات في التنظير الأدبي و التفكير الأسلوبي عند العرب ص : 74-75 .
(2) : أ . حسام البهنساوي ، أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب و نظريات البحث اللغوي الحديث مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة 1994 . ص : 51 .
(3) : عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز في علم المعاني ، تصحيح : محمد محمود الشنقيطي تعليق محمد رشيد رضا ، ص : 42 .

وإلى معنى التأليف و الترتيب أشار في أسرار البلاغة : << و الألفاظ لا تفيد حتى تؤلف ضربا خاصا من التأليف، و يعمد بها إلى وجه دون وجه من التركيب و الترتيب >> [1] .

يتضح من كلام الجرجاني أنّ ما يميز نظرية النظم عنده، ليس هو النظم في حدّ ذاته، إنّما هي فكرة تعليق الكلم بعضه ببعض [*] . و أخطر شيء تكلم فيه عبد القاهر على الإطلاق لم يكن النظم، و لا البناء، و لا الترتيب وإنّما كان التعليق [2] لأنّ الجرجاني قال صراحة أن لا نظم في الكلم حتى يعلق بعضها ببعض، أي أنّ:

النظم ⇐ التعليق .

فالجرجاني كان واعيا بأهمية التنضيد، و الربط بين الكلمات لتحقيق التماسك داخل الجمل، و مع ذلك لا نجد إجماعا على فهم واحد لنظرية النظم عند الجرجاني. قد يفسر تعدد فهم هذه النظرية بين الدارسين و النقاد، ما أورده الجرجاني من أراء مختلفة في سياقات متعددة، وردت فيها كلمة النظم، تبيح قراءات متباينة، مع قلة الأمثلة التطبيقية..

يبدو تعدد فهم نظرية النظم منذ القديم : فالقزويني (666 – 739 هـ) يرى في النظم تطبيق الكلام على مقتضى الحال [3].

فهل كان للجرجاني السبق في إنشاء علم المعاني دون أن يدري، أم أننا نستطيع أن نفهم من نظرية النظم عند الجرجاني ما فهمه علماء اللغة المعاصرون من العلاقات السياقية، و أن نفهم من معنى المعنى العلاقات الاستبدالية [4] .

يعرّف الجرجاني الأسلوب على أنّه ضرب من النظم و الطريقة فيه، و يعرّفه المحدثون بأنّه إسقاط محور الاختيار على محور التركيب

النظم = الأسلوب = إسقاط محور الاختيار على محور التركيب .

أما التعليق = الربط بين الكلم .

(*) : التعليق مفهوم كثيرا ما تكرر في كتب فان دايك، و إن كان يبحث في العلاقات بين الجمل ، لا العلاقات داخل الجملة الواحدة .

(1): عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة ، تعليق محمود محمد شاكر، دار المدني، ط:1، جدة 1991، ص:4

(2): انظر ، تمام حسان ، اللغة العربية معناها ، مبناها ، ص : 188

(3): انظر، القز ويني الخطيب، الإيضاح في علوم البلاغة ، تحقيق عبد الحميد هنداوي، مؤسسة المختار ط : 1 ، القاهرة 1999 ، ص : 11 .

(4) : انظر ، نصر حامد أبو زيد ، إشكاليات القراءة و آليات التأويل ، ص : 218 .

ليس بناء الأسلوب مجرد ضم الألفاظ، إنّما المسألة تتجاوز مسألة الضم إلى عملية التعليق، ففي التعليق تلعب العلاقات النحوية دورا بالغا.

الروابط بين الجمل ،من ذلك مثلا الربط بالواو، لا بد أن يكون هناك ما يجمع بين المعطوف والمعطوف عليه . لذلك يعيب على أبي تمام قوله :

لا والذي هوعالم أن النوى صبر و أن أبا الحسن كريم

ذلك لأنه لا مناسبة بين كرم أبي الحسين، و مرارة النوى، و لا تعلق لأحدهما بالأخر[1] .

يقول :

<< و اعلم أن من الكلام ما أتت المزية في نظمه الحسن، كالأجزاء من الصيغ تتلاحق، و ينظم بعضها إلى بعض حتى تكبر في العين، فأنت لذلك لا تكبر شأن صاحبه، و لا تقضي له بالحذق، و الأستاذية، و سعة الذرع، و شدة المنة حتى تستوفي القطعة >> [2] .

فالمزية في النظم الحسن تستدعي :

- التلاحق بين الأجزاء .
- الضم .
- تلاحم القطعة كلها .

أكثر من ذلك، كان للجرجاني وعي بدور المتلقي في صناعة النص، يقول مثلا :

<< فإنما أرادوا بقولهم : ما كان معناه إلى قلبك أسبق من لفظه إلى سمعك أن يجتهد المتكلم في ترتيب اللفظ، و تهذيبه و صيانته من كل ما أحل بالدلالة، و عاق دون الإبانة >> [3] .

اقترح عبد القاهر الجرجاني للصياغة أربع مراحل و هي : النظم، و البناء و الترتيب، و التعليق، و استمد هذا الإطار الفكري من مذهب الأشاعرة في مسألة الكلام النفسي، و كان سابقا بعدة قرون الدراسات اللغوية النفسية الغربية الحديثة فسبق بهذا مثلا ما قدّمه الباحث الأمريكي دي بوجراند [4] .

---

(1) : عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز في علم المعاني ، ، ص : 240--241

(2) : المرجع نفسه ص 268

(3) : عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة ، تعليق محمود محمد شاكر ، ص : 144 .

(4) : انظر ، روبرت دي بو جراند ، النص و الخطاب و الإجراء ، تر . تمام حسان ، هامش ص : 5 .

لكن قد يعاب على الجرجاني عدم تجاوز حدود الجملة، رغم الوعي بالعلاقات بين الجمل، ويعود ذلك إلى غياب اللقاء بين النحو، وعلم المعاني و الانتقال من الاهتمام بالتحليل إلى التركيب ، هذا ما دفع د . تمام حسان إلى اتخاذ هذا الرأي من علم المعاني يقول :

<< إنّ النحو العربي أحوج ما يكون إلى أن يدّعي لنفسه هذا القسم من أقسام البلاغة الذي يسمى علم المعاني، حتى أنه ليحسن في رأيي أن يكون علم المعاني قمة الدراسة النحوية >> [1] .

بل إن عدم امتزاج النحو بعلم المعاني منع الانتقال من الاهتمام بالتحليل إلى العناية بالتراكيب، و الانتقال من مستوى الجملة إلى مستوى ما فوق الجملة ، فلو كان اللقاء بين النحو، و علم المعاني لكان للعرب السبق في ظهور لسانيات النص .

و مع ذلك يبدو أثر الجرجاني واضحا فيمن أتى بعده ،،و ألف في علم البلاغة كالسكاكي و القز ويني.

كما يبدو أثر نظرية النظم على الكثير من المفسرين الذين حاولوا الإفادة من هذه النظرية في بيان إعجاز القرآن و لعلّ الزمخشري الذي عاش في القرن السادس كان خير من توسّع في تطبيق هذه النظرية [2]. ذلك أن كلاهما اعتمد على العقل و التحليل المنطقي، فهل يحقّ لنا بعد ذلك أن نقول :

<< إن النظم يمثل مكونا في نظرية لغوية لا تقل سماتها وضوحا عن سمات أي نظرية لغوية حديثة، و الواقع أنّ مفهوم **النظـم** يمثل العمود الفقري لنظرية لغوية عربية، لا تقل تكاملا من ناحية اتساقها على الأقل عن أي نظرية لغوية حديثة بما في ذلك نظرية "فردينا ند دي سو سيور" >> [3] .

كما يلتقي الجرجاني في رأيه عن دور المتلقي مع النظرية التي نشأت أولا في ألمانيا و ذلك قبل أن يشرع **ياوس** و **أيزر** في ترتيب الأطر العامة لنظرية تعني بالتلقي الأدبي و التأثيرو الاستجابة في مطلع السبعينيات [4] . حتى أنّه يمكن القول دون مبالغة أن فكرة النظم لعبد القاهر الجرجاني كانت ملحة على رؤية أيزر و هو يدلي بدلوه في تأسيس نظرية الاستقبال و التلقي التي تجاوزت حدود البيئة إلى النطاق العالمي [5] .

---

(1) : تمام حسان ، اللغة العربية معناها ومبناها ، ص : 336 .
(2) : انظر، عفت الشرقاوي، بلاغة العطف في القرآن، دراسة أسلوبية، دار النهضة العربية 1981 ص: 35 .
(3): عبد العزيز حمودة ، المرايا المقعرة ، عالم المعرفة الكويت 2001 ، ص : 220 .
(4) : انظر ، عبد الله إبراهيم ، التلقي و السياقات الثقافية ، دار الكتاب الجديد ، ط :1، القاهرة 2000 ، ص:7
(5) : انظر ، محمود عباس ، قراءة النص و جماليات التلقي ، ص 35 .

I - 3 التـــراث النقــــدي:

حازم القرطــاجني ... مستوى النـــص .

عاش حازم القرطاجني في القرن السابع الهجري (ت . 684 هـ) ، في عهد عرف النقد تطورا و رؤى أكثر نضجا و وعيا .

لقد بلغ النقد في هذا العهد فهما ناضجا للتركيب، تجاوز حدود الجملة إلى مستوى النص، فهذا ابن الأثير (ت . 37 هـ) يقول عن مفهوم التركيب بشكل ينم عن الوعي و التذوق الفني :

<< يحتاج صاحب الصناعة اللفظية في تأليفه إلى ثلاثة أشياء : الأول منها اختيار الألفاظ المفردة و حكم ذلك حكم اللآلئ المبددة ، فإنها تتخير و تتنقى قبل النظم الثاني نظم كل كلمة مع أختها المشاكلة لها، لئلا يجيء الكلام قلقا نافرا عن مواضعه، و حكم ذلك حكم العقد المنظوم في اقتران كل لؤلؤة منه بأختها المشاكلة لها و الثالث الغرض المقصود من ذلك الكلام على اختلاف أنواعه، و حكم ذلك حكم الموضع الذي يوضع فيه العقد المنظوم، فتارة يجعل إكليلا على الرأس و تارة قلادة في العنق >> [1] .

فهناك مراحل قبل أن يكون التركيب و الانسجام فيه :

- اختيار الألفاظ .
- نظم و بنـــاء .
- مراعاة الغرض و الهدف .

من هنا اهتم حازم القرطاجني باللفظ و بالنظم و الأسلوب معا، و رأى في حسن التركيب و التأليف صورة أخرى تقترب مما قدمه ابن الأثير

يقول :

<< و اعلم أن منزلة حسن المحاكى به و إحكام تأليفه من القول المحاكى به و من المحاكاة بمنزلة عتاقة الأصباغ، و حسن تأليف بعضها إلى بعض، و تناسب أوضاعها من الصور التي يمثلها الصانع >> [2] .

---

(1) : ابن الأثير ، المثل السائر ، ج : 1 ، ص : 149 .

(2) : حازم القرطاجني ، منهاج البلغاء و سراج الأدباء ، تقديم و تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة د ط ، دار الكتب الشرقية ،تونس 1966، ص : 129 .

رأى حازم القرطاجي تقسيم كتابه إلى أربعة أقسام و مباحث و هي : اللفظ المعنى النظم و الأسلوب .

لأنّ هناك مراحل قبل الوصول إلى مستوى النص، بدءًا باختيار اللفظ إلى النظم و الأسلوب.

- مبحث اللفظ : يمثل المستوى المعجمي .
- مبحث المعنى : يمثل المستوى الدلالي .   } مستوى الجملة
- مبحث النظم : يمثل المستوى التركيبي .

{- مبحث الأسلوب : يمثل المستوى النصي . } مستوى النص

يقول و قد أشرنا إلى بعض ما ينحو الشعراء نحوه فيما يرجع إلى أمور لفظيـة أو معنوية أو نظمية أو أسلوبية [1] .

1- و يبدو وعي حازم بالمستوى النصي من خلال هذا البناء لمباحث الكتاب و القضايا التي يطرحها بشكل متنام بدءا بالمستوى المعجمي إلى مستوى النص ...

2- و يبدو من خلال نظرته للقصيدة نظرة شمولية موحدة .

3- كما يتجلى واضحا من خلال المفاهيم النقدية التي عمد إليها، التي تجعله يقترب ممّا توصلت إليه لسانيات النص حديثا عن الانسجام و غيره .

4- وفي نظرته للقصيدة كان متأثرا بأرسطو، لكنه كان دائم البحث عن الخصوصية العربية، لذلك حاول أن يتجاوز نقص ابن سينا في فـهمـه لأرسطو و نقص الفارابي أيضا :

<< لقد استوعب حازم في هذا الصدد تصور الفارابي و صياغة ابن سينا و انتدب نفسه لتداول النقص الذي أشارا إليه >> [2] .

---

(1) : المصدر السابق ، ص : 373 .

(2) : محمد العمري ، البلاغة العربية ، ص : 498 .

لم يتوقف حازم في نقده عند البيت الواحد، بل نظر إلى القصيدة كلها ، فقسّم القصيدة إلى فصول، و وقف على تطور المعاني، و كشف العلاقة بين مطلع القصيدة و نهايتها، و أشار إلى الشروط التي ينبغي أن تراعى عند كل مطلع و كل نهاية، و وضع مصطلحي التسويم و التحجيل و أكثر من ذلك فإن حازم ينظر إلى النص في تماسكه، و انسجامه نظرة الثوب الذي أتقن صنعه و نسجه [*]

كذلك اهتم حازم بالنمو الداخلي للقصيدة، و في حديثه عن العلاقة بين الفصول و إشارته إلى الاطراد في تسويم رؤوس الفصول يتطابق هذا النظر يكاد يكون حرفيا مع ما يذهب إليه (فان دايك) في حديثه عن ترابط البنى المؤلفة لكل نص [1] . و يستعمل حازم مصطلح الاقتران، و هذا المفهوم يقترب من مفهوم Cohérence .

من هنا كان لحازم القرطاجني السبق في الاهتمام بانسجام النص الشعري و تلاحمه، كما كان له السبق أيضا في تحديده للمفاهيم النقدية التحليلية، كمفهوم:

النظام - Système : يقترب من مفهوم النسق .

الاقتران - Cohèrence.

كذلك يهتم حازم القرطاجني بالعلاقات، و الروابط بين الجمل

<< إنّ مفهوم حازم للوحدة الشعرية متصل بفهوم الوحدة عند أرسطو في كتابه فن الشعر (...)، ويبدو أن الذي ساعده على ذلك هو أن القصيدة العربية كانت قد تطورت عند الشعراء المحدثين إلى نوع من ترابط الأجزاء، ألمع إليه حازم عندما أشار إلى أنّ شعراء المحدثين أحسن مأخذا في التخلص والاستطراد من القدماء>>[2] .

يهتم أيضا بالانسجام الصوتي، و يربطه بمستوى النص كله، فلا يكتفي بالنظر إلى التلاؤم بين حروف الكلمة الواحدة، بل يتعداه إلى الجمل المتتابعة، يقول: << و من ذلك حسن التأليف و تلاؤمه، و التلاؤم يقع في الكلام على أنحاء : منها أن تكون حروف الكلام بالنظر إلى ائتلاف بعض حروف الكلمة مع بعضها و ائتلاف جملة كلمة مع جملة كلمة، تلاصقها منتظمة في حروف مختارة، متباعدة المخارج مرتبة الترتيب، الذي يقع فيه خفة و تشاكل ما >> [3] .

(*) : عن مفهوم النص والنسج ، انظر الفصل الأول ، ص : 11.

(1) : انظر ، إبراهيم خليل ، الأسلوبية ، دار الفارس ، عمّان 1997 ، ص : 61 .

(2) : جابر عصفور ، مفهوم الشعر ، دراسة في التراث النقدي ، دار التنوير، ط:3، بيروت 1983، ص:201

(3) : حازم القرطاجني ، منهاج البلغاء ، ص : 222 .

و يرى حازم أن الانسجام الصوتي بين الأبيات، في ما كان من كافات الضمائر و تاءات التأنيث في مقطع الشعر أن يلتزم قبلها حرف بعينه، و يلتزم فيه حركة بحسنها [1].

لم يكن اهتمام حازم بالانسجام على المستوى الصوتي و المعجمي، و الدلالي بل تعدّاها إلى المستوى التداولي: و يرى أن التأثير على المتلقي مرتبط بحسن ديباجته ، و هي أمور تتعلق باللفظ، و المعنى، و النظم، و الأسلوب، و مرتبط أيضا باستعداد و قابلية المتلقي و الاستعداد نوعان :

- حال و هوى النفس .

- الاعتقاد في الشعر أنه حكم و أنه غريم [2].

فالبعد التداولي عند حازم مرتبط بالسياق النفسي أكثر، و هو ما يجعله يقترب في الكثير من آرائه و أفكاره مما توصل إليه " فان دايك" في أبحاثه ، بل يمكن القول دون غلو، أو مبالغة أن حازم القرطاجني سبق الغرب بجهوده بعدة قرون.

---

(1): انظر ، المصدر السابق، ص:274.

(2): انظر ، المصدر السابق ، ص : 121 .

I-4 - التـــراث الفلسفـــي ... الانسجــام و الـتأويـــل :

لا تخلو الاجتهادات الفلسفية من الاهتمام بالدفاع عن انسجام النص القرآني لكنها اعتمدت في جلّ الأحيان على مبدأ التأويل ، فجاءت قضية الانسجام مرتبطة أشد الارتباط بقضية التأويل.

4-1- الشاطبـــي : المجال التداولي و عملية التأويل :

كان الشاطبي (ت 790هـ)، فقيها و فيلسوفا، عاش بغرناطة و توفي هناك و كان معاصرا لأعلام ثلاثة : لسان الدين بن الخطيب ، و ابن خلدون ، و ابن القباب في عهد الانحطاط السياسي و الانتعاش الثقافي. ألف كتابه(الموافقات) للتعريف بعلم مقاصد الشريعة، فالكتاب وسيلة إلى فقه الاستنباط و تشخيص علم المقاصد، و فقه في الدين، و مثال متميز في توظيف الاستقراء الكلي، و علم متكامل بنظام الشريعة و أسس التشريع و مقاصده في مصالح العباد في الداريين .[1]

و كان يستند في ذلك على النقل و العقل معا، و لا يرى في العقل شارعا و لا يرى أن هناك تعارضا بينهما، بل كثيرا ما يلجأ إلى الاستقراء، و القياس لاستنباط أحكام الشريعة و التأويل، مراعيا هدفا ساميا: هو الحفاظ على وحدة الأمة الإسلامية، لذلك كان يعارض بشدة أن تنتقل الخلافات الفقهية بين علماء الأمة إلى عامة الشعب. فقدم قواعد التأويل، و ضوابطه، و استيراجياته، خاصة الإستيراجية التقيسية، و تعني هذه الاستراتجية: توظيف ماهو معلوم لفهم ماهو مجهول و الخبرات السابقة لفهم الأوضاع المستجدة [2] .

يقول عن التأويل : << إذا تسلط التأويل على المتشابه، فيراعى في المؤول به أوصاف ثلاثة: أن يرجع إلى معنى صحيح في الاعتبار متفق عليه في الجملة بين المختلفين، و يكون اللفظ المؤول قابلا له، و ذلك أن الاحتمال المؤّول به ، إما أن يقبله اللفظ أولا، فإن لم يقبله، فاللفظ نص لا احتمال فيه، فلا يقبل التأويل، و إن قبله اللفظ، فإن يجري على مقتضى العلم أولا، فان جرى على ذلك ، فلا إشكال في اعتباره لآن اللفظ قابل له، و المعنى المقصود من اللفظ لا يأباه(...) و أما إن لم يجر على مقتضى العلم فلا يصح أن يحمله اللفظ على حال >> [3] .

(1) : انظر ، الشاطبي ، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى ، الموافقات ، ضبط نصه ، أبو عبيده مشهور، دار ابن عفّان، ط:1، السعودية 1997 ، مجلد 1 .ج:1، ص – طـمن المقدمة .

(2) : انظر ، محمد مفتاح ،المفاهيم معالم، المركز الثقافي العربي، ط:1، الدار البيضاء 1999، ص:151.

(3) : الشاطبي ، الموافقات ، المجلد3 ، ج 1 ، الرجوع إلى ص 330 إلى 333 .

ربط الشاطبي بين عملية التأويل و المجال التداولي، و انسجام النص ذلك أن <<هناك علاقة وطيدة بين تأويل النص وانسجامه، كما تقره التداولية اليوم، بحيث يقوم تأويل الخطاب على نسبة مقصد إجمالي إلى قائله، وكلما سهل بناء هذا المقصد كان هذا المقصد الإجمالي ثريا مركبا، وازداد ميلنا إلى الحكم على الخطاب المعني بأنه منسجم>> [1] .

و يبدو المجال التداولي عند الشاطبي، في الاهتمام بأوضاع المؤول و أوضاع المؤول له، أمّا البحث في انسجام النص القرآني، فيتجلى من خلال هذه النظرة للنص القرآني ، يقول عنه :

<< أن جميع سوره كلام واحد بحسب العباد لا بحسبه في نفسه (...) فيصح في الاعتبار أن يكون واحدا بالمعنى المتقدم، أي يتوقف فهم بعضه على بعض بوجه ما، و ذلك أنّه يبين بعضه بعض، حتى أن كثيرا منه لا يفهم معناه حق الفهم إلاّ بتفسير موضع آخر أو سورة أخرى لأنّ كل منصوص عليه، فيه من أنواع الضروريات مثلا مقيد بالحاجيات، فإذا كان كذلك فبعضه متوقف على البعض في الفهم، فلا محالة أنّ ما هو كذلك فكلام واحد، فالقرآن كله كلام واحد، بهذا الاعتبار >> [2] .

يلاحظ أن الشاطبي يرى أن النص القرآني كلام واحد ، و هذه الميزة لا تنبع من ذات النص. و إنما تتعلق بالمتلقي الذي يلجأ إلى تفسير بعض الآيات و سور أخرى، و لأنه كذلك، فالتكرار وسيلة من وسائل الانسجام في النص القرآني، كما ترى ذلك الدراسات الحديثة، و قد تكررت فكرة النص الواحد المنسجم عن القرآن الكريم في الكثير من المواضع [3] (هذا النص يخدم بعضه بعضا كأعضاء الإنسان).

من هنا يبدو اهتمام الشاطبي بترابط الآيات و السور، و هو ترابط خفي يكشف عنه التأويل الصحيح، الذي يعرف مقاصد الشريعة، فبدا اهتمام الشاطبي بترابط الآيات و السور اهتماما بمضمون النص، لا يتجاوز العلاقات بالترابط المفهومي، لكنّه لا يخلو من الاهتمام بالمتلقي، و هو ما جعل الشاطبي يلتقي بالكثير من نظريات التلقي الغربية. و قد عبّر عن تأثير النص القرآني على المتلقي بكلمة دقيقة هي التواجد.

---

(1) : انظر آن روبول جاك موشلار ، التداولية اليوم - تر سيف الدين دعفوس محمد الشيباني ، ص:217.
(2): الشاطبي ، الموافقات، المجلد 4 ، ص : 275
(3) : انظر ، الشاطبي ، الموافقات ، المجلد ، ص : 6 .

يقول : << و أما التواجد عن السماع، فهو في الأصل رقة النفس و اضطراب القلب، فيتأثر الظاهر بتأثر الباطن، قال الله تعالى :

{ الّذِينَ إذَا ذُكِرَ الله وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ } (الحج 35)

<< أي اضطربت رغبا و رهبا (...). فإنّما التواجد رقة نفسية و هزة قلبية و نهضة روحانية، و هذا التواجد عن وجد >> [1] .

و يقول : << فإن الوجل تأثر و لين يحصل في القلب بسبب الموعظة فترى الجلد من أجل ذلك يقشعر و العين تدمع (...) فإذا رأيت أحدا يسمع موعظة أي موعظة كانت، فيظهر عليه الأثر ما ظهر على السلف الصالح علمت أنها رقة هي أول الوجد >> [2].

يؤكد القول السابق عمق التحليل، و دقة اختيار المصطلحات عند الأسلاف.

4- 2 ابن رشد ... من الاستدلال إلى الانسجام:

لم يختلف أبو الوليد محمد بن رشد (520- 595 هـ) عن الشاطبي في تأثره بالمنطق الارسطي، لكن اختلف عنه في تقديم العقل عن النقل.

عرف عن ابن رشد تأثره الكبير بأرسو، و قدرته على النقد البناء، و عمق التحليل، لذلك لم يكن مجرد شارح لكتب أرسطو، أو ملخص لها، بل كان مفكرا مبدعا في فكره و فلسفته ..<< فبالرغم من أنّ أرسطو سابقا على ابن رشد زمنيا، إلا أنّه تاليا له من حيث البناء العقلي>>[3] و الدليل على ذلك ما يأتي:

- كان يتوجه في شرحه، و تلخيصه إلى القارئ العربي المسلم، فيحذف الشواهد اليونانية، و يغيرها بالشواهد العربية، و لم يكن ذلك عن سوء فهم، إنّما هي البصمة الحضارية العربية الإسلامية.
- كان لا يقف عند مستوى الشرح أو التلخيص، بل ينتقل إلى مستوى أعمق هو الاستدلال، و تدعيم أفكاره بالدليل العلمي، و التجربة الحسية –إن أمكن – و هو ما يثبت أن منهج ابن رشد يجمع بين العقل، و التجربة.

---

(1): الشاطبي، الاعتصام، تحقيق سليم بن عيد الهلالي، دار ابن عفان، ط:1، السعودية 1997 ص:339-340.
(2): المصدر نفسه، المجلد :1، ص:357.
(3): حسن حنفي حسين، ابن رشد شارحا أرسطو، مؤتمر ابن رشد، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر 1983، ج:1، ص:60.

- تأثيره في تطور الفكر الأوروبي: << و يمكن القول أن ابن رشد بدفاعه عن الفلسفة، و دعوته إلى الاعتماد على العقل، و التجربة قد مهّد السبيل، بصورة غير مباشرة إلى الثورة العلمية الأوروبية في القرنين السادس عشر و السابع عشر>>[1].

ألف ابن رشد الكثير من الكتب و الرسائل، منها الإسلامية ، و منها الفلسفية و منها العلمية، و كان إلى جانب ذلك ذا ثقافة أدبية و لغوية، منحته قدرة على المقارنة بين الأدب اليوناني و الأدب العربي.

ففي تلخيص فن الشعر لأرسطو حاول ابن رشد أن يترجم بعض المصطلحات اليونانية إلى العربية، -كما سبقه إلى ذلك غيره – فترجم التراجيديا إلى المديح، و ترجم الكوميديا إلى الهجاء، و سواء حاد ابن رشد عن الترجمة الصحيحة أم منح النص صبغة عربية، فإنه ذهب بعد ذلك لتصور العقدة، بأنها مماثلة <<للربط، و هو ربط جزء النسيب، و بالجملة صدر القصيدة بالجزء المديحي أما الحل فهو فصل الجزأين أحدهما عن الآخر>>[2].

يلاحظ كيف استعان ابن رشد بآراء أرسطو في قضايا ترتبط بالنقد الفني كقضية الوحدة الفنية.

و لم يكتف ابن رشد بذلك، فقد وظف مفهوم المحاكاة، و التخييل، و ذكر أنواع المحاكاة أي التشبيهات، و منها المحاكاة التي تقع بالتذكر. و لما كان الاستدلال هو الانتقال من الجهل إلى المعرفة، فإن التعرف الذي يتم بالذاكرة يعد استدلالا، و هو في الشعر العربي كثير كالوقوف على الأطلال. و يفرق ابن رشد تأثرا بأرسطو بين الاستدلال، و الإدارة، و يرى أن الاستدلال أن يحاكي الشيئ نفسه دون أن يعرض لمحاكان ضده، بينما الإدارة هي محاكاة الشيئ بمحاكاة ضده ثم الانتقال منه إلى محاكاته. كانتقال الشاعر من محاكاة الفضيلة إلى محاكاة لا فضيلة.

و مثال الإدارة في المدح قوله تعالى:
{ **ضَرَبَ الله مَثَلاً كَلِمَةً طَيْبَةً** } ، إلى قوله : {**مَالَهَا مِنْ قَرَار** }.
و مثل الاستدلال قوله تعالى: { **كَمَثَلِ حَبَةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ** }[3].

---

(1): محمد كامل عياد، تأثير ابن رشد على مر العصور، المرجع السابق ج:2، ص: 404.

(2): انظر : أرسطو طاليس، في الشعر، مع الترجمة العربية القديمة، و شروح الفارابي، و ابن سينا و ابن رشد، ترجمة عن اليونانية و شرحه، و حقق نصوصه: شكري محمد عياد، دار الكتاب العربي، القاهرة 1967، ص:216.

(3): انظر: المصدر نفسه، ص:217- 218.

استطاع بن رشد أن يوظف الاستدلال من أجل الانتقال من حدود الجملة و البيت إلى النص كله، فاستطاع بذلك أن يقف على العلاقات التي تربط مكونات النص، و قد عمد إلى التأويل متكئا في ذلك على الشعر الجاهلي حيث يكثر فيه تداعي الأفكار، أي الربط المفهومي بتفسير " دي بوجراند"، و يعود هذا الربط إلى اهتمام ابن رشد بالعلاقات المنطقية، داخل القصيدة الواحدة. خاصة أنه كان يرى الشعر ضربا من المنطق.

استفاد الكثير من أهل النقد و البلاغة العربية من أفكار ابن رشد، كما استفاد غيرهم << و يمكن أن نستشهد لذلك على مستوى الأفكار الكلية التي وردت عند ابن رشد، و لم تطور في حينها بقضية " وحدة الخطاب الأدبي" و تقليد الإبداع الأدبي لإبداع الطبيعة في اللجوء إلى هذه الوحدة، هي نفس الفكرة التي أبرزها جورج بوفان الذي توفي بعد ابن رشد بنحو ستة قرون (1707- 1788) في عمله المشهور "مقال في الأسلوب – Discours sur le style>>P[1]P.

تطورت بعد ذلك نظرية بوفون عن الأسلوب في الدراسات الغربية و تطورت معها مفاهيم، و رؤى تتعلق بالأسلوب، و النص و الخطاب، و غابت أصول هذه النظرية التي تعود بنا إلى عهد عطاء الحضارة العربية الإسلامية.

---

(1): أحمد درويش، محاولات ابن رشد لتعريب الأفكار النقدية، و البلاغية لأرسطو، المجمع الثقافي (عن مؤتمر ابن رشد)، ط:1، تونس 1999، المجلد: 2، ص:196.

5-I التراث الديني:

علـم النص من خلال علم التفسير و علوم القرآن

تجلت مظاهر علم النص في كتب التفسير، و علوم القرآن أكثر مما تجلت في كتب النقـد و البلاغة و الفلسفة و غيرها، و لا يعني ذلك أنّ كل المفسرين اهتموا بعلم المناسبات، بل منهم من رفض هذا العلم رفضا قاطعا، كالشوكاني (ت1250هـ) الذي اعتبر الخوض فيه ، تكلما بمحض الرأي ، يقول :

<< و ما أقل نفع مثل هذا، و أيزر ثمرته و أحقر فائدته >> [(1)] .

أما أول من أبرز علم المناسبات فهو الإمام أبو بكر النيسابوري (ت324 هـ) ثم أبو بكر بن العربي المالكي (ت 542 هـ)، في كتابه(أحكام القرآن)، و من المهتمين بإبراز المناسبات بين الآيات في ثنايا التفسير فخر الدين الرازي (ت 606هـ) ، في (مفاتيح الغيب).

5-1- علـــم النص و علـــــوم القرآن :

5-1-1- الزركشي و السيوطي ... التنظير لعلم المناسبات :

يقترب مفهوم المناسبة بين الآيات و السور من مفهوم الانسجام و ليست المناسبة كما رأى د . صبحي إبراهيم من أهم العوامل التي تسهم في تحقيق التماسك النصي [(2)] ، بل هي البحث في هذه العوامل التي تسهم في تحقيق ذلك .

و بعبارة أخرى فإن البحث في انسجام النص القرآني يضطلع به علم المناسبة الذي يجعل للعرب و المسلمين السبق في إدراك علم النص، و في تحليل النص على مستوى يتجاوز حدوده الجملة الضيقة .

و يعد كتاب(البرهان في علوم القرآن) للإمام بدر الدين محمد بن الله الزركشي أحد علماء الإثبات في القرن الثامن هجري (ت 794)، و كتاب(الإتقان في علوم القرآن) لشيخ الإسلام جلال الدين السيوطي (ت 911) من أهم الكتب في علوم القرآن التي تناولت علم المناسبة تناولا تنظيريا، بعدما أفردا لهذا العلم فصولا خاصة به، فلا غرو بعد ذلك إذا عددنا الزركشي و السيوطي من كبار منظري علم النص في التراث العربي الإسلامي .

---

(1) : محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، فتح القدير ، الجامع بين فني الرواية و الدراية من علم التفسير مراجعة ، يوسف القوس ، دار المعرفة ، ط : 3، 1997 ، ص : 93 ، 95 .

(2) : انظر ، صبحي إبراهيم ، علم اللغة النصي دار قباء ط 1 ، مصر 2000 ، ج : 1 ، ص : 101 .

صحيح أنّ السيوطي كان مقلدا و متبعـا أكثر ممّا كان مبـدعا، يبدو تأثــره بالزركشــــي و بالبقاعي واضحا، فإنه يحمد له حسن الترتيب و التصنيف. وقد استفاد الزركشي و السيوطي من الدراسات القرآنية و كتب التفسير التي تناولت علم المناسبة تناولا تطبيقيا، و قاما بوضع الأسس النظرية لهذا العلم.

بدأ السيوطي بذكر أهم المؤلفات و الآراء التي تناولت علم المناسبة، ثم انتقل إلى ضبط المفاهيم و المصطلحات، و مادة البحث و منهجه. و لن يبتعد التنظير لأي علم عن هذه الأمور :

- ضبط المفاهيم . - تحديد موضوع البحث .

- ضبط المنهج . -الاتكاء على مؤلفات سابقة للتنظير .

يقول السيوطي :

<< المناسبة في اللغة المشاكلة و مرجعها في الآيات، و نحوها إلى معنى رابط بينها عام، أو خاص عقلي، أو حسي، أو خيالي، أو غير ذلك من أنــواع الــعلاقات أو التلازم الذهني، كالسبب و المسبب، و العلة، و المعلول، و النظيرين و الضدين و نحوه >>P[1]P .

يحدد السيوطي، و قبله الزركشي أنواع العلاقات التي تربط بين السور، و الآيات و يجعلها في :

- رابط عام أو خاص، أي الانتقال من الجزء إلى العام أو العكس .

- رابط عقلي أو حسي أو خيالي.. و هذه العلاقات لا تختلف في الكثير من تفاصيلها عما حدده " فان دايك" في دراساته

- التلازم الذهني : ← السبب و المسبب .

← العلة و المعلول .

← النظرين .

← الضدينP[2]P .

---

(1) : السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ، ج : 1 ، ص : 108 .

(2) : المرجع نفسه ج1 ، ص 108 .

قد تكون هذه العلاقات واضحة بين الآيات و السور، خاصة إذا كانت على وجه التأكيد، أو التفسير أو الاعتراض أو البدل، و قد تكون خفية يكشف الارتباط بينها من خلال قرائن معنوية، كالتضاد، و الاستطراد، و حسن تخلص. و لا يخلو تنظير السيوطي من تقديم أمثلة تطبيقية من الآيات و السور، تدعم أفكاره و تؤكدها.

يقول مثلا :

<< ... و بهذا يظهر أنّ ما في سورتي الأعراف، و الشعراء من باب الاستطراد لا التخلص لعوده في الأعراف إلى قصة موسى >> P[1]P.

بقوله و من قوم موسى، أمة ... الخ ، و في الشعراء إلى ذكر الأنبياء و الأمم و لا يعني ذلك أن، السيوطي لم يهتم إلاّ بالعلاقات المعنوية، و نفى العلاقات الأخرى بل إن إدراك السيوطي بطبيعة الروابط و أنواعها، جعله يقف على روابط شكليــــة و أسلوبيـــة و صوتيـــة و تركيبية أيضا. تبدو العلاقات الأسلوبية، و الصوتية خاصة بين فواتح السور و خواتمها، أو ما سمّاه السيوطي مراصد المطالع في تناسب المقاطع و المطالع :

<< و منه مناسبة فاتحة السورة لخاتمة ما قبلها حتى أن، منها ما يظهر تعلقها به لفظا كما في" فجعلهم كعصف مأكول" لإيلاف قريش >> P[2]P .

كما يبدو التناغم الصوتي، و الانسجام الصوتي بين سورتي المسد، و سورة الإخلاص، حيث تنتهي سورة المسد بالدال لتكون الفاصلة في السورة الموالية ، سورة الإخلاص .

و يقدم السيوطي تفسيرا لافتتاح بعض السور بالحروف المقطعة و اختصاص كل واحدة بما بدئت به، و ذلك أن كل سورة بدئت بحرف منها، فإن أكثر كلماتها و حروفها مماثل له كسورة ق ، بدئت به لما تكرر فيها من الكلمات بلفظ القاف P[3]P .

و من العلاقات الشكلية ما يبدو واضحا بين السور، فإنّما سميت السور السبع حم على الاشتراك في الاسم لما بينهن من المتشاكل الذي اختصت به، و هو أن كل واحدة منها استفتحت بالكتاب أو صفة الكتاب مع تقارب المقادير في الطول و القصر و تشاكل الكلام في النظام P[4]P .

---

(1) : انظر ، المصدر السابق ، ج : 1 ، ص : 110 .

(2) : المصدر نفسه ج 1، ص : 111 .

(3) :انظر المصدر نفسه ، ج 1 ، ص : 113 .

(4) :انظر المصدر نفسه ،ج 1 ، ص : 114 .

و يقدم السيوطي أمثلة طوال من السور و الآيات التي تجعل النص منسجما متلاحما كما يقدم الأمر الكلي لمعرفة ذلك :

1- معرفة الغرض الذي سيقت له السورة، أي هدف النص بتعبير "ج- م- آدام"
2- ربط المقدمات بذلك الغرض .
3- مراتب تلك المقدمات في القرب و البعد من المطلوب .
4- استشراق الأحكام و اللوازم التابعة للمطلوب .
5- الوقوف عليها [1] .

أي أنّ هناك خطوات يجب أن تراعى قبل الوصول إلى معرفة العلاقات بين السـور و الآيات : أهمها معرفة غرض السورة ، و لذلك من المفيد الإطلاع على أسباب النزول قبل معرفة أسباب الترتيب .

إنّ تحديد السيوطي للروابط شكلية كانت أم معنوية جعله يقترب مما قدّمه "فان ديك" من تحليل على المستويين الصوري، و السيمانطقي الدلالي للوصول في الأخير إلى انسجام النص .

5 – 2 – كـتـب التفسيــر :

اختلف العلماء في تفسير القرآن و تأويله، و هو ما جعله خالدا تتجدد قراءاته بتغير العصور و الأمصار : لأنّ خلود القرآن الكريم مرتبط أساسا بتجدد قراءاته.

<< ذلك أن العبارة القرآنية، أو الجملة القرآنية قد جعل الله فيها من المرونة و السعة بحيث يفهمها العقل العربي العادي في عصر نزول القرآن (و يجد فيها المسلم ما يشع فكره وجدانه معاً بالفهم الفطري السهل الميسر لكل قارئ للقرآن) و مع هذا أودع الله الجملة القرآنية من السعة و الخصوبة ما يشع لما يكشف عنه الزمن من حقائق و ما يبلغه العلم من تطور>> [2]

و رغم تجدد قراءة القرآن و تفسيره ، فإنّ التفسير لا يخرج عن نوعين منها :

---

(1) : انظر ، المصدر السابق ،ج 1 ص : 110 .

(2) : د . يوسف القرضاوي، كيف تتعامل مع القرآن العظيم ، ط :1 ، دار الشروق، القاهرة 1999، ص: 397

التفسير بالمأثور

- تفسير القرآن بالقرآن .

- تفسير القرآن بالسنة .

- تفسير الصحابة B (رضي الله عنهم)

-

ت
ف
س
ي
ر

ا
ل
ت
ا
ب
ع
ي
ن

.

التفســير

التفسير بالرأي .

يـقوم التفسيــر بالمــأثور على القرآن نفســه، ثم السنة النبـوية و ما روي عن الصحـابة، و التابعين. و ظهرت في هذا الشأن كتب كتفسير الطبري: جامع البيان في تفسير القرآن، الذي يقع في ثلاثين جزءا من الحجم الكبير.

و ضمن التفسير بالرأي، يـدخـل اهتمام المفـسريـن بـالمناسبة بين الآيات و السور ، لقوله تعالى :

{ أ فَلاَ يَتَدّبَرُونَ القُرْآنَ أمْ عَلىَ قُلُوبٍ أقـفَالـُهَـا } (محمد –25)

وهو تفسير بالرأي محمود لأنّه يقوم على قواعد علوم اللغة و الدين، و يستند على الأدلة المستمدة من الكتاب و السنة غير المخالفة لها ... و من أشهر التفاسير في هذا الشأن : تفسير البقاعي ، سيد قطب ، سعيد حوى ، و غيرهم .

وهي أمثلة فقط من التفسير المهتم بعلم المناسبات، الذي يثبت أنّ نظرة العرب المسلمين للنص القرآني، كانت تتجاوز حدود الآية و السورة إلى الكتاب كله من الفاتحة إلى سورة الناس .

فهل عرف الفكر الإنساني اهتماما بالعلاقات و الروابط داخل كتاب واحد مثلما عرف العرب و المسلمون ذلك عن كتاب الله سبحانه عز و جلّ ؟ .

5-2-1- الطبــري ... الربــط بين الجمــل :

يعدّ تفسير الطبري (ت 310 هـ) من أشهر التفاسير بالمأثور، لأنّه كان يجتهد قدر الإمكان ألا يلجأ إلى التفسير بالرأي، و كان يقول : << القائل في تأويل كتاب الله الذي لا يدرك علمه إلاّ بيان رسول -صلى الله عليه و سلم- و إن وافق قبله ذلك في تأويله ما أراد الله به من معناه قائل بما لا يعلم، و إن وافق قيله ذلك في تأويله ما أراد الله به من **معناه** >> [1] .

كان الطبري مؤرخا، و عالما باللغة، و الشعر ، فلا يخلو تفسيره من الاستشهاد بالشعر، كما لا يخلو من مسائل إعرابية و قضايا بلاغية، و من القضايا التي كان يشير إليها في ثنايا تفسيره، قضية الفصل و الوصل << و إذا كان مصطلح الفصل و الوصل قد نشأ في حضن علم القراءات، و كان الطبري ضليعا في هذا العلم و له جهود كبيرة في هذا الميدان، فإنّه من الطبيعي أن نقول– إنصافا للحقيقة – ألا تكون مادة الفصل و الوصل من ابتكاراته ، إنّما وجد تراثا مبعثرا فأضاف و جمع أشتاته و ضم أوصاله >> [2] .

كذلك اهتمت الدراسات البلاغية بقضايا الفصل و الوصل و كان جلّ اهتمامها بعطف الجمل دون عطف المفردات، فانصرفوا بذلك عن بلاغة التنسيق إلى بلاغة التركيب [3] ، أمّا التفسير فقد اهتمّ بهذا الشأن ، فاهتم بالعلاقات بين الكلمات و العلاقات بين الجمل بشكل ينم عن عمق التفكير و التحليل.

و يبدو إدراك الطبري للعلاقات بين الجمل من خلال جعله الوصل في المفردات مدخل لمعرفة الوصل في الجمل، و قد رأى أن الوصل في الجمل على ضربين : وصل مجموع الجمل و العطف على جمل الحال، ثم جمل الشرط المعطوفة على جمل الجزاء ثم العطف على جواب الشرط بالواو .

و جمل الطبري أغراض الوصل في : الوصل لأمن اللبس ، أو الوصل للتمييز تشريفا

أو الوصل لتوكيد تفرد العلم الإلهي بالتأويل : ما نجده في قوله تعالى :

{ مَنْ كَـانَ عَــدُوًّا لله وَ مَلاَئِكَتِهِ وَ رُسُلِهِ... } (البقرة 98) .

---

(1): أبو جعفر بن جرير الطبري ، الجامع البيان ، المجلد 1 ، ج : 1 ، ص 59 .

(2): رابح دوب، البلاغة عند المفسرين ، ص : 401 .

(3):انظر، عفت الشرقاوي، بلاغة العطف في القرآن الكريم، دراسة أسلوبية، ص:104 .

و مع ذلك قد يكون الفصل أبلغ من الوصل، و قد يكون التناسق الداخلي للجمل أقوى من وصلها برابط، و يتحدث عن أدوات الفصل مركزا على مايأتي:

- ضمير الفصل :

{ إِذْ قَالُوا اللَّهُمّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الحَقَّ مِن عِنْدكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا... }

(الأنفال32) .

و يسميه الطبري العماد في الكلام على قول الكوفيين

-في الجملة المعترضة: مثل سورة الواقعة (الآية 77) .

-في الاستثناء المتقطع: مثل قوله تعالى

[**وَمِنْهُمْ أُمّيُونَ لاَ يَعْلَمُونَ الكِتَابَ إِلاَّ أَمَانِيَّ**] (البقرة 78) .

يقول ويخرج بالا ما بعدها من ما معنى ما قبلها و من صفته وسمى دلك بعض العربية استثناء متقطعا لانقطاع الكلام الذي يأتي بعد إلاّ عن معنى ما قبلها [1] و حددّ الطبري أغراض الفصل في الجمل في :

- إيضاح المعنى و بيانه .
- التفصيل بعد الإجمال .
- الاستطراد .
- الاستئناف.
- إجابة عن سؤال مقدر [2] .

و لقد كانت دراسة الطبري للوصل و الفصل في ثنايا تفسيره، دراسة ذكية خاصة في حديثه عن أغراضهما، فقد عمل على تأويل الحروف الرابطة ووظائفها و هو في هذا يقترب مما قدمه فان دايك عن الفصل و الوصل لكن هدا الأخير جعل الفصل مقترنا بأداة العطف " أو " كما ربط كل ذلك بالمنطق الصوري، وأسلوب التجريد [3].

---

(1) : CD ROM : الموسوعة الشاملة للقرآن الكريم ، قسم التفسير ، شركة ميديا برو ، مصر .

(2) : انظر ، رابح دوب ، البلاغة عند المفسرين ، الفصل الثالث من كتاب علم المعاني و البديع ، في تفسير الطبري ، ص : 402 إلى 412 .

(3) : انظر ، فان ديك ، النص و السياق ، ص : 96 – 101 – 102 .

5 – 2 – 2- البقاعــي ... تناسب الآيــات و الســـور :

يعد تفسير " نظم الدرر في تناسب الآيات و السور" للإمام برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (ت 885 هـ) من أبرز التفاسير بالرأي التي حاولت الكشف عن المناسبات بين الآيات و السور من خلال معرفة الرتبة التي يستحقها الجزء بسبب ما له بما وراءه و ما أمامه من الارتباط و التعلق الذي هو كلحمة النسب [1] .

فالبقاعي قد حددّ هدف تفسيره في مقدمة كتــابه، هو البحـث فـي العـلاقـات و الروابط بين السور، و الآيات التي تجعل النص القرآني منسجما كلحمة النسب لكنه بحث يغلب عليه التطبيق على التنظير، فجاءت نظرة البقاعي لانسجام النص مبثوثة في ثنايا تفسيره .

يرى البقاعي أنّ الإجادة في علم المناسبات متوقف على فهم مقصود السورة أولا، و هو يؤدي في الأخير إلى فهم السورة كلها .

مقصود السورة ← (1) **المناسبة بين آياتها** (2) **مقصود السورة من جميع جملها** ← (3) **الانسجام في النص** .

لذلك يرى البقاعي أن علم المناسبة في غاية النفاسة، و نسبته من علم التفسير نسبة علم البيان من النحو [2] .

يبدأ البقاعي تفسير سورة الفاتحة بذكر فضل شيخه الإمام المحقق أبو الفضل المغربي البجاني المالكي (ت 865 هـ)، الذي حددّ له خطوات علم المناسبة ، و هي الأمر الكلي المفيد لعرفان مناسبات الآيات في جميع القرآن و تلخص في :

- النظر في غرض السورة .
- مقدمات ذلك الغرض .
- مراتب تلك المقدمات بعدا و قربا .
- استشراف نفس السامع إلى الأحكام و اللوازم .

⇐ إدراك وجه النظم مفصلا بين كل آية و في كل سورة [3] .

---

(1) : انظر ، برهان الدين البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات و السور، شرح آياته و أحاديثه ، عبد الرزاق غالب المهدي ، ط : 1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت 1415 – 1995 . ج : 1 ، ص : 5 .

(2) : انظر ، المصدر نفسه ، ج : 1 ، ص : 5 .

(3) : انظر ، المصدر نفسه ، ج : 1 ، ص : 12 .

توصل البقاعي بعد توظيفه لهذه القاعدة(*) إلى أنّ اسم كل سورة متعلق بما يرد فيها و العلاقة بينهما علاقة تفصيل بعد إجمال [1] ، لأنّ العنوان يدلّ على البنية الكبرى للنص بتعبير" فان ديك "، أمّا العلاقات بين الآيات فغالبا ما تقوم على روابط دلالية أو بتعبير" دي بوجراند" على روابط مفهومية .

بينما تكون العلاقات بين السور مختلفة باختلاف الآيات و السور، و قد تكون العلاقة صوتية، يراعي فيها البقاعي حتى مخارج الأصوات و صفاتها ، من ذلك ربطه بين سورة طه و سورة مريم يقول :

<< و ذلك أنّ لما كان ختام سورة مريم حاملا على الخوف من أن تهلك أمته صلى الله عليه و سلم ، قبل ظهور أمره الذي أمر الله به و اشتهار دعوته لقلة من آمن به منهم، ابتدأ طه سبحانه بالطاء إشارة بمخرجها الذي هو من رأس اللسان و أصول الثنايا العلوية إلى قوة أمره و انتشاره و علوه و كثرة أتباعه.. >> [2] .

يلاحظ إذن وعي البقاعي بدور الإيقاع في انسجام النص و تماسكه. وخدمته للمعنى و يلاحظ أيضا وعي الأسلاف ببعض قضايا الانسجام - خاصة في النص القرآن- فلم يكن من الإنصاف والموضوعية أن يرى بعض المستشرقين، و منهم إرنست رينان أنّ العقلية العربية لا تقوى على التفكير المنهجي و البحث المنظم ، أو إنّها كما يقول أحد تلاميذ "رينان" -"ليون غوتيه"- عقلية تفريق لا عقلية تنسيق. مجال إبداعها الأفكار القصيرة، و الملاحظات العابرة[3] فالدراسات السابقة أمثلة قليلة تكذب ما قاله هؤلاء أو غيرهم، ممن يريد تزييف التاريخ، و يشوهون التراث العربي الإسلامي .

(*) : تقترب القاعدة التي أخذ بها البقاعي لمعرفة المناسبة بين الآيات و السور ، مما وظفه السيوطي في الإتقان في معرفة علوم القرآن. الرجوع إلى ص : 123 من هذا الفصل . من هنا يبدو تأثر السيوطي بالبقاعي واضحا .

(1) : انظر، المصدر نفسه ، ج : 1 ، ص : 12 .

(2) : المصدر نفسه ، ج : 5 ، ص : 3 .

(3) : انظر، غوتيه، المدخل لدراسة الفلسفة الإسلامية، تر محمد يوسف موسى، الباب الأول، ص:63 .

II - النظرة الحديثة :

II – 1 – الدراسات النصية:

تفتقر المكتبة العربية الحديثة إلى الدراسات التي تتناول قضية الانسجام في النص القرآني ، و يرجع ذلك إلى أسباب مختلفة منها :

1 – أنّ البحث وفق المناهج الغربية ما زال في أولى خطواته، لم يصل بعد إلى ضبط المفاهيم و المصطلحات، و امتلاك الأدوات الإجرائية التي تختلف باختلاف النظريات .

2 – عدم الإلمام بالتراث العربي الإسلامي للوصول إلى تأصيل بعض الرؤى و النظريات .

3 – ثقافة الشرخ بين التراث العربي الإسلامي و الحداثة الغربية . مع ذلك فقد قوي الشعور في السنوات الأخيرة بضرورة تجاوز حدود الجملة إلى بنية النص كله، خاصة إذا كان نصا إلهيا مقدسا ، ما زال أعداء الإسلام يحاولون الطعن فيه و النيل منه .

و لعلّ أهم الكتب التي حاولت الاستفادة من لسانيات النص، و حاولت التأصيل أيضا : كتاب محمد حطابي في(مدخل إلى انسجام الخطاب)، حيث جمع فيه الكاتب بين عمق التحليل وسهولة العرض. أمّا أهم الدراسات التي حاولت تطبيق هذا المنهج على النص القرآني قصد الكشف عن انسجامه فهي : (دينامنية النص تنظيرا و إنجازا) لمحمد مفتاح حيث خصّ الفصل الأخير من الدراسة لقضية الانسجام في النص القرآني .

انطلق البحث من فرضية : ترى أن النص القرآني ينطلق من فلسفة منسجمة فيجب التسليم بأنّ الآيات التي تدور على قضية واحدة، و إن وجدت في مواطن متفرقة من المصحف لها ثابت بنيوي ، تنطلق منه لتفصله أو تكمله أو تبينه في الآيات المدنية [(1)] . ليصل في الأخير إلى انعدام ناسخ القرآن و منسوخه ، مستثمرا في هذا الشأن بعض المناهج اللسانية و السيمائية. تؤكد هذه الدراسة قدرة الكاتب و تضلعه في الدراسات الحديثة ، رغم أنّهـا لا تخلو في الكثير من الأحيان من رؤى فلسفية. أما صبحي ابراهيم الفقهي، فقد جاء كتابه (علم اللغة النصي بين النظرية و التطبيقية) في جزأين عالج فيهما مسألة الانسجام في السور الملكية، لكن غلب على الكتاب البحث في الروابط بأسلوب ينم عن بساطة التحليل و آلية العرض.

---

(1) : انظر ، محمد مفتاح ، دينامية النص ،تنظيرا و إنجازا ،المركز الثقافي العربي ،ط 2،الدار البيضاء ،1990 ص : 192 .

يقول سعد عبد العزيز مصلوح عن علم النص << لقد طرقه بعضهم على درجات متباينة من الاستحياء، و عالج بعضهم تطبيقه بدرجات متفاوتة من الأصالة و لكن مجالات النظر والبحث فيه لاتزال تنتظر من سيكشف خصائص النصية في العمل الأدبي << [1]

II – 2 – كتـب التفسيـر:

2-1- سيد قطـب : المناسبة الموضوعية و الإيقاع الموسيقي

تتفق معظم التفاسير حول إبراز الروابط المعنوية بين السور و الآيات و تأتي غيرها من الروابط تابعة و خادمة لها.

وتفسير سيد قطب يؤكد هذا الاتجاه و يبرزه، لكنه لا ينفي العلاقة العضوية بين الرابط المعنوي و الرابط الشكلي << و من ثم يلحظ من يعيش في ظلال القرآن أن لكل سورة من سورة شخصية مميزة ! شخصية لها روح يعيش معها القلب كما لو كان يعيش مع روح حي مميز الملامح و السمات و الأنفاس << [2] .

و يرى سيد قطب أن لكل سورة موضوع رئيسي أو عدّة مواضيع يربط بينها محور خاص و جو خاص، لكن تناول هذه الموضوعات يكون من جوانب معينة تتناسق و تترابط فيما بينها. نمثل ذلك وفق الترسيمة التالية :

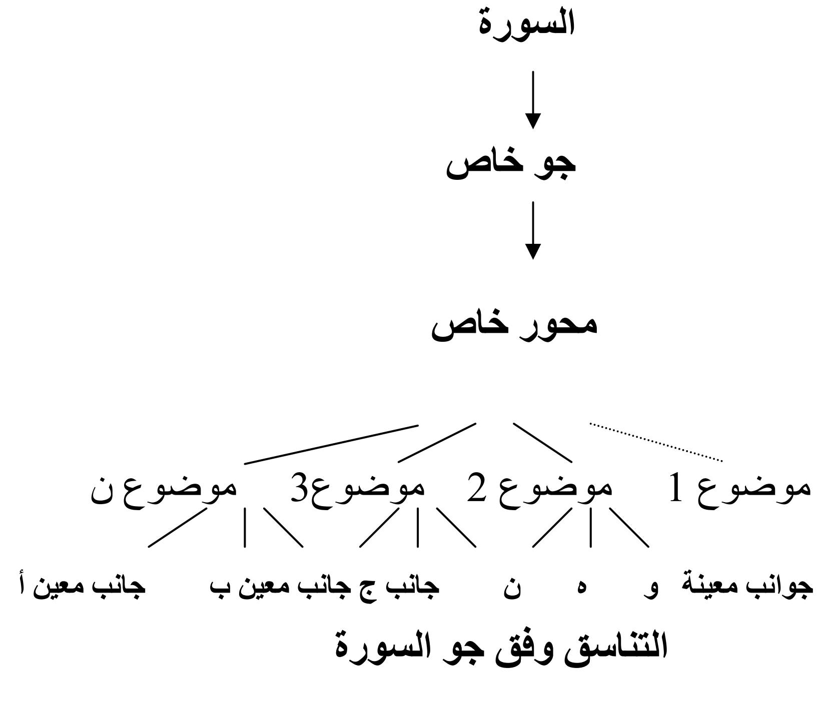

(1): سعد عبد العزيز مصلوح، في النقد اللساني، دراسات و مثاقفات في مسائل الخلاف، عالم الكتب، ط:1 القاهرة 2004 ،ص 233.

(2): سيد قطب ، في ظلال القرآن ، ط : 25 ، دار الشروق ، القاهرة 1996 ، ج : 1 ، ص : 28 .

و الأجمل من هذا أن سيد قطب بين علاقة تحقيق الانسجام بين موضوعات السورة، و الإيقاع الموسيقي فيها .

يقول عن السورة :

<< لها إيقاع موسيقي خاص، إذا تغير في ثنايا السياق، فإنّما يتغير لمناسبة موضوعية خاصة، و هذا طابع عام في سور القرآن جميعا، و لا يشذّ عن هذه القاعدة طوال السور >> [1] .

يجمع سيد قطب في تفسيره بين التذوق الفني الراقي، و الموعظة الحسنة فهو في ربطه بين سورة و سورة، و آية و أخرى ، يستنبط العظة و العبرة، ثم يربط كل عبرة بما قبلها و ما بعدها، ليوجه موعظته بعد ذلك إلى قارئ هذا العصر.

يقول عن سورة البقرة :

<< هذه السورة تضم عدّة موضوعات، و لكن المحور الذي يجمعها كلها محور واحد مزدوج يترابط الخطان الرئيسيان فيه ترابطا شديدا .. فهي من ناحية تدور حول موقف بني إسرائيل من الدعوة الإسلامية في المدينة.. و هي من الناحية الأخرى تدور حول موقف الجماعة المسلمة في أول نشأتها و إعدادها لعهد الله >> [2] .

و يرى سيد قطب أن كثرة أسلوب الالتفات في سورة البقرة (هو مظهر من مظاهر الربط أيضا) فالالتفات في السياق عن خطاب قوم موسى إلى خطاب اليهود في المدينة إلى خطاب أجيال بين هذين الجيلين، يبقي كلمات القرآن حية، كأنّما تواجه موقف الأمة المسلمة اليوم و موقف اليهود منها [3] ، فهذا الانتقال الزمني و الالتفات من يهود موسى إلى اليهود في عصر النبي محمد- صلى الله عليه و سلم- إلى اليهود في عصرنا القصد منه التحذير .

و كثيرا ما يهتم سيد قطب بالروابط النحوية، و الضمائر أثناء تفسيره للبحث في الوحدة القرآنية بأسلوب جميل، و لأهداف تربوية .

---

(1) : المصدر السابق ، ج :1 ، ص : 28 .

(2) : انظر، المصدر نفسه ، ج : 1 ، ص : 28 .

(3) : انظر ، المصدر نفسه ،ج : 1 ، ص : 33 .

2 – 2 – سعيـــد حوى ... الوحدة القرآنيـــة :

حاول سعيد حوى في < الأساس في التفسير > أن يقدم أول نظرية متكاملة عن الوحدة القرآنية في النص الكريم .

كما حاول أن يربط تفسيره بقضايا معاصرة، لأنه يرى أن لكل عصر احتياجاته التي تختلف عن احتياجات عصر سبقه [1]

و من ثم كانت ميزة هذا التفسير أنه قدّم نظرية جديدة في موضوع الوحدة القرآنية، و هو موضوع حاوله كثيرون و ألفوا فيه الكتب و وصلوا فيه إلى أشياء كثيرة، و لكن أكثر ما اشتغلوا فيه كان يدور إما حول مناسبة الآيات في السورة الواحدة، أو مناسبة آخر السورة السابقة لبداية السورة اللاحقة، مع عدم الالتزام بذلك في تفسير القرآن كله [*] لغياب نظرية شاملة تحوي مفاتيح الوحدة القرآنية [2] ، لتعطي الجواب على كثير من الأمور المتعلقة بــ :

1 – وحدة السورة . 2 – وحدة المجموعة القرآنية .

3 – وحدة القسم القرآني 4 – الوحدة القرآنية كلها [3] .

عمد الكاتب أثناء البحث في وحدة السورة : الكشف عن المعنى الحرفي للآيات، ثم محل الآية في السياق القريب، ثم محلها في السياق البعيد ، لتتجلى الوشائج و الروابط بين المقدمة والخاتمة، و تنكشف وحدة السورة، و سياقها الخاص. أما المجموعة القرآنية فهي تشكل وحدة في قسمها بناء على تتبع المعاني و تطورها. و اعتمادا على حديث الرسول صلى الله عليه و سلم وقال : { أعطيت مكان التوراة السبع الطوال و مكان الزبور المئين و مكان الإنجيل المثاني فضلت بالمفصل } [4] . قسم سعيد حوى القرآن إلى أربعة أقسام :

- قسم الطوال إلى براءة . - قسم المئين إلى القصص .

- قسم المثاني إلى ق . - قسم المفصل إلى الناس .

---

(1): انظر ، سعيد حوى ، الأساس في التفسير ، ط : 5 ، دار السلام ، القاهرة 1999 ، المجلد 1 ،ص : 8.
(*): التزم بذلك البقاعي في تفسيره، و يشير الكاتب صراحة أنّه لم يطلع على كتاب البقاعي، مجلد 1، ص 24
(2) : المصدر نفسه ، المجلد 1 ، ص : 21 .
(3) : المصدر نفسه ، المجلد 1 ، ص : 23 .
(4) : أبو بكر أحمد الحسن البيهقي ، شعب الإيمان ، تحقيق أبي هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية ، ط : 1 ، 1990 ، ج : 2 ، ص : 465 .

للوصول بعد ذلك إلى الوحدة القرآنية، قسم الأقسام إلى فقرات، و ربط المناسبة بين فقرة و أخرى، و كشف عن محل الفقرة في السياق الكبير، كما ربط بين أخر آية من القسم السابق والقسم الذي يليه و كذلك الفقرات [1] .

يقول في مقدمة (الأساس في التفسير): << و لقد منّ الله علي منذ الصغر أنني كنت كثير التفكير في أسرار الصلة بين الآيات و السور، و وقع قلبي منذ الصغر مفتاح للصلة بين سورة البقرة والسور السبع، التي جاءت بعدها، و هي بمجموعها تشكل القسم الأول من أقسام القرآن ... >>[2].

و هكذا وجد أنّ السور السبع التي جاءت بعد سورة البقرة، و هي التي تشكل مع سورة البقرة القسم الأول من أقسام القرآن، هذه السور أتت على تسلسل معين هو نفس التسلسل الذي جاءت به المعاني في سورة البقرة ، بحيث لكل سورة منها محور موجود في سورة البقرة، و في تقسيم سورة البقرة مثلا ، يرى أن هذه السورة تتألف في اجتهاده من مقدمة و ثلاثة أقسام وخاتمة [3] .

يأتي القسم الأول **يَا أَيُهَا النَاس،** ثم لم يذكر كلمة يا أيها الناس إلاّ بعد الآية 167 حيث تظهر مرة أخرى، فجعل يا أيها الناس أساس التفريق بين قسم و آخر داخل السورة .

حاول الكاتب أن يعرض الصلات، و الروابط بين أجزاء السورة رابطا بين التقسيم الشكلي المكثف بمضمون الآيات و السور، بحيث منح التقسيم الشكلي هندسة داخلية تبدأ بمستوى الآية وتنتهي بمستوى النص << هذه الاجتهادات تجعله يقترب من اجتهادات جون ميشال آدام، و لقد أقام الكاتب على هذا الاتجاه الذي انتهجه من الحجج الكثير التي تقدم أمثلة عن وشائج الصلة بين الآيات و السور، لكنّه تعمد ألا يذكر حججه كلها في مكان واحد، بل وزعها في الكتاب كله، و لولا ذلك لاقتضى إبراز كل الحجج مجلدا كاملا منفصلا >>[4] ، و إنما جاءت هذه الحجج ضمن التفسير، فيجب البحث عن هذه الوشائج و الصلات ضمن متن التفسير [*].

---

(1) : انظر ،سعيد حوى ، الأساس في التفسير المجلد 1 ، ص : 687 .

(2) : انظر ، المصدر نفسه ، المجلد 1 ، ص : 22 – 23 .

(3) : انظر ، المصدر نفسه ، المجلد 1 ، ص : 61 .

(4) : انظر ، المصدر نفسه ، المجلد 1 ، ص : 28 .

(*) : فهي تحتاج بحثا قائما بحدّ ذاته .

من خلال ما سبق، يتضح جليا أنّه يمكن بإعادة القراءة تطوير التراث البلاغي و النحوي و الشعري و الفلسفي و الديني ... و صياغة نظريات لعرب معاصرين، تلتقي مع النظريات الغربية المعاصرة، لكنّها تمتلك خصوصيتها لتحطيم التبعية الثقافية للغرب.

الباب الثالث:

الدراسة التطبيقية:

الانسجام في سورة "النور"

الفصل الأول :

الانسـجـام صـوريـا

الفصل الثاني:

الانسجام الدلالي السيمانطقي

في

سورة "النور"

الفصل الثالث:

الانسجام و تداولية الخطاب

في

سورة "النور"

الفصل الأول:

الانسجام صوريا:

- التقطيع و الهندسة الخارجية
- المستوى الصوتي
- المستوى المعجمي
- المستوى النحوي

سورة النور سورة مدنية [*] ، هي السورة الرابعة و العشرون في ترتيب المصحف، و هي السورة الثانية بعد المائة حسب ترتيب التنزيل، تدخل ضمن المجموعة الثالثة من قسم المئين، أما عدد آيات هذه السورة فهو أربع و ستون آية.

يقول سعيد حوى عن سورة النور : << إنّ هذه السورة نموذج عن الآيات البينات، التي أنزلها الله على رسول الله -صلى الله عليه و سلم -، و من ثم تجد فيها روائع التشريع، و روائع الأسلوب، و روائع الانتقال، و ذرى البلاغة ، و القرآن كله كذلك، و لكن هذه الأمور في هذه السورة تكاد تكون أظهر (...) إنّ من فهم هذه السورة عرف أسرارها و أدرك أسرار البيان القرآني، و أسرار الإعجاز ما به تشرق أنوار اليقين على قلبه فتغمره >> [1] .

فسورة النور متفردة في مقدمتها، و في أسلوبها التشريعي، و هي مثال واضح عن البلاغة القرآنية، و براعة النظم، بحيث يمكن الكشف عن ذلك، و عن الانسجام المعجز فيها بأسلوب علمي. و من أجل إبراز الانسجام في هذه السورة يمكن القيام بدراسة تحليلية وفق مستويات محددة، يستفاد فيها من الدراسات الغربية و العربية الإسلامية معاً، بحيث يمكن وفق هذه الدراسات تلخيص محاور الانسجام في ثلاثة جوانب :

(*) : رغم الاختلاف في عدد آيات السورة (يكون الاعتماد على رواية ورش عن نافع المدني) ، انظر، الإمام أبو الفرج جمال الدين بن الجوزي ــ ، فنون الأفنان في عجائب علوم القرآن ، تحقيق و تعليق صلاح بن فتحي هلال ، مؤسسة الكتب الثقافية ،ط:1 ، 2001 ، ص : 132 .

(1) : سعيد حوى ، الأساس في التفسير ، المجلد 7 ، ص : 3681

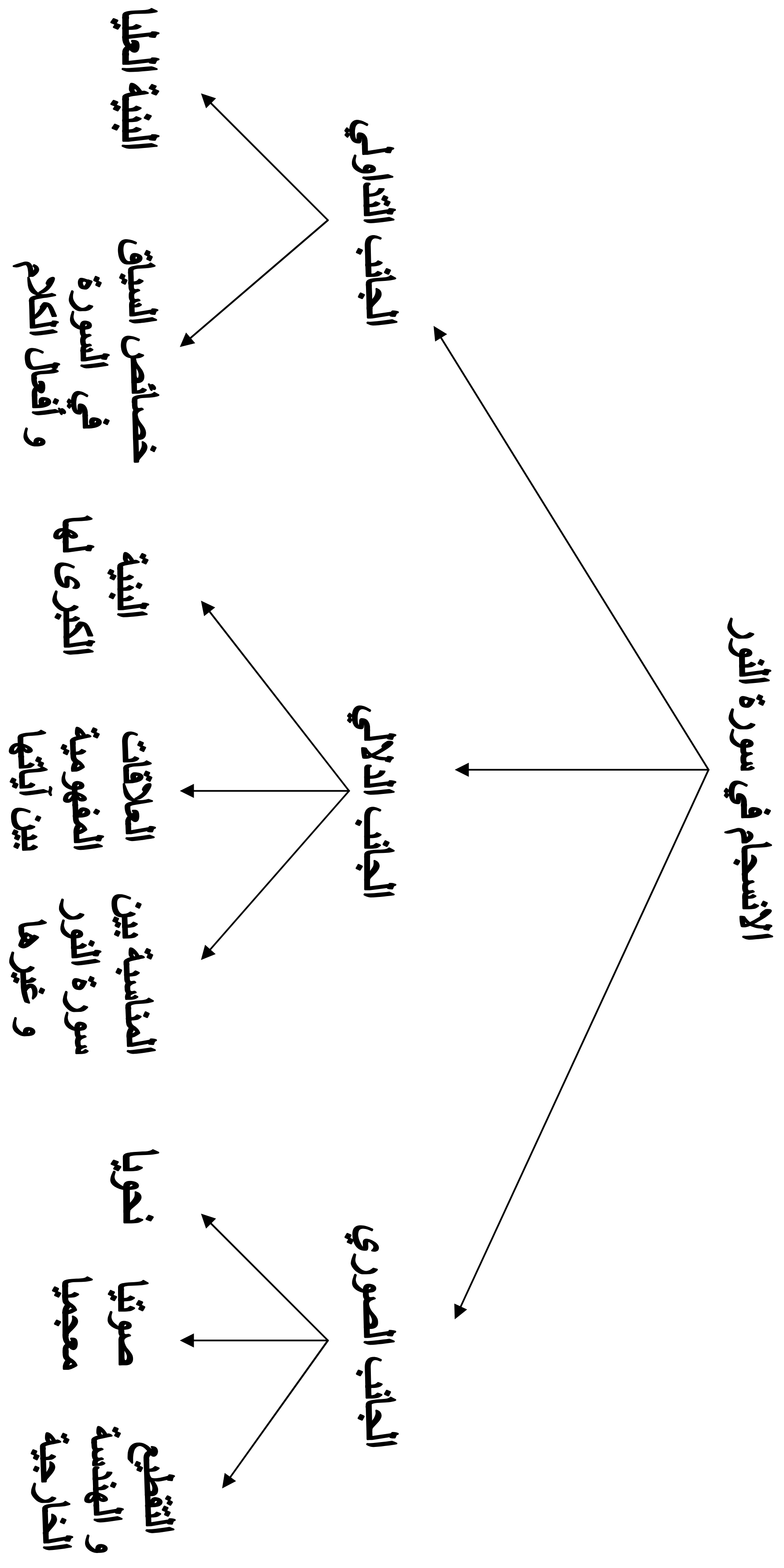
الانسجام في سورة النور
الجانب التداولي
الجانب الدلالي
الجانب الصوري
البنية العليا
خصائص السياق في السورة وأفعال الكلام
البنية الكبرى لها
العلاقات المفهومية بين آياتها
المناسبة بين سورة النور وغيرها
نحويا
صوتيا معجميا
التقطيع والهندسة الخارجية

يتكون النص القرآني من عدة جوانب، تقيم فيما بينها شبكة من العلاقات الداخلية التي تؤدي في الأخير إلى تحقيق الانسجام.

إنّ تحليل سورة النور، وفق مختلف هذه الجوانب، صوريا، و دلاليا و تداوليا يسمح بطرح إمكانات أخرى للفهم، و فضاءات أرحب للتفسير، وهو ما يفسر اتكاء التحليل على كتب التفسير بالدرجة الأولى .. رغم أن البنية النصية بنية معقدة ذات أبعاد أفقية و تدرج هرمي تحتاج إلى ذلك الخليط المتكامل من علم النحو و علم الدلالة و علم التداولية P(1)P .

و بعبارة أخرى، فإن تحليل النص يجمع بين محورين عمودي و أفقي و محور ثالث، يكون فيه تميز للأبنية النصية تبعا للمستوى الذي تنتمي إليه ، سواء أكان صوتيا أم نحويا أم دلاليا أم تداوليا، كما يلخصه مكعب البنية النصية التالي في القرآن الكريم.

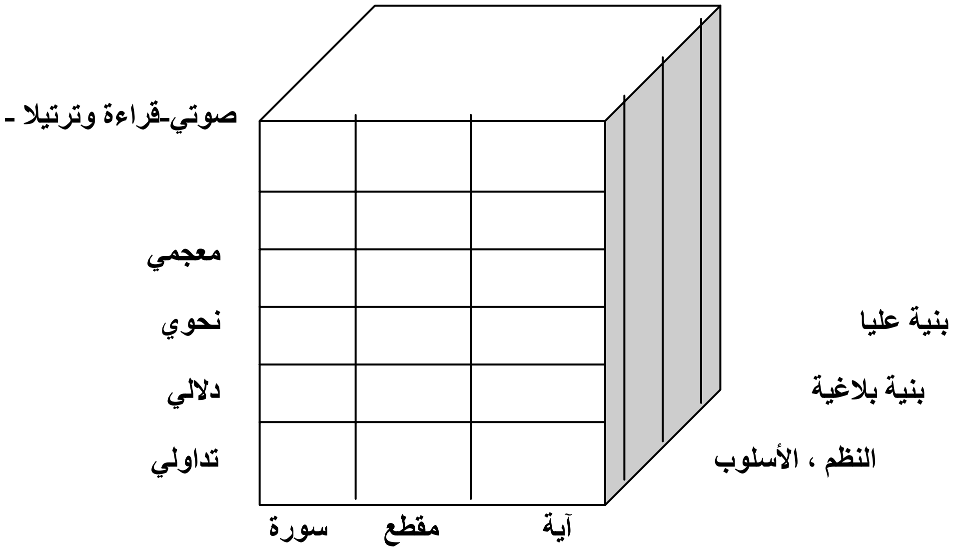

(1) : انظر ، . سعيد حسن بحيري ، دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية و الدلالة ، ص : 78 .

-1 – الانسجام صـوريا :

1 – 1 – التقطيع و الهندسة الخارجية :

سورة النور كغيرها من السور جاءت مقسمة إلى العديد من الآيات، تعطي للبناء الهندسي في القرآن الكريم خصوصيته، و ذلك من دلائل الانسجام فيه، لأن تقسيم الخطاب إلى أجزاء و فصول يدل على ترتيب، و نظم خفي، بني عليه هذا الخطاب، فهناك بناء محكم، و تخطيط، و تصميم في النص، كما يؤكد ذلك" جون ميشال آدام" [*] . و لقد تنبه المفسرون قديما إلى الحكمة من تقسيم القرآن إلى آيات و سور، فربطوا ذلك ببنية الخطاب، كما ربطوه بدور القارئ أيضا.

يرى فخر الدين الرازي (و كان من المهتمين بالعلاقات بين الآيات و السور) أنّ فائدة تقطيع القرآن سورا هي :

1- قصد التبويب و التصنيف وهو في هذا يشبه ما لأجله بوّب المصنفون كتبهم أبوابا و فصولا .

2- تفردّ القرآن الكريم و تنوع آياته و سوره .

3- تجديد نشاط القارئ بعد ختم كل سورة .

4- تيسيرا على الحافظ و تجديدا لطاقة الحفظ فيه [1] .

و إلى هذا المعنى أشار الزمخشري(ت 538هـ)، لكنه أضاف دور التقطيع في تلاحق المعـاني، و الأشكال، و انسجامها، يقول أن التفصيل يسبب تلاحق الأشكال و النظائر، و ملائمة بعضها لبعض، و بذلك تتلاحق المعاني، و يتجاوب النظم إلى غير ذلك من الفوائد >>[2] .

يمكن من أجل إبراز دور التقطيع، و الهندسة الخارجية لسورة النور الاعتماد على اجتهاد " سعيد حوى " في تقسيم السورة و في ربطها بغيرها من السور السابقة و اللاحقة (اعتمادا أولا على أحاديث النبي صلى الله عليه و سلم) ، فقد وردت سورة النور ضمن المجموعة الثالثة من قسم المئين ، و يمكن تقسيمها إلى ثلاثة مقاطع و المقاطع إلى مجموعات [*] .

(*) : انظر جهود ميشال آدام ، ص : 68

(1): انظر، فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية، ط:1 بيروت 1999، مجلد1 ، ج :2 ، ص:108.

(2)الزمخشري ،أبو القاسم ، تفسير الكشاف عن حقائق و غوامض التنزيل، ترتيب و ضبط عبدالسلام محمد شاهين دار الكتب العلمية ، ط 1،لبنان ، 1995،ج 1 ،ص104.

(*) : مع أن تقسيم سعيد حوى يقوم على أسس دلالية خاصة ، إلاّ أنّه لا يمكن فصله عن الجوانب الشكلية لتداخلها و تشابكها.

سورة النور

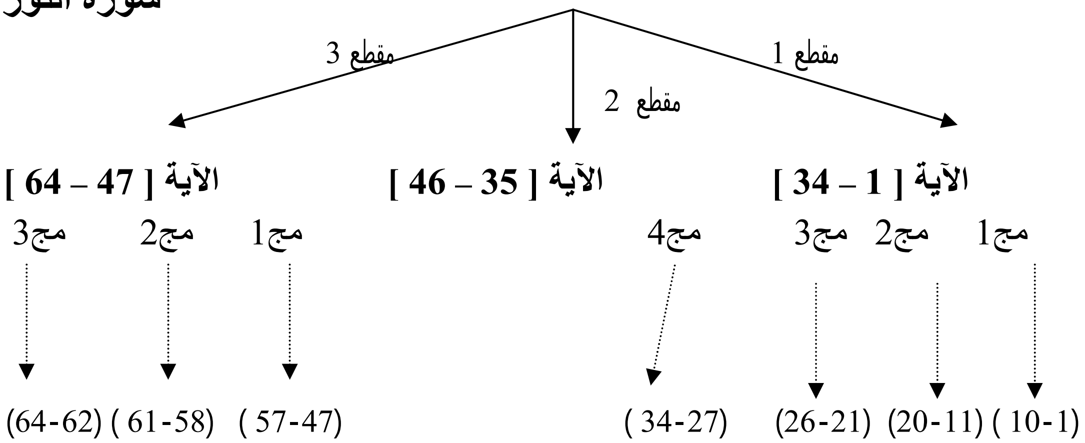

<< و كل مقطع من هذه المقاطع يتألف من مجموعات، و كل ذلك يرتبط بعضه ببعض بوشائج كثيرة>>[1].

هذه الوشائج التي تربط بين مختلف المقاطع و المجموعات، لن تتوقف عند حدود الروابط الدلالية، بل تتعداها إلى غيرها من الروابط، و كذلك رأي سيد قطب أنّ سورة النور تنقسم إلى خمسة أشواط[*]، و في ذلك دلالة على نظام السورة الذي بنيت عليه، و هو نظام خفي يشبه تقسيم النص إلى فقرات.

(1) : انظر ، سعيد حوى ، الأساس في التفسير ، المجلد 7 ، ص : 3683 .

(*): ومع ذلك سيكون إيثار تقسيم سعيد حوى ، لأنه يبدو أكثر علمية ودقة.

1 – 2 – الارتبـــاط الصـــوتي :

كانت موسيقى الشعر في العصر الجاهلي، لا تكمن في أوزانه، وجمال إيقاعه بل في انتقاء الألفاظ الرشيقة التي تخدم المعنى، و بطاقتها الشعرية التي تؤلف مناخا موسيقيا، تهتز له القلوب و تصفو له الأذان، ومع ذلك أفحم القرآن شعراء العرب و عجزوا أن يأتوا بمثله، ذلك أنّ موسيقية اللغة العربية بلغت ذروتها في التركيب القرآني الرائع حيث تتناسق المعاني، و النغمات، و الفكرة و الجرس أحسن تناسق [(1)] .

كان الإيقاع في الخطاب القرآني خطابا متميزا، مبعثه إذن انسجام كامل بين المعاني، و النغمات بين الفكرة و الجرس، لم يعهده العرب ، فكان جمالا يسمو عن الجمال الصوري إلى جمال المحتوى .

يعتمد الخطاب القرآني على موسيقى عذبة، تتغلغل إلى أعماق القلوب مصدرها انتقاء الألفاظ ومدى خدمتها للمعاني، فالسور التي تتحدث عن العذاب ويوم القيامة تأتي الأصوات صاخبة فيها، تقرع الأذان، كقوله تعالى :

{ إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ * وَإِذَا الكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ* وَإِذَا البِحَارُ فُجِّرَتْ * وَإِذَا القُبُورُ بُعْثِرَتْ * عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَ أَخَّرَتْ } (الانفطار 1—5).

فالحركة تبدو سريعة متتابعة عنيفة، يوحي بها الإيقاع في هذه الآيات. قبل أن يجّليها المعنى. أما السور التي تتحدث عن النعيم و السعادة، فيكون الإيقاع فيها هادئا لينا بطيئا، كقوله تعالى:

{ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ المُقَرَّبِينَ * فَرَوْحٌ وَ رَيْحَانٌ وَ جَنَّتُ نَعِيمٍ } (الواقعة 88-89)

و يلاحظ في هذا الشأن أن الإيقاع القرآني لا يعني الجناس، و الفاصلة و التكرار فقط، و غيرها من مظاهر الانسجام الصوتي، بل يتعداها إلى الصيغ الصرفية و أوزان الكلمات أيضا، أي ما يدخل ضمن البنية السطحية.

إنّ النص القرآني يجمع بين صفة النص المكتوب و النص المقروء، و مع ذلك يستحسن ألاّ يقال أن القرآن يلفظ، بل يقرأ و يتلى و يجوّد ، لأن كلام الله تعالى لا يكون ملفوظا. فالعرب إذا قال قائلهم لفظت باللقمة فمعناه رميت بها [(2)]

بينما يدل الترتيل على حسن التأليف و الانسجام [(*)]، و الترتيل صفة قراءة النبي صلى الله عليه و سلم، فقد كانت قراءته غير سريعة، و لا عجلة، بل مفسرة حرفا حرفا، و كان يقطع قراءته آية آية، و كان يمدّ عند حرف المدّ مدّا [(3)]

(1) : انظر ، محمد مبارك ، فقه اللغة و خصائص العربية، دار الفكر، ط:7 ، دمشق 1981 ، ص : 283 .
(2) : انظر ، عبد العالم سالم مكرم ، المشترك اللفظي في الحقل القرآني، مؤسسة الرسالة ، ط:1، 1996 ص :36 .
(*) : انظر ، ص :89، من الدراسة النظرية .
(3) : انظر ، أبو عبد الله البخاري ، صحيح البخاري ، تخريج و ضبط ، صدقي جميل العطار ، دار الفكر بيروت 2003 ، باب الترتيل في القراءة .

إنّ الوقوف على رؤوس الآيات، و لو تعلقت بما بعدها، يدلّ على أن الآية وحدة ترتيلية تساهم في انسجام الخطاب القرآني و تلاحمه إلى جانب الفاصلة، و من طرق القياس التي تعرف بها الفاصلة أربعة منها :

1 – مساواة الآية لما قبلها طولا و قصرا .

2 – المشاكلة: مشاكلة الفاصلة لغيرها مما هو معها في السورة في الحرف الأخير منها و فيما قبلها. و قاعدة المشاكلة تكشف الآية، لأنّها كالمعيار في هذا الفن لأنّ أكثر إيقاع الفاصلة متشاكل و متوازن (1) .

و سورة النور كثيرا ما تقوم الآية فيها على الفاصلة المتشاكلة، أو المتوازنة أو المتوازية .

1 – 2 – 1 – المناسبة اللفظية في السورة :

و يلاحظ في هذا الشأن أنّ هناك فرق دقيق بين إيقاع يقوم على التوازن و إيقاع يقوم على التوازي، بحيث يقوم الإيقاع الأول على المناسبة اللفظية الناقصة لاتفاق الكلمات في البنية المقطعية فقط دون الفاصلة. أما التوازي فيقوم على المناسبة اللفظية التامة لاتفاق الوحدات في الوزن و الفاصلة (2) .

و من الإيقاع المتوازي ما يظهر في الآيات المتتابعة التالية :

{ وَ لَوْلاَ فَضْلُ الله عَلَيْكُم وَ رَحْمَتُهُ فِي الدُنْيَا وَ الآخِرَةِ لَمّسَكُم فِي مَا أفَضْتُم عَذَابٌ عَظِيمٌ } (الآية14) .

{ إذْ تَلَقونَهُ بألِسنَتِكُمْ وَ تَقُولُونَ بأفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَ تَحْسَبُونَهُ هَيّنًا وَ هُوَ عِنْدَ الله عَظِيمٌ } (الآية15)

{ وَ لَوْلا إذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أنْ نّتَكَلّمَ بهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ} (الآية16) .

إنّ تكرار عظيم في هذه الآيات المتتابعات وثيق الارتباط بمعنى الآيات، لذلك كان تكرارا فعالا يلح على نقطة هامة في الآيات، أما الاتفاق في البنية المقطعية، حيث يكون الإيقاع متوازنا فيظهر في الآيات التي تأتي بعدها.

---

(1) : انظر ، عبد الرزاق علي إبراهيم ، المحور الوجيز في عد آي الكتاب العزيز ، ص : 36 .

(2): انظر ، حازم علي كمال، المناسبة اللفظية في القرآن الكريم، مكتبة زهراء الشرق، د ت، القاهرة، ص:58

الآية (17) =====> مؤمنين .

الآية (19) =====> تعلمون .

و المناسبة التامة تبدو في الآيات :

حكيم (18).... والتحليل المقطعي للكلمات هو ص ح + ص ح ح ص

رحيم (20)... ص ح + ص ح ح ص

عليم (21) ... ص ح + ص ح ح ص

يلاحظ اتفاق في الوزن وهو فعيل و في البنية المقطعية و الفاصلة أيضا .

جمعت سورة النور إذن بين المناسبة اللفظية التامة، و المناسبة اللفظية الناقصة. هذه المناسبة مبنية على الوقف، كذلك قامت هذه المناسبة اللفظية على التنوع فهي تختلف من مقطع إلى أخر، بل و من سياق إلى أخر، و قد تتماثل في سياقات متتالية كما هو بين الآية 47 - 53 مثلا ، مؤمنين ، معرضون، مذعنين الظالمون، المفلحون، الفائزون، تعلمون ... ، حيث تتفق في البنية المقطعية و الفاصلة :

ص ح ح + ص ح + ص ح ح + ص ح .

فالمناسبة اللفظية تامة وهو تواز يدّعم العلاقات بين البنية التنغيمية، و البنية التركيبية، و غيرها من البنى في السورة .

يعود هذا الاختلاف و التنوع في المناسبة اللفظية، و عدم الالتزام بفاصلة واحدة كما هو الشأن في بعض السور، إلى أنّ سورة النور سورة مدنية تهتم بالتشريع أولا، فتنوعت الفاصلة تنوع الأحكام فيها، فقد يكون تنوع المناسبة اللفظية في السورة مرتبطا باختلاف الأحكام الواردة. كما يبينه الجدول التالي:

رقم الآية	الكلمة	الفاصلة
1	تَذَكَّرُونَ	النون
2	المُؤْمِنِينَ	النون
3	المُؤْمِنِينَ	النون
4	الفَاسِقُونَ	النون
5	رَّحِيمٌ	الميم
6	الصَّادِقِينَ	النون
7	الكَاذِبِينَ	النون
8	الكَاذِبِينَ	النون
9	الصَّادِقِينَ	النون
10	حَكِيمٌ	الميم
11	عَظِيمٌ	الميم
12	مُّبِينٌ	النون
13	الكَاذِبُونَ	النون
14	عَظِيمٌ	الميم
15	عَظِيمٌ	الميم
16	عَظِيمٌ	الميم
17	مُؤْمِنِينَ	النون
18	حَكِيمٌ	الميم
19	تَعْلَمُونَ	النون
20	رَّحِيمٌ	الميم
21	عَلِيمٌ	الميم
22	رَّحِيمٌ	الميم
23	عَظِيمٌ	الميم

الفاصلة	الكلمة	رقم الآية
النون	يَعْلَمُونَ	24
النون	المُبِينُ	25
الميم	كَرِيمٌ	26
النون	تَذَكَّرُونَ	27
الميم	عَلِيمٌ	28
النون	تَكْتُمُونَ	29
النون	يَصنَعُونَ	30
النون	تُفْلِحُونَ	31
الميم	عَلِيمٌ	32
الميم	رَّحِيمٌ	33
النون	للمُتَقِينَ	34
الميم	عَلِيمٌ	35
اللام	الآصَالِ	36
الراء	الأبْصَارُ	37
الباء	حِسَابٍ	38
الباء	الحِسَابِ	39
الراء	نُورٍ	40
النون	يَفعَلُونَ	41
الراء	المَصِيرُ	42
الراء	بِالأبْصَارِ	43
الراء	الأبْصَارِ	44
الراء	قَدِيرٌ	45
الميم	مُسْتَقِيمٍ	46
النون	بِالمُؤمِنِينَ	47

رقم الآية	الكلمة	الفاصلة
48	مُعرِضُونَ	النون
49	مُذعنِينَ	النون
50	الّظالمُونَ	النون
51	المُفلِحُونَ	النون
52	الفَائِزُونَ	النون
53	تعملُونَ	النون
54	المُبينُ	النون
55	الفَاسِقُونَ	النون
56	تُرحَمُونَ	النون
57	المَصيرُ	الراء
58	حَكيمُ ُ	الميم
59	حَكيمُ ُ	الميم
60	عَلِيمُ ُ	الميم
61	تَعقِلُونَ	النون
62	ّرحِيمُ ُ	الميم
63	أَلِيمُ ُ	الميم
64	عَلِيمُ ُ	الميم

حيث يلاحظ تكرار النون 31 مرة، أي أنها شكلت نصف عدد الفواصل في السورة فالنون هو المفتاح الصوتي في السورة، حيث اتبطت بورود الأحكام في السورة خاصة.

لذلك كثرت في المقطع الأول 1-34 و المقطع الثالث، و قلت في المقطع الثاني الذي ارتبط بسياق آخر، أين برزت فيه الراء و الباء.

1 – 2 – 2 - مظـــاهر الإيقـــــاع في السورة :

1 - 2 - 2 - 1 - الإيقاع بالتجاور :

تتسم سورة النور بطول آياتها، و هي ميزة ترتبط بالسور المدنية التي تعتمد على التشريع بالتفصيل – كما سبق ذكره – ومع ذلك نجد أن طول الآيات كثيرا ما يكون بشكل متساو هو الأخر . كقوله تعالى :

{ يَعِظُكُم الله أنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أبَدًا إن كُنتُم مُؤْمِنِينَ * وَ يُبَيّنُ الله لَكُمُ الآيَاتِ وَ الله عَلِيمٌ حَكِيمٌ } (الآية 17-18) 9 كلمات 9 كلمات

فالآيتان متجاورتان، و متساويتان من حيث عدد الكلمات، و منسجمتان من الناحية الصوتية، و الدلالية، بشكل متداخل و متكامل، لكنهما تنفصلان من خلال الوقف: و الوقف بصفة عامة أو السكتة الكلامية تعدّ فونيما من الفونيمات فوق التركيبية، تعمل على تميز النظام الصوتي للغة لتميز الأداء الكلامي [(1)] .

لكن الوقف في النص القرآني يحمل أبعادا أخرى، لارتباطه بتأدية المعنى و لذلك ينقسم إلى الوقف التام و الكاف و القبيح. و يكون مراعاة للتعلق المعنوي و التعلق اللفظي (التعلق من جهة الإعراب) [(2)] .

و بعبارة أخرى فإنّ الوقف في السورة يسهم في الكشف عن الانسجام الشكلي و الدلالي فيها. و الدليل على ذلك يعد من الممنوع الوقف على الكلام، ما لم يتم في ذاته، و لم يؤد معنى صحيحا، لشدّة تعلقه بما بعده لفظا و معنى، و هو وقف منهي عنه، مثال ذلك من سورة النور

قوله تعالى :

{ وَ يَدْرَؤُوا عَنْهَا العَذَابَ أنْ تَشْهَدَ أربَعَ شَهَادَاتٍ بالله إنّهُ لَمِنَ الكَاذِبِينَ } (الآية 7)

و كذلك في قوله :

{ ... رِجَالٌ لا تُلهِيهِم تِجَارَةٌ وَ لا بَيْعُ عَنْ ذِكرِ الله وَ إقامِ الصّلـوةِ وَ إيتَاءِ الزّكَوةِ يَخَافُونَ يَومًا تَتَقلبُ فِيهِ القُلوبُ وَ الأبْصَارُ } (الآية 36) [(3)] .

---

(1) : انظر ، مراد عبد الرحمان مبروك، من الصوت إلى النص ، نحو نسق منهجي لدراسة النص الشعري دار الوفاء، ط:1، الإسكندرية 2002 ، ص : 64 .

(2): انظر، عبد اللطيف فايز الدريان، التنسيق في أحكام تلاوة القرآن، أنظر الباب الخامس ، الفصل 2 و ما بعده .

(3) : انظر ، المرجع نفسه ، ص : 503 .

إنّ الوقف في الآية قبل تمام المعنى وقف على نغمة مسطحة، بينما الوقف في الآيتين السابقتين يجعل النغمة من القرائن اللفظية، التي تحمل وظائف دلالية، قبل أن تعطي النص إيقاعا معينا .

أما الوقف على فواصل الآيات فهو سنة، لكن العلماء اختلفوا في فواصل معينة، فمنهم من أجاز الوقف عندها، و منهم من منع، إلاّ أن مراعاة المعنى هو الأصل في الوقف و الابتداء [(1)] .

و في ذلك لابدّ من اتباع مرسوم المصاحف؛ فيوقف على الكلمة كما رسمت خطا باعتبار الأواخر من الإبدال، و الحذف، و الإثبات، و غير ذلك ... [(2)] .

1 – 2 – 2 – 2 – الإيقاع بالتناوب :

إنّ الحرف الذي يتكرر كثيرا في أواخر آيات السورة هو حرف النون ، لكن دون أن تلتزم السورة بفاصلة واحدة ؛ أو تلتزم به عبر كل الآيات ، إنما تقوم أواخر الآيات على التوازي : يبدو ذلك مثلا في قوله تعالى :

{... وَ لْيشهَد عَذابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ المُؤْمِنِينَ } (الآية 2).

{ الزَانِي لا يَنْكِحُ إلاّ زَانِيَةً .... وَ حُرّمَ ذلك عَلى المُؤمِنِينَ } (الآية 3) .

فالآيتان المتتابعتان دلاليا –كما سيبدو لاحقا -، متتابعتان أيضا صوتيا، ليكون الانسجام بين المعنى و المبنى في هذه الآيات.

و كذلك في قوله :

{ وَ الذِينَ يَرْمُونَ أزْوَاجَهُم وَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إلاّ أنفُسُهُم فَشَهَادَةُ أحَدِهِمْ أربَعُ شَهَادَاتٍ بِالله إنّهُ لَمِنَ الصَادِقِينَ * وَ الخَامِسَةُ أنَّ لَعْنَتَ الله عَلَيهِ إنْ كَانَ مِنَ الكَاذِبِينَ * وَ يَدْرَؤُوا عَنْهَا العَذَابَ أنْ تَشْهَدَ أربَعَ شَهَادَاتٍ بِالله إنّهُ لَمِنَ الكَاذِبِينَ * وَ الخَامِسَةَ أنَّ غَضَبَ الله عَليهَا إن كانَ مِنَ الصَّادِقِينَ * } (الآية 6 – 7 – 8 – 9)

نلاحظ تكرارا يمنح الآيات الأربع المتجاورات توازيا، و انسجاما صوتيا .

---

(1) : انظر، المرجع السابق ، ص : 515 .

(2) : انظر ، الإمام شهاب الدين أبو بكر ابن الجزري الدمشقي ، ضبط و تعليق الشيخ أنس مهرة، شرح طيبة النشر في القراءات العشر ، دار الكتب العلمية، ط:1 ، بيروت 1997 ، ص : 143 .

أربع شهادات .. الصادقين .. الخامسة .. الكاذبين * أربع شهادات .. الكاذبين .. الخامسة .. الصادقين

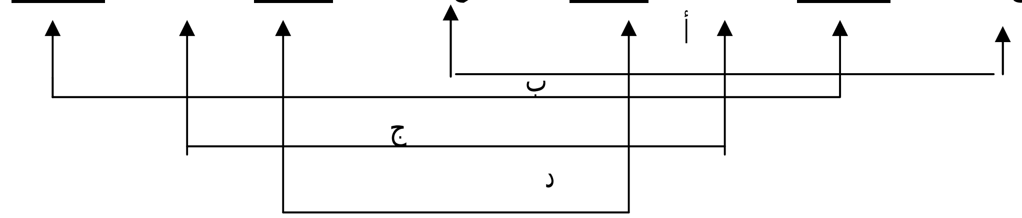

بحيث تتكرر الكلمات نفسها في الآيتين(6 – 7) مقابل تكرارها في الآيتين (8 – 9) مع اختلاف الترتيب بين الصادقين و الكاذبين، لأنّهما جاءتا متناوبتين. و عند النظر في دور هذا التكرار، نجده يمنح إيقاعا و جمالا في الترتيب، و إحكاما في السبك و البناء، لأن هناك نظاما في ترتيب الكلمات إذا اجتمعت حول محور ثابت هو المعنى العام لهذه الآيات .

1– 2 – 2 – 3 – الإيقاع بالحركــة :

كذلك يتجلى الانسجام صوتيا فيما يحمله من معنى، حتى أنّ علماء العرب لم يعنوا من كل حرف أنه صوت، إنّما عناهم من صوت الحرف أنّه معبر عن غرض في سياق و أنّ أصوات الكلمة العربية فيها تخصص في إطار التركيب، فيستقل كل صوت من أصواتها ببيان معنى خاص مادام يستقل بإحداث صوت معين و كل صوت له ظل و إشعاع [(1)] .

يصبح الصوت في الخطاب القرآني صدى للمعنى، لكن لا تظهر هذه القيمة الصوتية في حدّ ذاتها إنّما في تلاحمها بغيرها، فيصبح الانسجام تلاحما للوحدات في سياق منطوق، حيث الكلمات متآلفة و الأصوات متآلفة، و لهذا التلاحم دلالات لا تنكر.

يبدو ذلك جليا في آية المشكاة، حيث تتناغم الكلمات، و تتجانس تجانسا يطلبه المعنى، و لا تجد الآية عنه حولا، فتتكرر كلمة النور خمس مرات في الآية، و تقترن صوتيا بكلمة نار، مانحة سورة النور خصوصية، و تفردا من حيث الإيقاع .

يقول الله تعالى :
{ ... يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَ لَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهدِي الله لنُورهِ مَنْ يَشَاءُ ... } (الآية 35) .

---

(1) : انظر ، مصطفى السعدني، البنيات الأسلوبية، في لغة الشعر العربي الحديث، منشأة المعارف، الإسكندرية 1987، ص:52.

نلاحظ تكرارا لصوتين هما النون و الراء ، حيث تتميز النون بأنّها صوت مجهور ذلقي يتميز عن كل الأصوات بغنة جميلة تمنحه عذوبة في النطق و سحرا بل تجعل الصوت أقرب إلى التغني منه إلى القراءة .

أمّا حرف الراء فهو صوت مجهور ذلقي بين الرخاوة و الشدة، يتميز بقبوله للتكرير فهو يشترك مع النون في بعض الصفات و يختلف عنه في بعضها إلى جانب اشتراكه معه في المخرج، فكلاهما صوتان ذلقيان، لكن النون تخرج من طرف اللسان، و الراء من رأسه.

لتكون هذه الثنائية الصوتية (نار – نور) ، و تشكل وحدة إيقاعية منسجمة انسجاما كاملا يحدث استبدال بين حرفي اللين : الألف و الواو ، ثم يتجلى إيقاع في النص يمنحه انسجاما و حركة .

ذلك أن الصوت المجهور يوحي بالحركة، و الصخب، بينما يتراجع ذلك في حروف اللين .

و مما يدعم هذا الانسجام الصوتي أن النون و الراء أكثر الأصوات وضوحا و أقربها إلى طبيعة الحركات، لذلك يميل بعضهم إلى تسميتها أشباه أصوات اللين و من الممكن أن تعد حلقة وسطى بين الأصوات الساكنة، و أصوات اللين، ففيها من صفات الأولى و فيها من صفات اللين أيضا[(1)] .

و مما يزيد الاهتمام بجمال الإيقاع في آية المشكاة ، و بتأثيره على المستمع هذه الكلمات المنبورة فيها، ذلك أن للنبر وظيفة تداولية لا يمكن تجاوزها.

1 – 2 – 3 – الوظيفة البراغماتية للضغط التنغيمي :

تنبع الوظيفة التداولية للكلمات المنبورة في أنها تهدف إلى تنبيه المستمع، و لا تبدو تلك الكلمات منبورة فقط ، بل مهيمنة ، و معنى الهيمنة هي أن يقع عليها ضغطا عند النطق بها..

و الكلمة المنبورة و المهيمنة في آية المشكاة، بل في السورة كلها، هي كلمة " الله" في بداية الآية، ثم كلمة "نور"، بسبب تمديد اللام في الأولى، و إطالة الغنة في الثانية. فتبدو النغمة متصاعدة، تعكس معاني العلو و العظمة، و للنغمة أيضا دلالة وظيفية ترتبط بمعاني الآيات ذلك أنّ << النغمة هي من قرائن التعليق اللفظية في سياق التنغيم، و هو الإطار الصوتي الذي تقال به الجملة في السياق>>[(2)] .

(1) : إبراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية، د ت ، مكتبة الأنجلو أمريكية، القاهرة ، ص 27.

(2): تمام حسان، اللغة العربية معناها و مبناها، ص: 226.

إنّ الضغط التنغيمي الذي يبدو جليا في بداية آية المشكاة، يجذب الانتباه و يمكن للمنحى التنغيمي الصاعد فيها أن يدل على أهمية ما يقال، و يربط بين ما سبق و ما سيأتي، ويجعل الصوت يبدو ممدودا..إنّ طول ومد الصوت عند اللفظ بالله ثم النور سببه المدة المستغرقة من حيث الكمية عند ترتيل الكلمتين، وهو ما يمنح الآية بعد ذلك إيقاعا عذبا، كما أنّ تمديد الصوت، يجعل التمييز بين ظاهرتي النبر و التنغيم الإيقاعيتين صعبة، لأنّ النبر في هذه الحالة يجمع بين نبر الشدة و نبر الموسيقى، فيؤدي وظيفة التنغيم، أو موسيقى الكلام [(1)] .

يؤدي البروز دورا في الكلام ، حيث يمكن الإشارة إلى الأولويات بالضغط التنغيمي في الصوت. و يبدو أن أعظم ضغط تنغيمي وقع على الله **نور** السماوات و كانت كلمة النور هي الكلمة المحورية البارزة صوتيا و معجميا، و في غيرها من المستويات، ليتأكد الانسجام الصوتي الكلي، و يتأكد أن المستوى الصوتي متلاحم مع المستويات الأخرى خاصة المستوى الدلالي بل هو في خدمته. إنّ التحليل الصوتي للسورة، بل لبعض آياتها فقط، يكشف عن مواضع النبر و التنغيم و الهمس و الجهر، و المقاطع الصوتية، و الشدة و الرخاوة، و التفخيم ، و الترقيق و الوقف على الفواصل، و ربطها لتشكيل المعنى، يؤدي في الأخير إلى ربط الإيقاع الصوتي بالمعنى الدلالي لهذه السورة .

و يمكن تحليل هذه المؤثرات الصوتية باستخدام جهاز المصور الطيفي SPECTROGRAPH أو الراسم الطيفي DIRECT SPECTROGRAPH أو غيرهما من الأجهزة لمعرفة كل ما سبق عن الأصوات [(*)]، فيكون الكشف عن المؤثرات بتقنيات علمية للوصول إلى نتائج أكثر دقة و علمية.

---

(1) : انظر هند بوسكين ، النبر و التنغيم في القرآن الكريم ، إشراف محمد العيد رتيمة ، مخطوط لنيل شهادة الماجستير ، معهد اللغة العربية و آدابها، جامعة الجزائر ، 1998—1999. ص204.

(*) : لكنه تعذر ، لعدم إتاحة استعمال الأجهزة الخاصة بذلك .

1– 3 – الارتبـــاط المعجمـــي :

سورة النور ، سورة تحمل صفة من صفات القرآن العظيم. وهي السورة الوحيدة التي بدأت بكلمة سورة. فما دلالة ذلك ؟ و كيف يساهم في الانسجام المعجمي في النص القرآني ؟

إنّ الكشف عن ذلك يحتاج إلى نسق يضم الكلمات إلى بعضها بعضا، لربط الصلات و العلاقات، ذلك أن الارتباط وثيق أولا بين عنوان السورة **النور** و متنها لأنّه غالبا ما تكون العلاقة بين السور، و آياتها علاقة عضوية، كعلاقة تفصيل بعد إجمال. لكن كلمة **نور** في السورة، كانت إضافة إلى ما سبق الكلمة المحورية أو الكلمة النواة التي تدور حولها باقي الكلمات في السورة، و هي تعني أولا الضوء أيا كان إشعاعه [(1)] و هي تشترك مع كلمة الضياء في بعض المعانم، و تختلف عنها في بعضها، لأنهما تنتميان إلىالحقل الدلالي نفسه، فالضياء يضئ الأشياء و النور يبينها، كما أن النور أكثر رفقا ولينا من الضياء. و الدليل على ذلك

قوله تعالى : { **جَعَلَ الشَمسَ ضِيَاءً وَ القَمَرَ نُورًا** } (يونس 5) .

<< فلكون الشمس نيرة بنفسها، نسب إليها الضياء، ولكون نور القمر مستفاد منها نسب إليها النور >>[(2)]. و لا يعني ذلك أن كلمة النور لم ترد في سياقات أخرى ، و في سور أخرى فقد ورد ذكرها في أربعة و عشرون موضعا من النص القرآني : **لتدل على كتاب الله**

في قوله تعالى : { **وَ اتَّبَعُوا النُورَ الذي أنْزِلَ مَعَهُ** } (الأعراف 157) .

أو لتدل على رسوله الكريم - صلى الله عليه و سلم-

في قوله:{**... قد جَاءَكُم مِنَ الله نُورٌ وَ كِتَابُ ُ مُبِينُ ُ** } (المائدة 15) .

أو لتشير إلى منهج الحق

في قوله تعالى : { **يُرِيدُونَ لِيُطفِئُوا نُورَ اللهِ بأفْوَاهِهِم** } (الصف 8) [(3)] .

و في سورة النور تكرر ذكرها سبع مرات[(*)] مؤكدة على المعنى الأخير و تكررت بمرادفاتها من خلال مبينات، بينات ، يبين ، مبين ، ثمان مرات . فالكلمات السابقة تشترك في الدلالة المركزية، و تختلف في الدلالات الهامشية، لأنّ بان بيانا، تدل على الوضوح و الإيضاح [(4)] ، الذي لا يمكن أن يكون من غير نور.

---

(1) : انظر ، محي الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي ، القاموس المحيط ، ص : 488 .
(2): الألوسي ،روح المعاني ،في تفسيرا القرآن الكريم و السبع الممثاني ، قراءة وتصحيح ، محمد حسين يعقوب ، دار الفكر ، بيروت ، 1994 لمجلد 7 ص98.
(*) : العدد سبعة له دلالات معينة في القرآن الكريم ، و كثيرا ما يتكرر في النص القرآني .
3) : انظر ، فخر الدين الرازي ، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب ، ص : 16 .

(4) : الفيروزابادي ، القاموس المحيط ، ص : 1182 .

1 – 3 – 1 – الارتبــاط المعجمــي الأفقــي :

يمكن الحديث في سورة النـور عن الترابـط المعـجمي الأفقي، و الترابط المعجمي الكلي. و يتجلى الترابط المعجمي الأفقي في بعض وسائل التماسك النصي كمظاهر التكرار، و يقصد بذلك :

أ – التكرار المحض، و هو التكرار الكلي ، أنزلناها ، أنزلنا ...

ب – التكرار الجزئي ، و يقصد به تكرار عنصر سبق ذكره ، و لكن في أشكال و فئات مختلفة مثل اجلدوهم ، جلدة.

ج – المرادف : الزاني ، الفاحشة - فليعفوا ، و ليصفحوا.

د – شبه التكرار من خلال الجناس الناقص : نار ، نور.

ه – تكرار لفظ الجملة من خلال وحدة المرجع: فوفاه حسابه ، و الله سريع الحساب . التضام من خلال توارد زوج من الكلمات لارتباطها بحكم علاقة

- التضاد . مثل الطيبون - الخبيثون ، الصادقون –الكاذبون .
- التنافر مرتبط بفكرة النفي، مثل الدنيا - الآخرة ، الغدو – الآصال
- علاقة الجزء بالكل .الأعرج –المريض. [1] .

لذلك يمكن للكشف عن مظاهر التكرار، اللجوء إلى الحقول الدلالية الواردة في النص، كما يمكن للكشف عن التضام الاعتماد على أنواع التشاكلات. إنّ الكلمات في النص القرآني لها علاقات، بما قبلها و بما بعدها تركيبيا و إبداليا، و قد تكون ظاهرة أو خفية، و يحدد موقع الكلمة في محيطها المحسوس ، مقدار تحركها و إشعاعها و تضامنها و تفاعلها، و يلاحظ في هذا الشأن أن الكلمات ليست كلها على مستوى واحد في الفاعلية و التشعب، فالكلمات الأمهات أكثر تشعبا، و البنات دون ذلك [2] ، يفسر ذلك أن تكرار بعض الكلمات في سورة النور دون غيرها يمنحها فاعلية و إشعاعا. هذه الكلمات هي النور ومبينات و مبين - كما سبق ذكره -.

---

(1) : عن التكرار و أنواعه ، انظر ، أحمد عفيـفي ، نحو النـــص ، ص : 106 إلى 113 . و كذلك محمد خطابي ، لسانيات النص ، ص : 24 – 25 .

(2) : انظر ، محمد مفتاح ، دينامية النص ، ص : 22 .

1 –3 – 1 – 1 – ظاهرة التكرار و الارتباط المعجمي :

تتميز سورة النور بتكرار بعض الكلمات، تمنح النص خصوصيته و تسهم في انسجامه انسجاما معجميا أفقيا، ثم انسجاما معجميا كليا، مثل هذه الكلمات تبين التلاحم بين آيات السورة و تؤكد هدفها أيضا.

ففي أول آية تكرر الفعل أنزل في قوله تعالى :

{ سُورَةٌ أنْزَلنَاهَا وَ فَرَضْنَاهَا وَ أنزلنَا فِيهَا آيَاتٍ بَينَاتٍ لعَلّكُم تَذكَرُونَ } (الآية 1)

ثم تتكرر في أخر المقطع (*) :

{وَ لقد أنْزَلنَا إليكُم آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَ مَثلا َمِنَ الذِينَ خَلَوْا مِن قبْلِكُم وَ مَوْعِظَةً للمُتّقِينَ } (الآية 34) .

و في قوله تعالى :

{ لقد أنْزَلنَا آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَ اللهُ يَهدِي مَن يَشَاءُ إلى صِرَاطٍ مُستَقِيم } (الآية46) .

و هو ما يبين أن التكرار تعدى هو الآخر حدّ الفعل إلى حدود الآية كلها، و لم يكن تكرارا كليا، بل تكرارا لبعض عناصر الآية، يخدم ما سبقها و ما يأتي بعدها. كذلك تتميز سورة النور بتكرار كلمات تنتمي إلى الحقل نفسه، سواء أكان تكرارا كليا أم جزئيا، كما هو بارز في بداية السورة ، المقطع الأول .

الزانية ، الزاني ، مشرك ، مشركة .

عذاب ، مائة جلدة ، فاجلدوا .

ليشهد ، أربعة شهداء ، فشهادة ... .

تكررت تكرارا جزئيا، ويلاحظ في هذا الشأن أن كل مقطع تطغى عليه كلمات دون غيرها، هي الكلمات المفاتيح لتلك المقاطع. وهو ما يحقق ترابطا أفقيا ليس على مستوى متتالية من الآيات، بل على مستوى المقاطع أيضا. أكثرمن هذا لا تلبث هذه الكلمات أن تظهر في سياق أخر، و بعد آيات كثيرة، ففي الآية الثانية نجد قوله تعالى مثلا :

{ وَ لْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ المُؤمِنِينَ } (الآية 2) .

و بعد أكثر من عشرين آية نجد قوله تعالى :

{ يَومَ تَشهَدُ عَلَيْهِمْ ألسِنَتُهُمْ وَ أيْدِيهِمْ وَ أرجُلُهُم بمَا كانُوا يَعْمَلُونَ } (الآية 24)

(*) : أخر مقطع حسب اجتهاد سعيد حوى ، نتبع تقسيمه في التحليل تيسيرا للدراسة .

إنّ أهم الوظائف التي يؤديها التكرار في السورة هو تحقيق الترابط و النمو فيكشف عن الدلالة و يطورها، و يجعل اللاحق في خدمة السابق. فكلمة يشهد وردت في سياقين مختلفين، و على مسافة اثنين و عشرين آية، إلى جانب ذلك قد يكون الربط المعجمي من خلال الترادف، أو التضاد، أو التنافر ، فمن الترادف ما نجده في هاتين الآيتين :

{ إنّ الّذِينَ يُحِبُونَ أن تَشِيعَ الفاحِشَةُ فِي اَلْذِينَ آمَنُوا لَهُم عَذابُ أَلِيمُ فِي الدُّنيَا وَ الآخِرَةِ وَ اللهُ يَعلَمُ وَ أنتُم لا تَعْلَمُونَ } (الآية 19) .

ثم بعد آية واحدة يقول تعالى :

{ يَا أيّهَا اَلّذِينَ أمَنُوا لا تَتَّبعُوا خُطُوَاتِ الشّيطَانِ وَ مَنْ يَتَّبع خُطُوَاتِ الشَّيطَانِ فإنّهُ يَأمُرُ بالفَحشَاءِ وَ المُنكَرِ } (الآية 21) .

فالفاحشة ترادف الفحشاء ... .

إن ارتباط المفردة بسياقها، و ارتباط الآية بما سبقها و بما لحقها ، أو ارتباط الآية بالسياق و السباق و اللحاق على حدّ تعبير البقاعي (1) ، أدّى إلى اختلاف بعض الآيات عن بعضها بعضا، كهذا الاختلاف بين قوله تعالى :

{ وَ لَولا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُم وَ رَحمَتُهُ وَ أنَّ اللهَ تَوَّابُ حَكِيمُ } (الآية 10) .

{ وَ لَولا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُم وَ رَحمَتُهُ وَ أنَّ اللهَ رَؤُوفُ رَحِيمُ } (الآية 20) .

و السبب يعود إلى أنّه لما ذكر أول السورة حدّ الزنا و القذف، لم يعالجها بالعقوبة على ما فعلوا فقال تعالى :

{ وَ لَولا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُم وَ رَحمَتُهُ وَ أنَّ اللهَ تَوَّابُ حَكِيمُ }

و معنى حكيم أن أفعاله مبنية على الحكمة، و من الحكمة إن لم يعالج كل مذنب بعقوبته عند وقوع الخطيئة، و أمّا خاتمة العشرين فإنّ معناه لولا أن الله أنعم عليكم و رحمكم ، و قد أجرى حكمه بأن يرحم أمثالكم و يرأف بكم لما أبقاكم عند هذا الذنب العظيم (2) .

نلاحظ إذن كيف ختم الآيات العشر الأوائل بما يناسب سياقها ، و ختم الآيات العشرين بما يناسب سياقها، فكان كل موضع من الموضعين مقتضيا لما اختص به .

(1) : انظر ، نظم الدرر في تناسب الآيات و السور ، البقاعي ، ج : 5 ، ص : 247 .

(2) : انظر ، أبو عبد الله محمد بن الخطيب الإسكافي ، درة التنزيل و غرة التأويل ، برواية أبي الفرج الأردستاني ، دار الكتب العلمية ، ط:1، بيروت 1991 ، ص : 179 .

أكثر من هذا، إنّ اختيار المفردة دون غيرها في الخطاب القرآني وجه من وجوه الإعجاز، ففي قوله تعالى مثلا :

{ إذْ تَلَقَّوْنَهُ بِألْسِنَتِكُمْ وَ تَقُولُونَ بِأفوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلمٌ وَ تَحْسَبُونَــــــهُ هَيِّنًا وَ هُوَ عِندَ اللهِ عَظِيمٌ } (الآية 15).

فاقتران كلمة التلقي باللسان دليل على الإفك والبهتان.

لأنّ << الأصل أن يتلقى الإنسان الكلام بأذنه، ثم يستوعبه بعقله و قلبه. و لكن هذه الحادثة كان التلقي باللسان بدل الأذن و القلب، فهو إشارة إلى سرعة الأخذ و سرعة النطق دون التعقل و التدبر >> P(1)P.

يتضح مما سبق أن الإعجاز المعجمي في السورة ، لا يتوقف عند حدود اختيار الكلمات،بل يتجاوزه إلى الارتباط الأفقي في ما بينها ، والارتباط الكلي أيضا .

2-1-3-1 – التنــاص و دوره في الارتباط المعجمي :

من وسائل الارتباط المعجمي التناص، لأن القرآن يتناص مع بعضه بعضا و كمثال عن ذلك ما ورد في سورة النور :

{ وَ لِيسْتَعفِفِ ٱلذِينَ لاَ يَجِدُونَ نِكاحًا حَتَّى يُغنِيهِمْ اللهُ مِن فَضْلِهِ وَ ٱلذِينَ يبتَغُونَ ٱلكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أيمَانُكُمْ فكَاتِبُوهُمْ إن عَلِمْتُم فِيهِم خَيرًا وَ ءاتُوهُم مِّن مَّالِ اللهِ الّذِي ءاتَاكُمْ } (النور 33).

قد يفهم من كلمة الكتاب على أنّها اسم ذات مصدر للفعل كاتب، إذا اعتمدنا على نحو الجملة، لكن نحو النص سيتجاوز هذا الفهم إلى تفسير أخر حين تتناص كلمة كتاب مع قوله تعالى : **{ فكَاتِبُوهُمْ }** لنتأكد أن الكتاب في الآية مصدر و ليس اسم ذات. و إلى هذا المعنى أشار أبو الفضل الألوسي (ت 127 هـ)، حين قال : << و الكتاب مصدر كاتب كالمكاتبة، و نظيره العتاب و المعاتبة، أي و الذين يطلبون منكم المكاتبة >> P(2)P .

<< و لعل سياق الآية، و كذا التناص قد حددا المعنى المراد، و هكذا يكون التناص وسيلة ربط بين أجزاء النص الواحد و بيانا للمعاني المتعالقة >> P(3)P .

و يكون التناص وجها من أوجه الارتباط الأفقي المعجمي، وهو فوق ذلك وجه من أوجه الارتباط المعجمي الكلي في السورة كلها، بل في القرآن كله، ذلك أن القرآن يفسر بعضه بعضا .ويجعله متلاحما منسجما.

---

(1) : سعيد حوى ، الأساس في التفسير ، المجلد 7 ، ص : 3726 .

(2) : أبو الفضل الألوسي ، شهاب الدين ، روح المعاني في تفسير القرآن الكريم ، المجلد 10 ، ص :223-224 انظر أيضا ص 224-225.

(3) : أحمد عفيفي ، نحو النص ، ص : 48 .

1 – 3 – 2 – الارتباط المعجمي الكلي :

1 – 3 – 2 – 1 – الآية الهدف :

إن الكلمات السابقة ترتبط في السورة ارتباطا خطيا، لكن هذه الكلمات تتجه إلى هدف و تستقر فيه، و تتفرع بعد ذلك، لأنّها مركز القرار، و إن شئنا قلنا منطلق الإشعاع [1] ، إنّها الآية الهدف التي تمثل قلب السورة النابض، و واسطة العقد التي تكشف عن الانسجام المعجمي الكلي في السورة، إنّها آية المشكاة :

{ للهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَ الأرْض مَثَلُ نُورهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحُ } (الآية35).

حيث تذكر كلمة النور التي هي عنوان السورة أيضا، بلفظ متصل بذات الله و يذكر فيه النور بآثاره و مظاهره في القلوب و الأرواح [2] ، ممثلة في الآداب و الأخلاق التي يقوم عليها بناء هذه السورة، و هو ما يفسر تكرار كلمات تدل على النور : مثل بينات ، يبين في أكثر من موضع في السورة .

جاءت كلمة النور إذن مقترنة بلفظ الجلالة الله، فهو نور على نور ثم جاءت مقترنة بتمثيلها لهذا النور.

و مع ذلك عرفت آية المشكاة اختلافا واسعا بين المفسرين و العلماء، حتى أنّ كلمات مثل المشكاة و الزجاجة، و الكوكب الدري، و غيره، عرفت تأويلات شتى، تجمع بين المعنىالظاهر، و التأويل الباطن. تأثرا بثقافة العصر، و تياراته الفكرية و الفلسفية.

و لإبراز هذا الاختلاف نعود إلى تفسير الطبري، و التفسير بالمأثور قبل غيره من التفاسير يقول الطبري : << الله نور السماوات و الأرض: هادي من في السماوات و الأرض، فهم بنوره إلى الحق يهتدون، و بهداه من حيرة الضلالة يعتصمون، و اختلف أهل التأويل في ذلك. وقد بدأ الله تعالى بنور نفسه فذكره ، ثم ذكر نور المؤمن، فاختلفوا في معنى الهاء في قوله :

{ مَثَلُ نُورهِ }

علام هي عائدة، فقال بعضهم هي من ذكر المؤمن و قالوا معنى الكلام : مثل نور المؤمن الذي في قلبه من الإيمان و القرآن مثل مشكاة>>[3]

---

(1) : انظر ، محمد مفتاح ، دينامية النص ، ص : 213 .

(2) : انظر ، سيد قطب ، في ظلال القرآن ، المجلد 4 ، ص : 2486 .

(3) : الطبري ،جامع البيان ، المجلد 9. ، ص322.- نظر الموسوعة القرآنية- قسم التفسير ، شركة مديا برو مصر CD ROM .

أما تأويل معنى المشكاة، فقال بعضهم المشكاة، كل كوة لا منفذ لها، ضربها الله مثلا لمحمد ـ صلى الله عليه و سلم ـ، كمشكاة فيها مصباح، المصباح قلبه في زجاجة، الزجاجة صدره. نلاحظ أن تفسير الطبري يجمع بين مختلف التأويلات التي تبتعد عن المعنى الظاهر إلى الباطن. كذلك عمل ابن كثير في تفسيره على عدم الابتعاد عن روح النص، رغم تقديمه لمختلف التأويلات و الرؤى، بينما اكتفى الزمخشري بالمعنى الظاهر للنور و المشكاة و المصباح و الشجرة [1] .

لكنّ أبا حامد الغزالي اختار التعمق في المعاني الباطنية لهذه الكلمات، متأثرا بثقافة العصر، و بثقافته الشخصية التي استمدها من الفلسفة الإغريقية و الصوفية، يرى أنّ :

- **المشكاة :** هي الروح الخيالي الذي يكتب ما أوردته الحواس .

- **الزجاجة** : الروح العقلي الذي يدرك المعاني الخارجية عن الحس و الخيال.

- **المصباح** : الروح الفكري، و هو الذي يأخذ العلوم العقلية المحضة، فيوقع فيها تأليفات و ينتج منها.

- **الشجرة** : الروح القدسي النبوي و المنسوب إلى الأولياء، إذا كان في غاية الإشراق و الصفاء، و فيه تنجلي لوائح الغيب و أحكام الآخرة.

تمثل الأمثلة السابقة الأرواح البشرية النورانية، إذ بمعرفتها تعرف أمثلة القرآن، والغزالي يقوم بموازنة هذه الأرواح الخمسة للمشكاة، و الزجاجة و المصباح، و الشجرة، و الزيت [2] .

يفسر هذا الكلام رفض الكثير لما ذهب إليه الصوفيون، و وصف كلامهم في القرآن بأنّه ليس بتفسير، بل إنّ ابن تيميه عّد بناء الغزالي لكلامه في مشكاة الأنوار على أصول الملاحدة الباطنية [3]، أمّا حديثا فقد رأى الكثير من المفسرين أن المشكاة هي المؤمن، و الزجاجة قلبه ، و المصباح نور قلبه، و أمّا الزيتونة فإنّها الشريعة. لا شرقية و لا غربية ، و أمّا النور فإنّه نور الفطرة و نور الشريعة [4] .

(1) : انظر ، المرجع السابق المجلد 9 ، ص323-328. انظر ابن كثير تفسير القرآن الكريم ، المجلد3 ص 356-357. -انظر الزمخشري ، تفسير الكشاف، تحقيق محمد مرسي عامر، دار المصحف، القاهرة، ج :3 ص : 126 - 127 .

(2) : انظر ، الإمام أبو حامد الغزالي ، مجموعة رسائل الإمام الغزالي ، تحقيق مكتب البحوث و الدراسات ، دار الفكر ، بيروت 2000 ، ص : 285 – 286 .

(3) : انظر ، الإمام ابن تيميه ، موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول ، دار الكتب العلمية ،ط:1، بيروت ج : 1 ، ص : 238 .

(4) : انظر ، سعيد حوى ، الأساس في التفسير ، المجلد 7 ، ص : 3773 .

هذا الترابط المعجمي لا يتوقف عند حدود آية المشكاة ، بل هي نقطة لقاء بين الآيات السابقة و الآيات اللاحقة .

الترابط المعجمي الكلي يتحقق انطلاقا من الترابط الأفقي، بداية من آية المشكاة ، فإذا كانت هذه الآية يبرز فيها قوله تعالى :

{ نُورُ ُ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ }

فإنّ هناك في المقابل قوله تعالى في آيات كونية تصف أعمال الكفار :

{ أوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحرٍ لُجِّيٍّ يَغشَاهُ مَوْجُ ُ مِّن فَوقِهِ مَوْجُ ُ مِّن فَوقِهِ سَحَابُ ُ ظُلمَاتُ ُ بَعْضُهَا فَوقَ بَعْضٍ إذا أخرَجَ يَدَهُ لم يَكَدْ يَرَاهَا وَ مَنْ لَمْ يَجْعَلْ اللهُ لهُ نُورًا فَمَالَهُ مِن نُورٍ} (الآية 40)

فلو تتبعنا كلمة النور في سياق السورة ، نجدها تؤكد معنى الهدى، و الطريق السوي، بينما لو نظرنا إلى كلمة ظلام، و مشتقاتها التي تمثل ظلام النفس نتيجة لابتعادها عن نور الحق، لوجدنا الكلمتين نور، و ظلمات، ركنين متناظرين تماما في مسألة واحدة، يصوران بشكل متناظر تماما، و هو ما تحقق عبر السورة ، بل هو ما تحقق عبر النص القرآني كله، فقد وردت النور أربعة و عشرين مرة، و كلمة ظلام و مشتقاتها وردت أربعة و عشرين مرة أيضا .[(1)]

إنّ الانسجام المعجمي الكلي بدا في سورة النور انطلاقا من :

الترادف من خلال تكرار كلمة النور من جهة، و مبينات، مبين، و مشتقاتها من جهة أخرى .

- التضاد ، حتى أنّ الآيات الكونية في السورة التي تصور معنى الظلمات جاءت خادمة للمعنى المجمل للسورة كلها .

1 – 4 – الترابــط النحــوي :

يتجاوز الترابط على المستوى السطحي المستويين الصوتي، و المعجمي إلى مستوى آخر هو المستوى النحوي، للبحث عن الترابط من خلال علامات الوصل و الفصل، و الضمائر، و أسـماء الإشارة، و الأسماء الموصولة، و أبنية الحال و الزمان و غيرها، و لا يعني ذلك أنّ وسائل الترابط كلمات سطحية لا تحمل محتوى لتربط بين علاقات مفهومية[(2)].

(1): انظر، عدنان الرفاعي، المعجزة ، ص23. انظر أيضا محمد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الجيل، بيروت 1988، ص:725 و 438.

(2) : انظر ، دي بوجراند ، النص و الخطاب و الإجراء ، تر . تمام حسان ، ص : 300 .

إنّ دور القاعدة النحوية لا ينتهي عند شكل الكلمة، و إنّما يتجاوزه إلى التركيب، تركيب الكلمة داخل الجملة، و ما تؤديه من عمل في تجلية المعنى، و من هنا تأتي أهمية العلاقة الحميمية التي حاول المفسرون إقامتها بين القاعدة النحوية و النص القرآني[1] .

كان اهتمام المفسرين، و دارسي القرآن واضحا بالسياق اللغوي، و المقامي في البحث عن الروابط النحوية، كالبحث عن مرجع الضمير، و عن مطابقته في النوع و العدد .

ذلك << أنّ السورة لا يمكن أن تفسر الجملة منها أو الآية منفردة، بل لابدّ من ربطها بسياقها اللغوي، و قد تحتاج إلى ما هو خارج النص من مثل السنة المطهرة، و أسباب النزول، و كل ما يعرف به ظروف الخطاب القرآني من متكلم و مخاطب، و مكان، و زمان، و عموم، و خصوص >> [2] .

و في سورة النور كثيرا ما يحتاج الأمر إلى كل ما سبق إذا تعلق الأمر بالضمير العائد، أو غيره من وسائل الربط التي تحدد البنية الإحالية لها.

من أجل ذلك لابدّ من الوقوف على :

- الروابط التركيبية .
- الروابط الزمانية .
- الروابط الإحالية .

لأن أي نص هو جملة من العناصر، تترابط بتوفر الروابط التركيبية و الروابط الزمانية، و الروابط الإحالية [3] .

1 – 4 – 1 – زمن الأفعال في سورة النور :

إنّ الزمن القرآني زمن خاص، يسمو عن الزمن الفيزيائي، و الزمن النفسي و الزمن الفلسفي، يتجلى ذلك واضحا في أول الأفعال التي وردت في السورة.

---

(1) : انظر ، بكري عبد الكريم ، الزمن في القرآن الكريم ، دراسة دلالية للأفعال الواردة فيه ، ص : 8 .

(2) : محمد أحمد خضير ، وحدة السياق في تقدير مرجع الضمير في الدراسات اللغوية و القرآنية مجلة كلية الآداب ، المجلد 59 ، يناير 1999 ج:1 ، ص : 104 . .

(3) : انظر ، زهر زناد ، نسيج النص ، ص : 101 .

في قوله تعالى :

{ سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَ فَرَضْنَاهَا وَ أنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَينَاتٍ لعَلّكُم تَذْكَرُونَ } (الآية 1)

و في قوله :

{وَ لقد أَنْزَلْنَا إليكُم آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَ مَثَلاً مِنَ الذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم وَ مَوْعِظَةً لِلمُتَّقِينَ } (الآية 34) .

و في قوله تعالى أيضا :

{ لقد أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَ اللهُ يَهدِي مَن يَشَاءُ إلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيم } (الآية46)

لقد ورد الفعل أنزل في الأمثلة السابقة أربع مرات، و في الآية السادسة و الأربعين، ورد مقترنا بصيغة الماضي، دون أن يعني أنه يشير إلى ما حدث و انقضى في الماضي .

<< إنّ الدلالة الزمنية في هذا الفعل تجل عن الزمن الدنيوي القاصر، و تفلت من التصنيف النحوي الضيق >> [1] .

و يتكرر الزمن المطلق في السورة في سياقات أخرى، توحي بتحرر الزمن الدنيوي إلى الزمن الأخروي.

في قوله تعالى :

{ يَومَ تَشهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَ أَيْدِيهِمْ وَ أرجُلُهُم بمَا كانُوا يَعْمَلُونَ * يَومَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللهُ دِينَهُمُ الحَقَّ وَ يَعْلَمُونَ أنَّ اللهَ هُوَ الحَقُّ المُبِينُ } (الآيتان 24 – 25) .

ليتضح أنّ الزمن الماضي أو المضارع في سياقات معينة غير محدد، بل متجدد لا يمكن معرفة كنهه دائما، خاصة إذا ما تعلق الأمر بالزمن الأخروي.

إلى جانب ما سبق فإنّ الزمن في القرآن، لا يتعلق بأحداث تاريخية منتهية رغم القرائن اللفظية التي تجعل الأفعال فيها ماضية .

---

(1) : عبد الملك مرتاض ، نظام الخطاب القرآني ، دار هومة ،الجزئر ، 2001. ص : 87 .

{ إنّ ٱلذِينَ جَاءُوا بالإفْكِ عُصبَةٌ مِّنْكُم لاَ تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ، بَلْ هُوَ خَيرٌ لَّكُم ... } (الآية 11) .

{ لَوْلاَ إذْ سَمِعْتُمُوهُ ... } (الآية 12) .

{ لَولاَ جَاءُوا عَليهِ بأربَعَةِ شُهَدَاءَ ... } (الآية 13) .

{ لَولاَ إذْ سَمِعتُمُوهُ قُلتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا ... } (الآية 16) .

و كلها تبدأ بـ : لولا التي تختص بالماضي إلاّ أن الزمن << القرآني يند عن زمني التاريخية و التاريخانية[*] جميعا على أساس أن هاتين النزعتين تعالج خاصة ما حدث، و ما مضى حقا، و انتهى تأثيره و ضعف على نحو كامل >> [1] .

و لا يعني ذلك أن السورة تخلو من الأزمنة النحوية، فكثيرا ما تظهر في صيغة الأمر التي تتكرر كثيرا في السورة، و كذلك صيغة النهي، و كلها تدل على التجدد و الاستمرارية، خاصة أنّها تأتي في سياق الأحكام.

أمّا كيف تحافظ الأزمنة في السورة على ترابطها و انسجامها، فإنّ ذلك يبدو في أن الزمن المطلق هو الذي يؤطر لغيره من الأزمنة و الدليل على ذلك أن السورة تبدأ بزمن إلاهي مطلق :

{ سُورَةٌ أنزَلنَاهَا ... } و تنتهي بقوله :

{ ألاَ إنَّ للهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ الأَرْضِ قد يَعلَمُ مَا أنتُم عَلَيهِ وَ يَومَ يَرْجِعُونَ إليهِ فيُنَبئُهُم بمَا عَمِلُوا وَ اللهُ بكلِ شَيءٍ عَلِيمٌ } (الآية 64) .

و بين البداية و النهاية، يبدو أن الزمن في السورة هو أولا زمن أولي قديم قدم المنشئ و أبدي، و دلالة ذلك تبدو في خرقه لأنيته، و زمنه، و تجاوزه لأسباب نزوله و حدوثه [2] [*] رغم أن السورة لا تخلو من أزمنة تأتي ربطا بسياقها بصيغة الماضي أو بصيغة الأمر، فتأتي مترابطة ومتتالية، توحي بالتتابع و النمو الخطي و تتابع الأحكام فيها، لكنها في حقيقة الأمر تسمو عن كل زمن، لأنّها تخاطب الأجيال في مختلف الأزمنة، و عبر جميع العصور .

(*) التاريخانية historiccime تعمل على تعليل الظواهر و العالم من خلال التاريخ – انظر معجم –
Dictionnaire – Hachette- Encyclopédique- France – Spadem –1997- P :901.

(1) : عبد المالك مرتاض، نظام الخطاب القرآني، ص:81..

(2) (*) : حسب ما ذهب إليه أهل السنة ، أنظر ، منذر عياشي ، مقالات في الأسلوب ، ص : 235 .

إنّ ترابط السورة اعتمادا على عامل الزمن فيها ، يساهم في انسجامها و في تلاحم بنائها، بالرغم من تعدد دلالات، و وظائف الأزمنة في السورة .

1- 4 – 2 – الرابـط النـــاظـــم :

لم يكن الربط في النص بين الألفاظ فحسب، بل بين المعاني أيضا، و تشترك الأدوات الرابطة جميعا في أنّها لا تدل على معان معجمية، و لكنها تدل على معنى وظيفي عام هو التعليق، ثم تختص كل طائفة منها بوظيفة خاصة [1]

لكن هذه الوظيفة تبدو متعددة الأبعاد، و الغايات في النص القرآني. فالمفسرون مثلا، و هم يتتبعون معاني أدوات العطف البلاغية في الآيات الكريمات وجودها تشعر بتراخي المنزلة، و الاستبعاد، و المبـالغة، و التعظـيم، و التعـجيب و التقريع و غيرها، فاختلفوا في معاني هذه الأداة اختلافا بينا [2] .

كذلك أثرت القراءات تأثيرا واضحا في تقدير مرجع الضمير، وفي الحركة الإعرابية، ودورها في الربط بين الكلمات و الجمل، و هو ما يفسر تعدد التأويلات ليصبح النحو في القرآن الكريم نسقا مفتوحا، مثله في ذلك مثل المعجم، لأنّه هو الأخر يقتضي الحركة [3] ، مثل هذا الاختلاف [*] في سورة النور واضح في قوله تعالى:

{ مِنْ فَوقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ }

<< قرأ البزي بترك تنوين "السحاب" مع جر "ظلمات"على الإضافة وهي إنما إضافة بيانية، أو من إضافة السبب إلى المسبب و "سحاب" "مبتدأ خبره "من فوقه". و قرأ قنبل بترك تنوين "سحاب" مع جر "ظلمات" على أنّ "سحاب" مبتدأ مؤخر (...)قرأ الباقون بتنوين "سحاب"و رفع "ظلمات" على أنّ "سحاب" مبتدأ خبره "من فوقه" و" ظلمات" خبر لمبتدأ محذوف تقديره هذه أوتلك الظلمات>>[4]

مقابل ذلك يتحقق الربط النحوي في السورة على مستويين :

- مستوى الآية نفسها : إحالة ذات مدى قريب .
- مستوى الآيات فيما بينها : إحالة ذات مدى بعيد

---

(1) : انظر ، تمام حسان ، اللغة العربية مبناها معناها ، ص : 125 .

(2) : انظر، محمود أحمد الصغير ، الأدوات النحوية في كتب التفسير ، دار الفكر ، دمشق 2001، ص : 572

(3) : انظر ، محمد مفتاح ، التشابه و الاختلاف ، ص : 41 .

(*) : و مع ذلك لن نقف عند أوجه الاختلاف، و تعدد التأويلات، إنّما سيكون الاهتمام بدور تلك الروابط في تحقيق التماسك داخل السورة فقط .

(4): محمد سالم محسين، القراءات وآثرها في علوم العربية، دار الجيل ، ط 1 ، بيروت1998،المجلد 2 ص302-305.

بل إنّ الترابط بين الآيات يبدو بشكل واضح على مستوى المقاطع، و هو ما يعني أنّ الترابط النحوي تجاوز الترابط الشكلي إلى العلاقات الدلالية .

ففي المقطع الأول ، ما بين الآية (1 – 10) يلاحظ هيمنة الجمل الاسمية حيث تعمل علاقة الإسناد بين المبتدأ و الخبر على تحقيق التماسك داخل الآيات وعلى إبراز الترابط على المدى القريب ، كما في قوله تعالى :

{ سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا }

مبتدأ موصوف و الخبر محذوف أو سورة خبر مبتدأ محذوف [1].

أو في قوله :

{ الزَّانِيَةُ وَ الزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ } (الآية2)

حيث يتحقق الترابط بين المبتدأ، و الخبر (جملة فعلية) بواسطة رابطين رابط تداولي صرف، و هو علاقة الورود، و رابط بنيوي يتمثل في وجود ضمير داخل الجملة [2] إضافة إلى دخول الفاء لكون الألف و اللام بمعنى الذي، و تضمينه معنى الشرط تقديره التي زنت و الذي زنى فاجلدوهما .. [3] .

أما الترابط بين الآيات الأولى، فقد تجلى من خلال أداة العطف الواو خاصة . ومن أجل إبراز مدى الترابط في الآيات، يمكن القيام بعملية إحصائية تقف على مختلف أنواع الإحالات بداية بالضمائر (المتصلة، المستترة ، المنفصلة)، ثم أسماء الإشارات و الموصولات، و أدوات العطف، و غيرها من الروابط ، و يمكن تلخيص ذلك في الجدول التالي :

عدد الآيات	الضمائر	أسماء الإشارة	الموصولات	حروف العطف و غيرها	الربط بين الآيات
64	**434**	**19**	**57**	**250**	**42**

(1) : انظر ، الإمام الزمخشري ، تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل و وجوه التأويل تحقيق محمد مرسي، ج : 3 ص : 113 .

(2): انظر، أحمد المتوكل ، أفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي ، منشورات كلية الآداب ، مجلة بحوث ودراسات ، دار الهلال العربية ، الرباط 1993 ، ص : 126 .
(3) : انظر ، أيمن شو ، الجامع لإعراب جمل القرآن ،ط:1 مكتبة الغزالي ، بيروت 2000 ، ص : 337 .

ففي أربع و ستين آية نجد أنّ عدد الضمائر بلغ 434ضميرا ، و هي أكثر الروابط انتشارا عبر السورة كلها. و إذا كان أبرز هدف للضمائر هو الاختصار، فإنّ هذه السورة اشتملت على الآية الكريمة التي بها أكبر عدد من الضمائر في القرآن الكريم كله.

فقد نقل ذلك عن ابن عطية عن مكي، أنه ليس في كتاب الله، آية اشتملت على ضمائر أكثر مما ورد في قوله تعالى :

{ وَ قُلْ لِلمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِن أبْصَارِهِنَّ ... } (الآية 31)

و هي مشتملة على خمسة و عشرين ضميرا [(1)] . حيث يلاحظ أن لفظ المؤمنات مذكور صراحة في أول الآية ثم تأتي الضمائر بعد ذلك محيلة عليهن فالمرجعية داخلية سابقة .

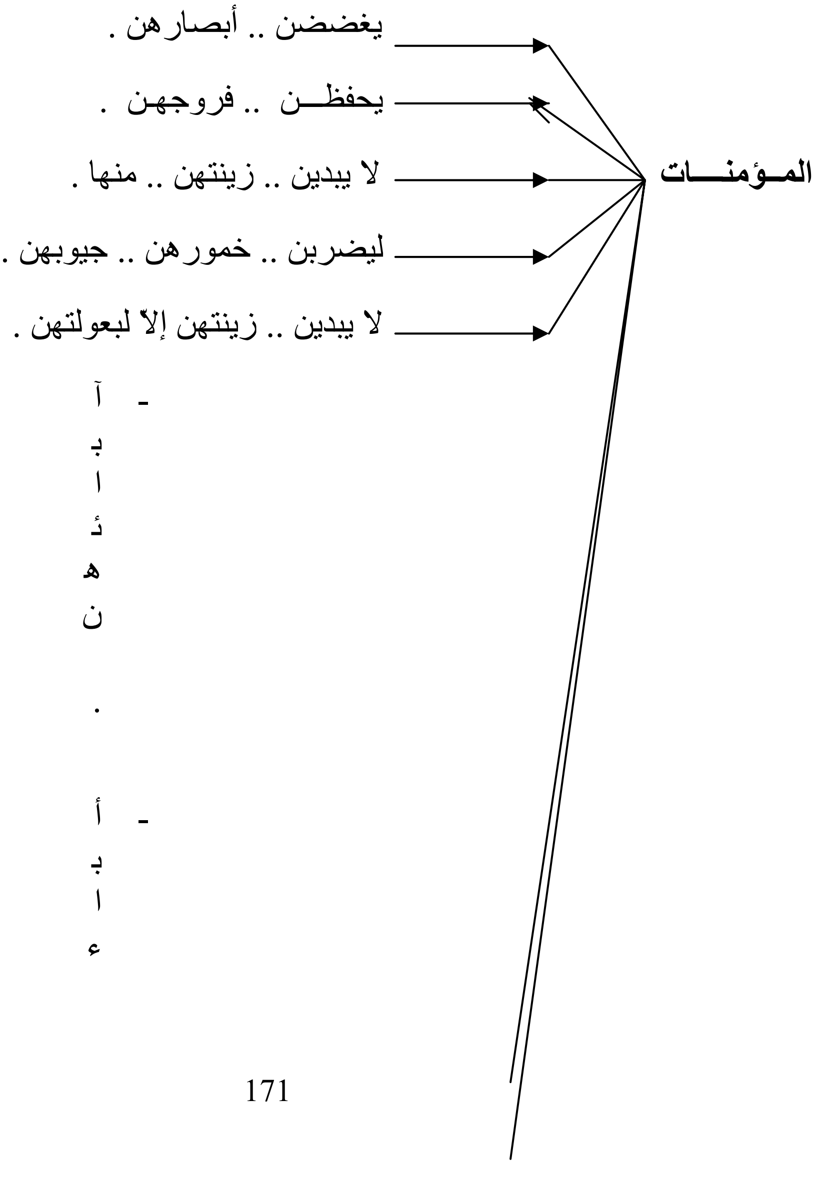

ب
ع
و
ل
ت
ه
ن

.

- أبنائهن

- أ
ب
ن
ا
ء

ب
ع
و
ل
ت
ه
ن

.

- إ
خ
و
ا
ن
ه
ن

.

- ب
ن
ي

إ
خ
و
ا
ذ
ه
ن

.

- بـ
ذ
ي

أ
خ
و
ا
تـ
ه
ن

.

-

ذ
س
ا
ئـ
ه
ن

.

- مـ
ا

مـ
لـ
ك

ت

أ
ي
م
ا
ذ
ه
ن

.

→ لا يضربن .. بأرجلهن .

→ ما يخفين .. زينتهن .

---

(1) : انظر ، الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ج : 4 ، ص : 24 .

يلاحظ أنّ الضمائر تتوالى بشكل واضح، قصد الاختصار، و لكنّه اختصار يحقق الكفاءة النصية، لأنّ فيه تقديم أكبر كمية من المعلومات بإنفاق أقل قدر من الوسائل [1] .

و من أجل الإختصار أيضا، جاء الالتفات في السورة بمختلف أنواعه، و في الآية السابقة يبدو الالتفات، و الانتقال من الإفراد إلى الجمع .

في قوله تعالى :

{ أوْ الـطِّـفْلِ الّذِينَ لَم يَظهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ } (الآية 31) .

فكلمة الطفل تحمل معنى الجمع، وهي ملائمة لمعنى الصغر. كما يبدو الانتقال من صيغة المخاطب إلى صيغة الغائب .

في قوله تعالى :

{ لوْلاَ إذْ سَمِعتُمُوهُ ظَنَّ المُؤْمِنُـونَ وَ المُؤْمِنَــاتُ بأنفُسِهِمْ خَيرًا وَ قَالُوا هَذَا إفْكٌ مُّبِينٌ } (الآية 12) .

فالالتفات أو الإنزياح (بالمفهوم الحديث) في الأمثلة السابقة، و غيرها، يمنح لاستعمال الضمائر خصوصيته، تؤكد وظيفتها في الاختصار، و في الكفاءة النصية لأنّ طبيعة الالتفات تجعله يقول ما لا تقوله كلمات كثيرة : إنّه تجسيد المبالغة في عتاب الله عز و جل للمخاطبين، ففي التحول عن مخاطبتهم سمعتموه إلى الإخبار

عنهم - ظنّ المؤمنون - إشعار لهم بأنّهم حين أفاضوا في هذا الحديث، قد تنكبوا النهج الأمثل الذي تقتضيه صفة الإيمان P(2)P .

أمّا على مستوى الترابط النحوي الكلي بين الآيات، فكثيرا ما تتكرر أدوات الربط بين الآية و أختها، و بعملية إحصائية يتبين أن أداة العطف : الواو تربط أكثر من مائة و خمسين مرة في الآية نفسها، وبين الآية و أختها، و هو ربط بمطلق الجمع، يؤكد على مدى تماسك الآيات في هذه السورة، و تتابعها.

فمن بين أربع و ستين آية، نجد أنّ أربع و عشرين آية، تربط سابقتها من خلال الرابط الواو، التي غالبا ما تفيد الاشتراك في العمل لما بعدها لما قبلها إضافة إلى روابط أخرى .

---

(1) : انظر ، الدراسة النظرية السابقة ، و جهود دي بوجراند ، الفصل الثاني ، ص : 52.

(2) : انظر ، حسن طبل ، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية ، ص :104.

في قوله عز و جلّ مثلا:

{ لوْلاَ إذْ سَمِعتُمُوهُ ظَنَّ المُؤْمِنُـونَ وَ المُؤْمِنَـاتُ بأنفُسِهِمْ خَيرًا وَ قالُوا هَذَا إفْكٌ مُّبِينٌ * لَولاَ جَاءُوا عَليهِ بأربَعَةِ شُهَدَاءَ فَإذْ لمْ يَأتُوا بالشُهَدَاءِ فَأوُ لئِكَ عِندَ اللهِ هُمُ الكَاذِبُونَ وَ لَولاَ فضْلُ اللهِ عَليْكُم وَ رَحمَتُهُ فِي الدُّنيَا وَ الآخِرَةِ لمَسّكُم فِي مَا أفَضْتُم فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ } (الآية 12 – 13) .

فالآيتان تترابطان من خلال لولا أي هلا ، و تترابط من خلال الضمائر المتصلة ومن خلال الضمائر المنفصلة، و اسم الإشارة أولئك. ليتبين أن الترابط النحوي بين الآيات، و في الآيـات ترابط وصفي، يحقق تماسك الآيات و تلاحمها. و حتى عند غياب الرابط بين الآيات، فإنّ الترابط المفهومي سيكشف عن وجه أخر من أوجه تلاحم النص السورة .

1 – 4 – 3 – الروابط التركيبية :

تتميز سورة النور ببنية تركيبية خاصة، زادها هذا التفرد آية المشكاة، التي تحمل خصوصية من حيث هذه البنية في السورة كلها، بل في النص القرآني كله .

و قد حاول الدارسون قديما تفسير ذلك، فرأى مثلا الزركشي أنّ الآية تعرف خمسة تخلصات، لكن هناك من أنكر أن يكون في القرآن حسن تخلص، كأبي العلاء محمد بن غانم المعروف بالغانمي، فقال ليس في القرآن الكريم منه شيء [(1)] .

إنّ الآية تبدأ بمسند و مسـند إليـه، لا تلبث الجملة فيه أن تعرف اتساعـا و بعبارة أخرى، فإن هناك نواة إسنادية رئيسة تندرج فيها خمس نواة إسنادية فرعية تحقق نموا في النص و استمرارية له.

فبمفهوم "جان مشال أدام" تترابط الجمل ترابطا تفريعيا من خلال أدوات التشبيه خاصة، فتكون الجمل الفرعية تفسيرا و إيضاحا لما قبلها: الله نور السماوات و الأرض مثل نوره : مبتدأ و خبر، هذه الجملة إيضاح لما فبلها و تفسير لها.

---

(1): الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ج : 1 ، ص 41.

الله نور السماوات و الأرض

⇩ 1

مثل نوره كمشكاة فيها مصباح

⇩ 2

المصباح في زجاجة

⇩ 3

الزجاجة كأنّها كوكب ذري

⇩ 4

يوقد من شجرة مباركة زيتونة

⇩ 5

لا شرقية و لا غربية يكاد زيتها

{ اللهُ نُورُ الَّسمَاوَاتِ وَ الأرْض [مَثَلُ نُوره كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحُ ُ [اَلْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ [الزُجَاجَةُ كَأنَّهَا كَوكَبُ ُ دُرِيّ ُ ُ / يُوقدُ مِن شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ .... }

إنّ المثال السابق يقدم لنا نوعا من الترابط بين الجمل، يتحقق من خلال الربط التفريعي، يجعل هذه الجمل أشد تماسكا و انسجاما.
ليتبين أنّ سورة النور تتلاحم فيها أدوات الربط المختلفة، فتسهم في انسجام النص و إبراز خصوصيته، لكن ذلك لا يكفي إذا لم يجمع هذا النص بين الترابط الرصفي و الترابط المفهومي -.كما سيبينه الفصل الموالي -

الفصل الثاني:

الانسجام الدلالي السيمانطقي
في سورة << النور>>:

- سورة النور ضمن الخطاب القرآن
- مناسبة سورة النور بما قبلها و بما بعدها
- العلاقات المفهومية بين الآيات
- البنية الكبرى للسورة

1- سورة النور ضمن الخطاب القرآني كله :

تعددت مواضيع سورة النور، شأنها في ذلك شأن العديد من سور القرآن لكن هذا التعدد لم يمنع ارتباط آياتها بعضها ببعض. و لم يحل دون انسجامها:
انسجاما داخليا: بسبب ارتباط الآيات ارتباطا مفهوميا داخل السورة
و انسجاما خارجيا: يعود إلى علاقة السورة، بما قبلها، و بما بعدها.

جمع الله تعالى الكتب السماوية في القرآن الكريم، و جمع القرآن في سورة الفاتحة، ثم جاءت سورة البقرة تفصيلا مجملا لما جاء في سورة الفاتحة، ثم تتابعت السور بعد البقرة تفصيلا لما ورد فيها، فكانت كل سورة بعد البقرة ترتبط بها و ترتبط بما قبلها، وما بعدها، و هو ما جعل كتاب الله تتلاحم أجزاؤه، و تتماسك تماسك البنيان الذي يشدّ بعضه بعضا.

روى البيهقي (384-458)<< في شعب الإيمان قول الحسن البصري : أنزل الله- عز وجل -مائة وأربعة كتب من السماء أودع علومها أربعة منها: التوراة و الإنجيل و الزبور و الفرقان، ثم أودع علوم القرآن المفصل، ثم أودع علوم المفصل فاتحة الكتاب، فمن علم تفسيرها، كان كمن علم تفسير جميع الكتب المنزلة>>[1].

إن الكتاب من الفاتحة إلى الناس نصا واحدا منسجما، و ليست نصوصا متفرقة، تنسجم الآيات فيما بينها، ثم تتفرق بعد ذلك. فعلم المناسبات بين السور والآيات، ينزّه كلام الله عن سوء الترتيب أو التنظيم، من أجل ذلك تتعلق سورة "النور" أولا بسورة البقرة، بحيث يبدو أن محور سورة النور من هذه السورة آيتان نجدهما في قوله تعالى :

{ يَا أَيّهَا الذِينَ أَمَنُوا ادخُلُوا فِي السِّلمِ كَافَّةَ وَ لاَ تَتَبعُوا خُطوَاتِ الشَّيَطانِ إنّهُ لكُم عَدُوٌّ مُبِينُ ُ * فَإنْ زَللتُم مِن بَعْدِ مَا جَاءَتكُمُ البَيِنَاتُ فَاعلَمُوا أنَّ اللهَ عَزِيزُ ُ حَكِيمُ ُ } (البقرة 206 - 208) [2] .

ترتبط سورة النور بسورة البقرة في دعوتها المؤمنين إلى ثلاثة أمور:

1- الدخول في السلم كافة، و معنى السلم هنا الإسلام، كما يعني الطاعة أيضا[3].
2- عدم اتباع خطوات الشيطان بالخوض في الأعراض، و الوقوع في الفواحش فعلا و قولا.
3- الابتعاد عن الزل، و حكم من وقع فيه.

و بناء على ما سبق، فإن سورة النور هي قطعة من نسيج متماسك، يقوم على متوالية من السور، و يحتاج إلى سيمانطقية مناسبة، تراعي تأويل العلاقات بين السورة و أختها، و بين الآية و الأخرى.

---

(1): أبو بكر أحمد الحسين البيهقي، شعب الإيمان، تحقيق : أبي هاجر محمد السعيد بن بسيوني – دار الكتب العلمية، ط:1، بيروت 1990، ج:2، ص:451.

(2): انظر، سعيد حوى، الأساس في التفسير، المجلد 7، ص: 3682.

(3): انظر، ابن كثير أبو الفداء إسماعيل، تفسير القرآن العظيم، دار الحديث، القاهرة 2003، المجلد: 1 ص:308-309.

2 – مناسبة سورة النور بما قبلها و بما بعدها :

تتوسط سورة "**النور**" سورتي "**المؤمنون**" و "**الفرقان**"، فبعد أن انتهت سورة المؤمنون بقوله تعالى :

{ وَ قُل رَبِّ اغْفِرْ وَ ارْحَمْ وَ أنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ } (الآية 119) .

تفتح سورة النور ببيان وجه من أوجه رحمة الله تعالى ، أنه خلق عباده و لم يتركهم دون توجيه وإرشاد، بل بين لهم طريق الحق، و حذرهم من طريق الغي و الظلال، و الوقوع في حدوده. كذلك ورد في سورة المؤمنون قوله عزّ شأنه :

{ وَ ٱلذِينَ هُم لِفُرُوجِهِم حَافِظُونَ } (الآية 5) .

و قوله :

{ فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلكَ فَأوُلَئِكَ هُم العَادُونَ } (الآية 7) .

فتأتي سورة النور بيانا لحكم العادي في ذلك في قوله تعالى :

{ الزَّانِيةُ وَ الزَّانِي ... } (الآية 2) . [(1)]

بدأت سورة النور بداية شديدة تهز القلوب ، لما تحمله من أحكام، و من تشريع لبناء الأسرة، والمجتمع المسلم ، يتجلى ذلك في أولى آياتها و جملها :

سورة أنزلناها / و فرضناها / و أنزلنا فيها آيات بينات .

فالبداية تعلن أنّها تحوي على أحكام قاطعة، لابدّ أن تكيّف وفقها شؤون الحياة الفردية و الاجتماعية، و هذه الجمل الثلاث، كأنّها مقدمة لمرسوم ملكي فيها التنبيه على مدى اهتمام الرب تعالى بما جاء في سورة النور، و لا تتساوى في هذا الشأن مقدمة أي سورة أخرى [(2)] .

و إذا كانت فاتحة السورة تعلن عن أهمية الأحكام التي سترد فيها، فإن خاتمتها تعلن أن هذه الأحكام كانت من لدن مالك السماوات و الأرض، العليم بما ينفع الناس في دنياهم و أخرتهم فتشريع الله تعالى لأهل الأرض هو عن علم ، و هو الذي أنزل على عبده الفرقان الذي يفصل الحق عن الباطل ، و لذلك تبدأ سورة الفرقان بعد ذلك مباشرة بـ :

---

(1) : برهان الدين البقاعي ، نظم الدرر في تناسب الآيات و السور ، ج : 5 ، ص : 229 – 230 .

(2): انظر ، أبو الأعلى المودودي ، تفسير سورة النور ، تعريب محمد عاصم حداد ، دار الفكر ، دمشق 1960 ص : 33 .

قوله تعالى :

{ تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ الفُرقانَ عَلى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَلَمِينَ نَذِيرًا ... } (الآية 1)

يعود هذا الربط بين نهاية السورة و متنها و السورة التي تليها إلى أن خاتمة السورة هي أخر ما يقرع الأسماع ، فتأتي متضمنة للمعاني البديعة التي جاءت في السورة، مع إيذان السامع بانتهاء الكلام، حتى لا تبقى معه النفوس تشوف إلى ما يذكر بعده [1] .

ثم تأتي السورة التي تليها مرتبطة بها ارتباطا مفهوميا، أو ارتباطا صوريا شكليا.

و الملاحظ في هذا الشأن << أن السور المدنية المتعاقبة – رغم ما يدخلها من سور مكية – في القرآن يؤلف بينها الترابط المنسجم الحكيم و يجمعها الائتلاف الموزون لتأتي موافقة تمام التوافق >> [2] .

تتناول السور المدنية التشريع الخاص بالمجتمع الإسلامي ، من قضايا المعاملات و الأحوال الشخصية، و الأخلاق. و يعدّ هدف سورة النور جزءا من أهداف السور المدنية لأنّها تهتم بالآداب الاجتماعية و التشريع الإسلامي [*].

---

(1): انظر ، السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ، ج : 1 ، ص : 107 .
(2) : أمير عبد العزيز ، دراسات في علوم القرآن ، دار الشهاب ، ط 2 الجزائر 1988. ص : 252 .
(*): يمكن البحث في الانسجام بين سور المدنية و علاقاتها فيما بينها ، وأن يكون ذلك موضوعا مستقلا بنفسه .

3- العلاقـــات المفهومية بين الآيـــات :

اعتمدت بعض التفاسير على علم المناسبة بين السور و الآيات، فدرست العلاقات الدلالية، و الانسجام من هذا الجانب، دون أن تشير إلى ذلك صراحة و اعتمدت في ذلك على مصطلحات، تقترب مما تناولته الدراسات الغربية، فتشترك معها في نقاط ، و تختلف معها في أخرى.

كمفهوم المناسبة الذي يختلف عن الرابطية لأنّه يحمل خصائص براغماتية تتعلق بفعل التواصل مع المتلقي، بينما كان مفهوم المناسبة في التراث العربي الإسلامي مفهوما ضيقا، يرتبط بالعلاقات الدلالية خاصة [(*)].

و كتقسيم السورة إلى أشواط و مقاطع، و مجموعات، فهي تقترب من حيث استخدام هذا المفهوم، و توظيفه في التحليل، والتفسير من مفهوم المقاطع، أو المساحة النموذجية ، أو غيرها من المفاهيم الغربية .

و بناء على ذلك يمكن تقسيم سورة النور إلى ثلاثة مقاطع، و كل مقطع إلى مجموعات، تشترك في عقدة واحدة، تقع في موقع مركزي، هي مركز ضبط بتعبير "دي بوجراند" [(1)].

قبل ذلك ، يلاحظ أنّه لا يمكن فهم الآية إلاّ بربطها بسياقها العام، و بغيرها من الآيات ربطا دلاليا، لأنّه يكشف عن العلاقات بين هذه الآيات، و يكون الاعتماد في ذلك على أمرين هما :

- معنى الآيات .
- الإحالة .

بحيث تترابط الآيات بترابط القضايا التي تدل عليها، و بترابط الأفعال الكلامية أيضا (كما سيتضح ذلك في الفصل الأخير) .

و هو ما يؤدي إلى ترابط المقاطع بفعل مواضعها، لأن كل مقطع يتكون من عدة قضايا تنتمي إلى الإطار نفسه .

(*) : عن علم المناسبة ، ص 24.
(1) : يسمي الكاتب دي بوجراند الفقرة من النص . المساحة النموذجية ، لتكون في الأخير البنية الكبرى بتعبير فان دايك .
انظر ، دي بوجراند ، النص و الخطاب و الإجراء ، ص : 230 .

فالمقطع الأول :

من الآية 1 – 34 : يتحدث عن قضايا تشريعية تتعلق بتطهير المجتمع الإسلامي من الفاحشة .

المقطع الثاني :

من الآية 35 – 46 : يشير إلى آيات كونية تبني العقيدة .

المقطع الثالث :

من الآية 47 – 64 : فيه توجيه للمجتمع الإسلامي، و إرشاد له .

يتكون المقطع الأول من أربع مجوعات، كل منها يشّكل وحدة متكاملة و المقطع بمجموعاته يشكل وحدة هو الأخر، لأن القضايا تتعالق في عوالم متعالقة .

تبدأ السورة بقوله تعالى :

{ سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَ فَرَضْنَاهَا وَ أَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُم تَذَكَّرُونَ }(الآية 1)

فيكون الانتقال بعدها من الإجمال إلى التفصيل، لأن كلمة فرضناها تؤكد على الأخذ بكل ما سيرد في السورة من أحكام، و آداب أخلاقية ، و يبدأ التفصيل بداية من الآية الثانية، و تتتابع الأحكام في المجموعة الأولى (الآية 1 - 10) عن حدّ الزنى ، و تفظيع هذه الجريمة، و التنفير منها، ثم نجد حد القذف، الذي جاء معطوفا على حدّ الزاني. بما يوجب تعظيم الرغبة في الستر و صيانة الأعراض و إخفاء الفواحش [(1)]

فكانت العلاقة بين الآيات في المجموعة الأولى علاقة دلالية تقوم على التطابق الإحالي، يتجلى ذلك في أنّ العلاقة بين الآية (2 - 3) التي تتحدث عن الزاني و الزانية، مع وجود ارتباط قوي بين الوقائع و المواقف، و تكون العلاقة بين الآيات (4 – 10) علاقة تطابق إحالي أيضا :

يكون الحديث فيها عن الذين يرمون المحصنات، و يحدث الانتقال من العام إلى الخاص عند الحديث عن الذين يرمون أزواجهم ... فتأتي الآيات متعالقة بموضوع الخطاب، أشّد الارتباط. كذلك ترتبط المجموعة الأولى بالمجموعة الثانية بحيث تأتي المجموعة الثانية (11 – 20) عن حادثة الإفك .

---

(1) : انظر ، برهان الدين البقاعي ، نظم الدرر في تناسب الآيات و السور ، ج : 5 ، ص : 236 .

و كانت هذه الحادثة << تعليلا للأحكام التي وردت في المجموعة الأولى و تفهيما لحكمة هذه الأحكام (...) ، فمن يدرس حادثة الإفك يدرك حكمة اشتراط الشهود للزنا و حكمة حدّ القذف، كما يدرك ضرورة الظن الحسن بالمؤمنين >> [1]

يؤكد ذلك العلاقة العضوية بين مجموعات المقطع : فالعلاقة بين المجموعة الأولى، و الثانية علاقة تعليلية، يكون الانتقال فيها من بيان حكم القذف إلى تقديم نموذج من القذف، يكشف عن شناعة الجرم و بشاعته، و هو يتناول بيت النبوة الطاهر الكريم [2] .

ليتضح للمجتمع المسلم أخطار قذف المحصنات الغافلات المؤمنات .

جاءت الآيات العشر في هذه المجموعة الثانية، تتعالق فيها المحمولات تعالقا واضحا يكشف عن وجه من أوجه الربط بين هذه الآيات، فالأفعال تتوالى و تتجاور في نظام يعتمد على تسلسل الأحداث هي < قصة الإفك > .

تبدأ القصة ببيان ضخامة الحادث، و عمق جذوره، و ما وراءه من عصبة تكيد للإسلام والمسلمين، ثم تنتقل إلى تطمينهم من عاقبة هذا الإفك [3]، قبل أن تنتقل إلى عتابهم

في قوله جلّ ذكره :

{ لوْلاَ إذْ سَمِعتُمُوهُ ظَنَّ المُؤْمِنُـونَ وَ المُؤْمِنَـاتُ بأنفُسِهِمْ خَيرًا وَ قَالُوا هَذَا إفْكٌ مُّبينٌ } (الآية 12) .

فالأفعال تتعالق، و ساعد على ذلك العلاقات الرابطة بين القضايا الواردة في هذه الآيات العشر، ذلك أن السورة الكريمة تقدم حادثة الإفك، و تقدم فيها خطوتين لمواجهة الأمور :

- خطوة أولى تقوم على الدليل الباطني الوجداني (الآية 12) .

- خطوة ثانية تعتمد على طلب الدليل الخارجي، و البرهان الواقعي (الآية 13) .

---

(1) : سعيد حوى ، الأساس في التفسير ، المجلد 7 ، ص : 3716 .
(2) : انظر ، سيد قطب ، في ظلال القرآن ، المجلد 4 ،دار الشروق ، ط 11 ، بيروت 1985 ص : 2494 .
(3) : انظر ، المصدر نفسه ، المجلد 4 ، ص : 2500

هاتان الخطوتان : خطوة عرض الأمر على القلب، و استفتاء الضمير و خطوة التثبت بالبينة و الدليل (1) ، تجعل العلاقة بين الآيتين علاقة تكامل.

ثم تأتي الآيات بعد ذلك تعقيبا إلاهيا على ما حدث، محذّرة، و متوعدة و مذكرة بشناعة البهتان، رغم أنه قد يبدو خلاف ذلك. كل ذلك تحذيرا من إشاعة الفاحشة في المجتمع الإسلامي قولا أو فعلا .

لتبدو العلاقة وثيقة و عضوية بين آيات هذه المجموعة، فكل آية تمهد لأختها و تهدف إلى غاية مشتركة، و لذلك ترتبط بالمجموعة السابقة التي تتحدث عن حدّ الزنا و القذف، كما ترتبط بالمجموعة التالية التي تبدأ مباشرة بعد ذلك بقوله تعالى :

{ يَا أَيّهَا ٱلَّذِينَ أَمَنُوا لا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيطَانِ وَ مَنْ يَتَّبِع خُطُوَاتِ الشَّيطَانِ فَإِنَّهُ يَأمُرُ بِالفَحشَاءِ وَ المُنكَرِ وَ لَوْلاَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُم وَ رَحمَتُهُ ، مَا زَكَى مِنْكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَ لكِنَّ اللهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَ اللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ } (الآية 21) .

تبين هذه الآية هدف الأحكام، و الآداب الاجتماعية التي سبق ذكرها : عدم اتباع خطوات الشيطان لتزكية النفس و المجتمع الإسلامي. و حادثة الإفك مثال عن اتباع خطوات الشيطان، فالمجموعة الثالثة شرح و تفسير من جهة، و نتيجة من جهة أخرى للمجموعة الثانية، ذلك أنّ هذه المجموعة تؤكد النهي عن اتباع خطوات الشيطان .

فتأتي الآية التالية مؤكدة على المعنى السابق، و تقدم ما ينبغي فعله بعد الزلل في قوله :

{ وَ لاَ يَاتَلِ أُولُو الفَضْلِ مِنكُم وَ السّعَةِ أَن يُؤتُوا أولِي القُربَى وَ المَسَاكِينَ وَ المُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَ لْيَعْفُوا وَ لْيَصْفَحُوا أَلاَ تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللهُ لَكُم وَ اللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ } (الآية 22).

تبين الآية ما حدث بعد حادثة الإفك، فالعلاقة بينها و بين ما قبلها من الآيات علاقة السبب و المسبب عنه، و تدعو الآية صراحة إلى العفو و الصفح بين المؤمنين، محافظة على تماسك المجتمع الإسلامي. ثم تنتقل الآية إلى ذكر عقوبة القذف الأخروية، بعدما سبق ذكر عقوبتها الدنيوية في المجموعة الأولى.

فالآيتان 22 – 23 تترابطان من خلال رسم صورتين متضادتين ، لأن ذكر الغفران كان للمؤمنين التائبين عن خطيئة رمي المحصنات، أما الذين يصرون على هذه المعصية ، فلهم عذاب عظيم .

---

(1) : انظر ، المصدر السابق ، المجلد 4 ، ص : 2502 .

و تنتهي حادثة الإفك بتقرير حقيقة دنيوية خالدة، لا تتغير بتغيرالشخصيات و الأزمنة .

في قوله تعالى :

{ الخَبيثاتُ لِلْخَبيثِينَ وَ الخَبيثُونَ لِلْخَبيثَاتِ ، وَ الَّطيبَاتُ لِلطَّيبينَ وَ الَّطيبُونَ لِلْطَّيبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ } (الآية 26) .

إنّ الآية تبين عدل الله في اختياره، و هو أن تلتئم النفس الخبيثة بالنفس الخبيثة، و أن تمتزج النفس الطيبة بالنفس الطيبة، و على هذا تقوم العلاقات بين الأزواج ، و ما كان يمكن أن تكون عائشة - رضي الله عنها - كما رموها ، و هي زوجة و حبيبة أطيب نفس على ظهر الأرض [1] .

فالآية تأكيد لبراءة عائشة –رضي الله عنها -، سبق ذكره في أول القصة .

لتتخذ المجموعتان الثانية و الثالثة بناء دائريا - تجعلهما تقتربان من النص الحجاجي الذي تتلاحم فيه الحجج و البراهين، تلاحما يؤثر في السامع و يقنعه.

تنتقل بعد ذلك المجموعة الرابعة ابتداء من الآية 27 – 34 إلى وضع القواعد التي تحفظ بها الأعراض، و تبعد الزلل و الشبهات عن المجتمع الإسلامي، و تبدأ بآداب الاستئذان، محافظة على حرمة البيوت و الأعراض، ثم تنتقل إلى الأمر بغضّ البصر، و حفظ الفرج، و عدم إبداء الزينة إلاّ ما ظهر منها، و تزويج الأيامي و الصالحين و الاستعفاف، وعدم الإكراه على البغاء، و هي إجراءات وقائية .

لأن الإسلام << لا يعتمد على العقوبة في إنشاء مجتمعه النظيف، إنّما يعتمد قبل كل شيء على الوقاية، و هو لا يحارب الدوافع الفطرية، و لكن ينظمها و يضمن لها الجو النظيف الخالي من المثيرات المصطنعة >> [2] .

من هنا بدت العلاقات بين الآيات في هذه المجموعة واضحة : فالآيات 27 - 29 تخاطب المؤمنين حول موضوع خطاب واحد، يتعلق بآداب الاستئذان كإجراء وقائي أول.

أما الإجراء الوقائي الثاني ففيه أمر بغض البصر و حفظ الفرج، و العلاقة بينهما سببية لأن عدم غض البصر يدعو إلى الفاحشة، و لذلك تسترسل الآية بأمر النساء المؤمنات بالحجاب .

---

(1) : انظر ، المصدر السابق ، المجلد 4 ، ص :2505 .

(2) : المصدر نفسه ، المجلد 4 ، ص : 2507 .

بينما يتمثل الإجراء الوقائي الثالث في الإحصان و الاستعفاف، و تجلى الإجراء الرابع في النهي عن تعريض الرقيق للبغاء، فكانت العلاقات بين الآيات و بين هذه الإجراءات الوقائية متعالقة و متكاملة، لا تستغني الواحدة عن الأخرى جمعت بين ما هو فردي خاص و ما هو اجتماعي عام .

و ينتهي المقطع الأول في الآية الرابعة و الثلاثين بقوله تعالى :

{ وَ لَقد أنْزَلْنَا إليكُم آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَ مَثَلاً مِّن اَلذِينَ خَلَوْا مِن قبلِكُم وَ مَوعِظَةً لِّلمُتَّقِينَ } .

تعقيب إلاهي يناسب طبيعة الأحكام السابقة، و يبين هدفها، و تبين المجموعات الأربع السابقة في ترابطها، و تمهيد كل مجموعة لأختها على تماسك المقطع الأول (1 - 34) ، ذلك أن المقطع يجمعه إطار واحد، و أحكام تشريعية تهدف إلى إنشاء مجّمع إسلامي نظيف، و هي عقدة هذا المقطع، و مركز ضبطه و لذلك تأتي المجموعات لتنظيم الأحكام الواردة في المقطع وفق أطر، من أجل بناء نموذج لعالم للنص، ليتحقق في الأخير الانسجام.

تتمثل هذه الأطر في ما سبق ذكره من أحكام تتعلق بالزنى، و القذف واللعان، و الاستئذان.

المهم أن المقطع، اجتمعت فيه عدد من القضايا فيما بينها، وفق منطق واضح و حكيم، و بروابط دلالية، و استلزام منطقي لا يخرج عن أنواع الروابط المعهودة من سببية و تفسيرية وتبعية، و غيرها .

و كان المقطع يجمعه محل التحاور، أو ما يعرف بموضوع الارتباط، الذي عالج تطهير الكيان البشري، ليرتفع به إلى أفاق النور، و يتطلع إلى الأفق المضيء، ويستشرف النور الكبير في آفاق السماوات و الأرض، و هو على استعداد لتلقي الفيض الشامل الغامر في عالم كله إشراق و كله نور :

{ اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَ الأَرْض }

من هنا بدت العلاقة واضحة بين المقطع السابق و المقطع الثاني (35 - 46) بحيث يكشف المقطع الأول للمسلم كيف يكون النور، بينما يشير المقطع الثاني إلى مبعث النور كله. قد يبدو أن بداية المقطع الثاني هي بداية مفاجئة، كان فيه الانتقال من الحديث عن الأحكام إلى الحديث عن نور الله ، لكن العلاقة بين المقطعين تتجلى بين نهاية المقطع الأول في الآية 34 :

{ وَ لَقد أنْزَلنَا إليكُم آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَ مَثلاً مِّن اَلَذينَ خَلَوْا مِن قبلِكُم وَ مَوعِظةً لِّلمُتَّقِينَ } .

و بداية المقطع الثاني :

{ اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَ الأرْض مَثَلُ نُورهِ ... }.

فالآيتان تشتركان من حيث الإحالة :

- و لقد أنزلنا ...
- الله نور .

فالله هو الذي أنزل الآيات المبينات، و هو نور السماوات و الأرض، و هو ما يعني أن هذه الآيات المبينات : آيات الأحكام هي نور للإنسان و المجتمع الإسلامي، و لذلك هناك من فسّر

{ اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَ الأرْض مَثَلُ نُورهِ ... }.

بـــهادي أهل السماوات و الأرض [(1)] .

و يتكرر الربط في هذا المقطع من خلال التطابق الإحالي، فلفظ الجلالة **الله** سبحانه عز و جلّ موضوع الخطاب في الآية التالية :

{ اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَ الأرْض مَثَلُ نُورهِ ... }.

و في الآيات التي بعدها :

{ أَلَم تَرَ أنَّ اللهَ يُسَبِّحُ لهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَ الأرْض وَ الَّطيرُ ... }

{ أَلَم تَرَ أنَّ اللهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ... }
{ وَ اللهُ خَلَقَ كلَّ دَابَّةٍ مِّن مَاءٍ فمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى أرْبَعٍ ... }

و لا يخلو المقطع الثاني من آيات كونية، تتعالق فيها القضايا ، لأنّها تتحدث عن عوالم متعالقة ، إنّها عوالم تصور عظمة المبدع الخالق عز و جلّ .

---

(1) : انظر ، أبو الفداء إسماعيل بن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، المجلد 3 ، ص :356.

من هنا يبدو أن الانتقال من آيات الأحكام إلى الآيات الكونية، انتقال يخدم هدف السورة. ذلك أن الأحكام، و شؤون المعاملات في القرآن الكريم، تستمد قداستها و صدق التأثر بها من قرارات العقيدة، و التقوى التي تغرسها آيات تعرّف الإنسان بخالقه [1] .

تتابعت الآيات التي تعرف الإنسان بربّه في هذا المقطع الثاني، فكانت آيات تخدم في ترابطها سياق السورة العام :

و تعرف معاني هذه الآيات نموا و استمرارية، ذلك أنّها تبدأ بالحديث عن النور ثم تنتقل إلى السراب (و هو التماع كاذب)، قبل أن تنتقل إلى الحديث عن الظلمات، ثم إلى آيات كونية أخرى، تصوّر تكون السحب الركامية، و خلق الدواب من ماء ... ، و هي الأخرى تترابط فيما بينها ترابطا دلاليا (كما سيتضح لاحقا) .

يلاحظ بداية أن آية المشكاة التي يفتح بها هذا المقطع، تتكون من متتالية من الجمل ، تترابط فيما بينها من خلال أدوات التشبيه : مثل ، الكاف كأن .. ، فكانت العلاقة بين الجمل في هذه الآية علاقة تقوم على معنى التشبيه أولا، و تقوم على الإحالة ثانيا. و جاءت هذه الآية بعد الأمر بغض البصر، و من أسرار ذلك كما يرى "ابن قيم الجوزية" (ت 751 هـ): << أنّ الجزاء من جنس العمل، فمن غضّ بصره عمّا حرّم الله عزّ و جلّ عليه، عوضه الله تعالى من جنسه ما هو خير منها فكما أمسك نور بصره عن المحرمات أطلق الله نور بصيرته و قلبه >> [2].

و لذلك كانت بداية آية المشكاة دون آية أداة ربط بالآيات السابقة، لتتابع القضايا، و تواصلها في هذه الآيات، و للأمر نفسه تبدأ الآية التالية بعد آية المشكاة بقوله تعالى :

{ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أن تُرفَعَ وَ يُذكَرَ فِيهَا اسمُهُ ، يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالغُدُوِّ وَ الآصَالِ رِجَالٌ لاَ تُلهِيهِم تِجَارَةٌ وَ لاَ بَيْعٌ عَن ذِكرِ اللهِ وَ إِقَامِ الصَّلاَةِ وَ إِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَومًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ القُلُوبُ وَالأَبْصَارُ } (الآية 37) .

فالصلة قوية تقوم على التصوير بين مشهد المشكاة، و مشهد البيوت، على طريقة التناسق القرآنية في عرض المشاهد ذات الشكل المتشابه أو المتقارب، و هناك صلة بين المصباح المشرق بالنور في المشكاة، و القلوب المشرقة بالنور في بيوت الله [3].

---

(1) : انظر ، محمد الغزالي ، نظرات في القرآن ، شركة الشهاب ، الجزائر ، ص : 168 .

(2) : أبو عبد الله محمد شمس الدين، ابن قيم الجوزية ، إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ، تحقيق علي بن الحسن بن علي، دار ابن الجوزي، ط:1 ، السعودية 2003م، ج:1، ص:106.

(3) : انظر ، سيد قطب ، في ظلال القرآن ، المجلد 4 ، ص : 2520 .

فالآيات تتابع، و تترابط ترابطا خفيا جميلا، لغياب أدوات الربط بينها تجعل هذه الآيات، كأنّها آية واحدة في تلاحمها، و تماسكها، ذلك أنّ القضايا تتابع متنامية تنتقل من الحديث عن نور الله في السماوات و الأرض، إلى الحديث عن نوره الذي ينبعث من بيوته، فترتبط الآيتان من حيث المعنى و الإحالة، و ترتبط القضايا داخل الآية نفسها، لأنّها تصوّر رجالا يسبحون الله بالغدو و الآصال، لا تشغلهم الدنيا عن ذكر الله .

يلاحظ الانتقال من الحديث عن بيوت الله إلى الحديث عن رجال متعلقة قلوبهم بها، ليستمر وصف هؤلاء الرجال، فالموضوع الثاني جاء مرتبطا بالموضوع الأول تابعا له، ثم تأتي الآية التالية تعليلا لفعل هؤلاء الرجال في الآية الثامنة و الثلاثين في قوله تعالى :

{ لِيجْزِيَهُمُ اللهُ أحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَ يَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ } .

فالعلاقة بين الآيتين تعليلية تصور المؤمنين المتعلقة قلوبهم بالمساجد، لكن الآيات بعد ذلك تنتقل إلى تصوير أعمال الكافرين من خلال مثلين، لأنّه لا يمكن معرفة هدى الله و نوره دون معرفة طريق الضلال، و الظلام، فبدت العلاقة بين الآية (38)، و بما قبلها علاقة تضاد، لا تصوّر هذه الآية الكفار، بل أعمالهم، و هي تشير إلى : << أن الذين ستروا بما لزموه من الضلال ما انتشر من نور الله أعمالهم كائنة يوم الجزاء كسراب >> [1] .

يفسر ابن كثير" السراب" كأنّه بحر طام، و يكون ذلك بعد نصف النهار [2] و السراب تصوير لنتائج أعمال الكفار يوم القيامة. لكن الآية التي بعدها جاءت تصويرا لطبيعة أعمال الكفار نفسها في الدنيا، فالآيتان متتابعتان، يجمعهما وصف أعمال الكفار، و نتائجها في الدنيا و الآخرة، في مشهدين متلاحقين تفصلهما أداة التخير **أو** :<< أي أعمالهم لكونها لا منفعة لها كسراب، و لكونها خالية عن نور الحق كالظلمات، أو للتنويع فإنّها كانت حسنة الظاهر، فكالسراب أو قبيحة فكالظلمات أو للتقسيم باعتبار وقتين كالظلمات في الدنيا و السراب في الآخرة >> [3] .

(1) : برهان الدين البقاعي ، نظم الدرر في تناسق الآيات و السور ، ج : 5 ، ص : 270 .
(2) : انظر ابن كثير ، تفسير القرآن الكريم ،الجلد 3 ،ص364.
(3): البقاعي نظم الدرر في تناسق الآيات و السور، ج:5، ص: 270.

إلى جانب ذلك فالمشهدان يجمعهما وقت واحد: وقت النهار، ففي المشهد الأول يكون الإلتماع كاذبا، و في المشهد الثاني تكون الظلمة المطبقة(*). فالأيتان اللتان ترتبطان بالأداة أو تصوران مشهدين يسموان بشكل متتابع، و تتعلقان بمرجعية واحدة: أعمال الكفار. و ينتهي المشهدان بقوله تعالى:

{ وَ مَن لَم يَجعَلِ اللهُ لَه نُورًا فَمَالَهُ مِن نُّورٍ} (الآية 40) .

و تبدأ الآية التي بعدها بقوله تعالى :

{ أَلَم تَرَ أَنَّ اللهَ يُسَبِّحُ لهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَ الأرْض وَ الَّطيرُ صَافَّاتٍ كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَ تَسْبِيحَهُ وَ اللهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفعَلُونَ } (الآية 41) .

تنتهي الآية بالحديث عن نور الله، و تبدأ الآية الثانية، دون أداة ربط بأسلوب الخطاب في قوله تعالى :" ألم تر"، فالقضايا في الآيتين تتداخلان و تتماسكان عضويا، لأن الذي يرى تسابيح من في السماوات و الأرض، هو الذي غمر قلبه نور الله . و هو الذي اختار الله تعالى مخاطبته : لأنّه قريب بهداه منه و لذلك يكون هذا الالتفات في آخر الآية :

{ وَ اللهُ عَلِيمُ بِمَا يَفْعَلُونَ } (الآية 41) .

الانتقال من الحديث عن تسبيح الكون لــ لله إلى الحديث عن ملك الله تعالى لهذا الكون، و من فيه، لتبنى هذه القضايا نموذج لعالم النص، يتعلق بـــ الله -عز و جل- و دلائل قدرته، و أسرار هداه في هذا الكون الفسيح .

و لذلك يتكرر قوله تعالى : "أَلَم تَرَ أَنَّ اللهَ"، مرة أخرى في تصوير ظاهرة طبيعية، و حقيقة كونية، تتعلق بتكوين السحاب الركام، و مراحله بدقة بالغة، لتؤكد هذه الآية ملك الله لهذا الكون الذي صرحت الآية السابقة به :

{ وَ للهِ مُلكُ الَّسمَاوَاتِ وَ الأَرْض وَ إِلَى اللهِ المَصِيرُ } (الآية 42) .

(*): نلاحظ كيف أنّ الآية لم تصور الظلمة بظلام الليل الدامس، بل جعلت الكافر تغمره ظلمات تحت ضوء النهار، ذلك أنّ الكافر يحجب قلبه عن نور الله الذي يغمر الكون، و يختار الظلام و الظلال، رغم وجود النور و الضياء ... (نعود إلى هذه الصورة الفنية في الفصل الموالي)

لكن الآية تعرض تكوين السحاب الركام ببطء، و بشيء من التفصيل، فتشير إلى مراحل تكوينه، بدءا بعمل الرياح في سوق الرياح، إلى التأليف بينها إلى غيرها من المراحل. من أجل ذلك تتعاقب القضايا في هذه الآية، بشكل ينم عن إعجاز علمي دقيق، فتتابعت أدوات العطف : **ثم الواو ، و الفاء** ، بحيث أن كل قضية هي مرحلة تمهّد لغيرها.

و يكون وصف هذه المرحلة بدقة معجزة، حيث يكون وصف النمو الرأسي للسحاب من خلال أداة الربط ثم، دليلا على التراخي، لكن الآية تربط بين البرد و البرق (أو انفصال الشحنات الكهربائية داخل السحب، فيكون الربط من خلال أداة العطف التي تفيد التعقيب و الترتيب، قبل أن ينتقل الربط إلى استعمال أداة العطف الواو، التي تفيد الاستئناف .

فالآية السابقة جاء الربط الدلالي بين جملها من خلال ترتيب القضايا التي تعرضها، و من خلال دقة اختيار أدوات الربط التي تشير إلى هذا الترتيب و المرحلية فيها

و يبلغ التناسق ذراه عندما يكتمل مشهد السحاب الركام بقوله تعالى :

{ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالأَبْصَارِ } (الآية :43). .

ليكون الانسجام في التصوير بين النور في السماوات والأرض، و سنا البرق في السماء، << أما سبب الربط بين النور و الماء، فيعود إلى أنّ النور إشراق للقلب، و إضاءة له، والماء حياة له. فكان الجمع بين النور و الحياة . >> [1] .

و تنتهي الآية بالتذكير بأنّ الأمر كله لـ الله ، فهو القادر على تحويل الظلام ضياء و الضياء ظلاما، و المطر تارة و الصحو أخرى ... ، و لهذا قال منبها على النتيجة : **"إن في ذلك"**. أي الأمر العظيم الذي ذكر من جميع ما تقدم لعبرة لأولي الأبصار [2].

و إذا كانت هذه الآية تشير إلى تكوين الماء من السحاب، فإنّ الآية التي بعدها تبين كيف يخلق الله تعالى من الماء مختلف الدواب، و بعبارة أخرى فإنّ الماء السماوي عامل أو سبب للماء الأرض، إذ لولاه لما نشأت حياة على الأرض [3].

---

(1) : انظر ، ابن القيم الجوزية ، الفوائد ، المكتبة العصرية ، بيروت ، 2005، ص 38..

(2) : انظر ، برهان الدين البقاعي ، نظم الدرر في تناسب الآيات و السور ، الجزء 5 ، ص : 274 .

(3) : انظر ، نذير حمدان ، الضوء و اللون في القرآن الكريم – الإعجاز الضوئي اللوني – دار ابن كثير ط:1، دمشق 2002 ، ص : 76 .

فالآيتان المتتابعتان مترابطتان من خلال موضوع الخطاب، قدرة الله تعالى و هدايته لخلقه في السماء و في الأرض، و من خلال التطابق المرجعي :" **ألم تر أن الله**" في بداية (الآية 43) "**و الله خلق** "... في بداية (الآية 45)، و لذلك تأتي (الآية 46) تعقيبا على الآيات السابقة تشير إلى آيات الله القرآنية التي تهدي إلى الطريق الحق، بعد عرض آيات كونية، و مشاهد تبين هدى الله و نوره في الكون، لتبدو الصلة وثيقة بين ما تحمله الآيات القرآنية و الآيات الكونية من نور للعالمين.

و ينتهي المقطع الثاني، بعدما جمعته أطر تتحدث عن الإيمان، و الكفر و الكون و الحياة بقوله تعالى :

{ لقد أنْزَلنَا آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَ اللهُ يَهدِي مَن يَشَاءُ إلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيم } (الآية46)

و مثلما انتهى المقطع الأول بكلمات تعلن ختامه، في الآية الرابعة و الثلاثين:

{ وَ لقد أنْزَلنَا إليكُم آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَ مَثلا ًمِنَ الذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم وَ مَوْعِظَة للمُتَّقِينَ }.

يبدأ بعد ذلك المقطع الثالث من الآية (47 - 64)، بتحديد موقف صنفين من الناس من نور الله و هداه (الذي سبق الحديث عنه في المقطع الثاني) بداية لعلاقة جديدة بين موضوع أول، و موضوع ثان، و يمكن تحديد المقطع الثالث، وفق ثلاث مجموعات، أو مجموعتين و خاتمة :

- المجموعة الأولى في المنافقين و المؤمنين و الكافرين .
- المجموعة الثانية توجيهات عملية لأهل الإيمان .
- المجموعة الثالثة تعريف لأهل الإيمان [(1)] .

---

(1): انظر، سعيد حوى، الأساس في التفسير، مجلد 7، ص:3796 .

تبدأ المجموعة الأولى من الآية (47 - 57) بنفي صفة الإيمان عن فريق من الناس يقولون أمنا، و ما أولئك بالمؤمنين ، و علامات نفاقهم تتجلى في :

- عدم الاحتكام إلى الله و رسوله (الآية 48) .

- الإذعان إلى الحق عندما يكون معهم فقط (الآية 49) .

- في قلوبهم مرض، و ريب و خوف من أن يحيف الله (عدم الثقة في حكم الله) (الآية 51) .

فالآيات السابقة تشترك في رسم صورة للمنافقين، و علامات هذا النفاق و لذلك تتماسك الآيات بسبب التطابق المرجعي، بينما يختلف الأمر في الآيتين اللاحقتين، لأنهما تنتقلان إلى رسم صورة أخرى عن مؤمنين مذعنين لأمر الله فالعلاقة بين الآيتين (51 - 52) علاقة تضاد .

لكن السياق لا يلبث أن يعود للحديث عن المنافقين في (الآية 53) ، فيصور كذبهم، و تخاذلهم في مواقف الجهاد، و لذلك تأتي (الآية 54) مكملة للآية السابقة فالعلاقة بينهما علاقة سبب و مسبب عنه، لأنّها تأمر هؤلاء المنافقين بالطاعة الحقيقية .

ثم تنتقل الآيات مرة أخرى من الحديث عن المنافقين إلى الحديث عن المؤمنين الطائعين و وعد الله لهم بالتمكين في الأرض ليكون الانتقال من الحديث عن الطاعة إلى وعد الله، و من الكلام عن المنافقين إلى الكلام عن المؤمنين : فتكون العلاقة بين الآيتين (54 - 55) علاقة سبب و مسبب له أيضا ، لأن التمكين يكون بعد الالتزام بالطاعة ، و تأتي الآية التي بعدها تأكيدا على معنى الالتزام بذلك .

و جاءت بصيغة الأمر لأهميتها و وجوبها، و ينتهي سياق المجموعة الأولى من المقطع الأخير بمصير الكفار في الأرض، و في الآخرة، تأكيدا من الله على معنى التمكين، فكانت الآية كأنها جوابا لسؤال : و هل التمكين ممكن ؟ ، فقال الله تعالى :

{ لاَ تَحسَبَنَّ اَلِذينَ كَفَرُوا مُعجِزينَ فِي الأَرض ... } (الآية 57) .

تبدأ بعد ذلك المجموعة الثانية من هذا المقطع، و هي أربع آيات تتعلق بمواضيع الاستئذان و دخول البيوت، فكانت هذه المجموعة عودة إلى الأحكام التي كانت السورة قد بدأت بطائفة منها ذلك :

<< أنّ الملل من شيم النفوس، فكان تدريج الكلام في المقاصد، لاسيما الأحكام شيئا فشيئا، خلال مقاصد أخرى أوقع في القلب و أشهى إلى الطبع >> [1] .

إن التدريج في تربية الأنفس و تزكيتها سمة من سمات الإسلام، فكان ذلك سببا في انتقال الآيات في هذه السورة من الأحكام في البداية إلى بناء العقيدة التي هي أصول الأحكام، و مكارم الأخلاق، ثم العودة إلى الأحكام مرة أخرى .

لذلك كانت العلاقة بين هذه المجموعة، و الآيات التي سبقتها علاقة استئنافية لتتابع الأحكام فيها و تلاحمها، و إذا كانت الأحكام الأولى انتهت بالترغيب بتزويج الأيامى، فإن الأحكام هذه تبين آداب الاستئذان درءا للفتن و حفاظا على الأسرة و المجتمع الإسلامي فالآيات تترابط فيها القضايا، و تتتابع الأطر من أجل هدف واحد، و هو ما يفسر تكرار آية البيان، بعد ذلك ثلاث مرات.

تبين الآية 58 : استئذان الخدم و الأطفال المميزين الذين لم يبلغوا الحلم في ثلاثة أوقات، و تنتقل الآية التي بعدها إلى حكم استئذان الأطفال حين يبلغون الحلم فالعلاقة بين الآيتين علاقة تكامل، و يلاحظ في هذا الشأن أنّه قد سبق في السورة ذكر أحكام الاستئذان على البيوت، و هنا تبين أحكام الاستئذان داخل البيوت [2] .

كذلك << سبق الأمر بإخفاء زينة النساء منعا لإثارة الفتن و الشهوات، فعاد هنا يستثني من النساء القواعد اللواتي فرغت نفوسهن من الرغبة في معاشرة الرجال و فرغت أجسامهن من الفتنة المثيرة للشهوات >> [3] .

و مع ذلك ترتبط هذه الآية بما قبلها، لأنّ القضايا تتعالق فيها في عوالم متعالقة ففي استئذان الخدم، و الأطفال، و تعفف النساء، ترتبط القضايا، و العوالم التي تنتمي إليها.

كذلك الأمر حين تشير الآية التي بعدها إلى بيان آداب الأكل من بيوت الأقارب، و الأصدقاء، تنظيما للعلاقات و الروابط الأسرية، و حفاظا على عفة المجتمع الإسلامي. فالقضايا تتعالق بما قبلها، و بما بعدها، و تبقي على انسجام النص و تلاحمه .

---

(1): البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات و السور، ج : 5 ، ص : 272 .
(2) : انظر ، سيد قطب ، في ظلال القرآن ، المجلد 4 ، ص : 2532 .
(3): المصدر نفسه، المجلد 4، ص: 2532 – 2533.

أكثر من هذا تتعالق المحمولات في (الآية 61) ، فبعد أن ترفع الحرج عن الأكل من بيوت الآباء، و الاخوة، و الأصدقاء، تبين الآية الحالة التي يجوز عليها الأكل، ثم تبين آداب دخول البيوت. أمّا المجموعة الثالثة و هي خاتمة السورة فتبدأ

بقوله تعالى :

{ إنّمَا المُؤمِنُونَ ٱلّذِينَ أمَنُوا بِاللهِ وَ رَسُولِهِ وَ إذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أمرٍ جَامِعٍ لمْ يَذهَبُوا حَتّى يَستَأذِنُوهُ إنَّ الّذِينَ يَستَأذِنُونَكَ أولَئِكَ ٱلّذِينَ يُؤمِنُونَ بِاللهِ وَ رَسُولِهِ ... } (الآية 62)

و تبدو العلاقة بين المجموعة الثانية والخاتمة في انتقال الآيات: << من تنظيم العلاقات بين الأقارب و الأصدقاء، إلى تنظيمها بين الأسرة الكبيرة ... أسرة المسلمين، و رئيسها، و قائدها محمد رسول الله عليه الصلاة و السلام، و إلى آداب المسلمين في مجلس الرسول >> [(1)] .

فالعلاقة بين الآيات علاقة انتقال من العام إلى الخاص، فيها من الآداب النفسية التي تهدف إلى تنظيم العلاقة بين الجماعة، و القائد ، توقيرا له و شعورا بالهيبة أمامه .

و لذلك تتعالق المحمولات في الآيات الأخيرة التي تؤكد المعنى السابق، من الاستئذان، و مناداة النبي - صلى الله عليه و سلم- و دعائه، و تختم الآيات بالنهي عن مخالفة أمر النبي- صلى الله عليه و سلم-، لأن الله يعلم ما في السماوات و الأرض و ما تسره الأنفس، و ما تعلنه :

{ وَ اللُه بِكُلِّ شَيءٍ عَلِيمُ } (الآية 64)

يلاحظ أن السورة بدأت بالأحكام و اختتمت بالأحكام، فكانت سورة تشريعية تتميز بدقة الأداء اللفظي، و الترتيب الموضوعي، و الصياغة التي لا تدع مجالا للشك أو الغموض [(2)] .

كما نلمح فيها ترتيبا حكيما للأحكام التي تعددت و تنوعت، لكنّها تعالقت و تكاملت، كما سيتبين ذلك أكثر من خلال البنية الكلية للسورة .

---

(1) : المصدرالسابق ، المجلد 4 ، ص : 2534 .
(2) : المصدر انفسه ، المجلد 4 ، ص : 2533.

4 – البنية الكبرى لسورة النور :

بعد الاهتمام بأوجه العلاقات بين الآيات، لابدّ من الوقوف على أوجه الترابط الدلالي التي ينبني عليها النص، بوصفه كلا متكاملا، و يعتمد تحليل النص في هذا الجانب على بنيته الكبرى، التي تستطيع أن تحدد انسجامه الكلي، و تمنحه نصيته .

إن الانسجام في السورة ذو طبيعة دلالية، مهما تدخلت فيه العمليات التداولية يبدأ أولا بتفسير كل آية تفسيرا خطيا داخليا. ثم ينتقل التفسير إلى مستوى ثان ينظر إلى النص في وحدته، و تكامله .

<< أما كيفية تحديد البنية الكبرى للنص، فإنّه من الملاحظ أن القراء يختارون من النص عناصر مهمة، تتباين باختلاف معارفهم و اهتماماتهم أو آرائهم و عليه يمكن أن تتغير البنية الكبرى من شخص إلى آخر >>[1] .

و بالرغم من ذلك فقد اتفق المفسرون حول الكثير من القضايا الواردة في النص القرآني، و كان اختلافهم اختلافا جزئيا، لا يمس جوهر البنية الكبرى لكل سورة من سور القرآن الكريم.

و تتميز البنية الكبرى في النص القرآني بصعوبة التحديد، لأنّه يصعب أن يختزل كلام الله في جملة واحدة، أو أكثر.

فما هي المعلومات الجوهرية في السورة ؟ ، و ما هي المعلومات العرضية ؟ ، كما أن البنية الكبرى في النص القرآني، تحمل خصوصية تفرض طريقة معينة للوصول إليها .

يلاحظ بداية أنّ البنية الكبرى للسورة ترتبط بالقضايا الواردة في الآيات من خلال القواعد الكبرى، هي كما حددّها" فان دايك" : الحذف و الاختيار و التعميم و التركيب.

لكن البنية الكبرى في السورة ترتبط ارتباطا وثيقا بموضوع الآيات الكلي - تجيب عن سؤال مهم :

عمّ تتحدث عنه الآيات ؟ و ما الهدف منها ؟ .

لذلك يمكن اللجوء إلى تلخيص القضايا الواردة في الآيات، من خلال أهم المحاور التي تتطرق إليها، و من خلال الكلمات المفاتيح أيضا.

---

(1) : صلاح فضل ، بلاغة الخطاب و علم النص ، ص : 256 .

فنجد أنّ السورة تتميز بوجود مختلف الأحكام ، حددت في تسعة أحكام [1]:

1- أحكام الزنا .

2- أحكام القذف .

3- أحكام اللعان و الملاعنة.

4- أحكام الاستئذان.

5- أحكام غض البصر وحفظ الفرج .

6- أحكام في النكاح .

7- أحكام في المكاتبة .

8- أحكام في البغاء .

9- أحكام في الإيمان و التوحيد .

تتتابع هذه الأحكام وفق ترتيب دقيق، يكشف عن هدف الآيات، و بنيتها الكبرى و انسجامها، لأنّ هذه الأحكام رغم تنوعها، ترتبط فيما بينها، و تتكامل.

تبدأ الآيات بإعلان قوي شديد لما تحمله السورة من حدود، و من آداب، فبداية السورة، و عنوانها يمكن أن يلخصا تيمة النص (موضوعته)، كما يتضح لاحقا.

تترابط الأحكام فيما بينها، بحيث تبدأ بذكر حدّ الزنا، و تفظيع هذه الجريمة لأنّ الإسلام لا يعتمد على العقوبة، بقدر ما يهتم بالإجراءات الوقائية التي تحافظ على عفة المجتمع الإسلامي. تنتقل بعد ذلك إلى أحكام القذف، و تقدم الآيات مثالا من بيت النبوة. و هو إجراء وقائي أول يعمل على حفظ الأعراض من الألسنة، ثم تتوالى الإجراءات الوقائية التي تحفظ المجتمع الإسلامي .

---

(1) : انظر ، محمد كامل ، قبسات من سورة النور ،دار النهضة العربية، بيروت ، 1981. ص : 100 .

فشرّع الله تعالى آداب الاستئذان، و غض البصر، و حفظ الفرج، و شجّع على انكاح الآيامى، و حذّر من إكراه الفتيات على البغاء، فالعلاقة بين هذه الأحكام علاقة بين إجراءات وقائية، تكمل بعضها بعض، و قبل أن تعود آخر السورة إلى ذكر مثل هذه الإجراءات الوقائية، تذكّر آيات أخرى بنور الله في السماوات و الأرض .

لذلك فإنّ موضوعة السورة كلها هي أحكام تشرّع للمجتمع الإسلامي، و تصل القلب بنور الله في هذا الكون الفسيح، إنّها آداب أخلاقية .

<< تتداخل فيها الآداب النفسية الفردية، و آداب البيت، و الأسرة، و آداب الجماعة و القيادة، بوصفها نابعة كلها من معين واحد هو العقيدة في الله، متصلة كلها بنور واحد هو نور الله >> [1] .

و الدليل على ذلك أن مطلع السورة أشار إلى البنية الكبرى فيها في قوله تعالى :

{ سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَ فَرَضْنَاهَا وَ أَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُم تَذَكَّرُونَ }(الآية 1)

تؤكد على أهمية الاعتناء، بما سيرد من أحكام و تكاليف. فالوظيفة المعرفية لمثل هذا المطلع أنّه يمنح على وجه مباشر البنية الكبرى للسورة، بدل أن تترك تركيب البنية الكبرى لحس المستمع – القارئ - فنستعمل عملية الفهم و استعاب النص [2] ، خاصة أنّها أتت على نحو بارز ، في بداية قوية، و مطلع فريد.

صحيح أنّ البنية الكبرى لأي سورة تختلف باختلاف التفسير و التأويل و باختلاف المفسرين، و المواقف، و السياقات، إلاّ أنّه اختلاف لا يتجاوز حدود الصياغة في الكثير من الأحيان .

المهم أن انسجام النص في المستوى الدلالي، و انسجام المقاطع في هذه السورة، يتعين أيضا من خلال البنية الكبرى لها، ذلك أنّ الانسجام الدلالي الأفقي في سورة النور، و الانسجام الكلي الذي تبين من خلال البنية الكبرى لها، جعل السورة تبدو كالكلمة الواحدة في تلاحمها و اتساقها، و هو يمثل روح النظم القرآني كله.

---

(1) : سيد قطب ، المجلد 4 ، ص : 2486 .

(2) : انظر ، فان دايك ، النص و السياق ، ص : 208 .

الفصل الثالث:

الانسجام

و تداولية الخطاب

في سورة << النور>> :

- خصائص السياق القرآني في سورة "النور"
- السياق الخارجي في سورة " النور"
- البعد البراغماتي للصورة الفنية في سورة "النور"
- البنية العليا للسورة

إنّ أول ما يعني مصطلح البراغماتية من البراغما ، هو الفعل Action، لذلك تهتم بتحليل الخطاب من خلال رد فعل القراء -إزاء هذا الخطاب، و تعمل على إبراز الجانب العملي، و الفعّال من الإنسان، بتأثير المعرفة، لأنّ الفعل يصبح هو هدف المعرفة [(1)] .

إنّ الشخص عندما يقدم رسالة، ينجز في الوقت نفسه أفعالا كلامية، فقد يعد أو يتوعد أو يرجو ... ، كما أنّه يستطيع أن يغير من قناعات المستمع و سلوكه.

أي أنّ الخطاب هو ظاهرة تداولية، يتكون من مجموعة متنوعة من أفعال الكلام هي الأفعال الكلامية النفسية، و الثقافية، و المعرفية، و الاجتماعية .. . حسب طبيعة الفعل الكلامي، و وظيفته التأثيرية التي تغلب عليه، وتهتم التداولية بشروط نجاح هذه الأفعال في حدود مكونات السياق.

لكن السياق ليس مجرد حالة لفظ، و إنّما هو على الأقل متوالية من أحوال اللفظ، و فضلا عن ذلك، لا تظل المواقف متماثلة في الزمان، و إنّما تتغير من حالة ابتدائية و أحوال وسطى و حالة نهائية [(2)] .

و ترتبط شروط نجاح أفعال الكلام بالحالة النهائية غالبا، كذلك تتجلى ديناميكية السياق في تنوعه من :

سياق من داخل النص، و يشمل الإطار التركيبي خاصة، حيث يشير إلى بداية الجملة، أو الفقرة، و وسطها، و نهايتها التي سبق الإشارة إليها .

و سياق خارج النص و يشمل :

- العصر
- نوع القول و جنسه .
- المتكلم أو الكاتب .
- العلاقة بين المرسل و المتلقي .
- سياق الموقف و الظروف المحيطة بإنتاج النص .

و ينفرد السياق القرآني بخصوصيته ، تجعله يتميز عن غيره من السياقات و الخطابات، ذلك أنّ الخطاب هو الذي يفرض سياقه الخاص.

---

(1) : J.M.Adam . Linguistique Textuelle ،P:119.

(2) : انظر ، فان دايك ، النص و السياق ، ص : 258 .

1 – خصائص السياق القرآني في سورة النــور :

1 ـ 1 ـ خصائص السياق القرآني :

يهتم السياق الخارجي بالمتكلم، و بزمان و مكان إنتاج النص، كما يهتم بالمتلقي، و نوع الرسالة ... و يراها عناصر أساسية، تدخل ضمن تشكيل السياق و تساهم في تأويل النص، و فهمه.

و يتميز السياق القرآني بأنّ المرسل فيه هو الله تعالى . و المتلقي الأول للرسالة هو جبريل عليه السلام، و المتلقي الثاني هو محمد رسول الله- صلى الله عليه و سلم- ، و المتلقي الثالث هم الناس في عهد رسول الله ، و من جاء بعدهم من البشر .

الباعث

- متلق **1** : جبريل عليه السلام – واسطة .

الله تعالى .

- متلق **2** : محمد رسول الله ρ

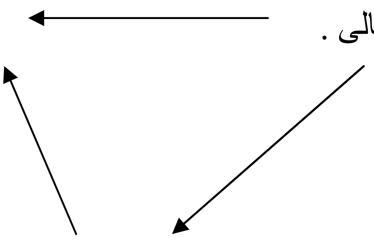

- متلق 3 : الناس من عهد ا

لـ
ر
سـ
و
ل

إ
لـ
ى

يـ
و
م

ا
لـ
قـ
يـ
ا
مـ
ة

الرسالة — القرآن —

إنّ القرآن الكريم يعرف بأنّه رسالة إلى البشرية جمعاء، منذ بعثة النبي - صلى الله عليه و سلم- إلى أن يرث الله الأرض و من عليها، فالبث من هذا الاعتبار متصل على وجه الأبد (...)، ممّا يجعل هذه العلاقة ترقى إلى ما فوق الزمنية التاريخية و التاريخانية[1]

(1) : انظر ، عبد الملك مرتاض ، نظام الخطاب القرآني ، ص : 7

1 – 1 – 1 – ارتباط التلقي بظاهرة الوحي :

الخطاب القرآني رسالة الله إلى أهل الأرض، من خلال عملية الوحي، و هي صلة روحية، تتحقق بتنزيل جبريل عليه السلام على خاتم النبيين محمد -صلى الله عليه و سلم .

و كانت كيفيات الوحي تختلف فيما بينها، ففي أول تلق للرسالة يغط جبريل النبي صلى الله عليه و سلم، ثم يرسله. و يجد النبي في ذلك من الجهد، و الخوف ما يجد[1].

والتأمل في كيفية الوحي يبرز بعض الحقائق، و الأسرار التي تؤكد صدق النبوة. يتبين ذلك من خلال التحليل النفسي الموضوعي لظاهرة النبوة نفسها :

-1-<< إنّ القرآن الكريم له وجود مسبق، قبل التنزيل، و الفرق بين التنزيل و الإنزال أنّ –التنزيل هو نقلة مادية، حصلت خارج الوعي الإنساني و الإنزال هو نقل من غير المدرك إلى المدرك>>[2] وهو ما يعني أنّ ظاهرة النبوة مستقلة عن الإرادة البشرية، و الأنبياء أنفسهم، كما يبينه التاريخ لبشري

-2- االتحضير النفسي لشخص النبي – صلى الله عليه و سلم- لتلقي الرسالة السماوية ، التحضير من خلال الرؤيا الصادقة ، التعبد و التحنث ، و حب الخلوة بالنفس في الغار للتأمل، ومناداة الحجر، و الشجر له بنبي الله.

-3- توضع الذات المحمدية منذ الوحي الأول في مقام المخاطب الأول و ينزل الوحي على ذات مخاطبة، تؤديه واسطة عن الذات المتكلمة، تستعمل هنا مباشرة اللغة الإلهية لتأمر بالقراءة أميا، لا يتخيل نفسه قارئا، و هو لهذا قد اضطرب و أجفل[3] .

- 4 – لم يكن الوحي هينا على شخص النبي -صلى الله عليه و سلم ، لما وجد من جهد و مشقة و خوف ، فالأمر بالتلقي كان بقوة .

- 5– لم يكن الوحي ظاهرة نفسية، أو ما يعرف بالظواهر الباطنية، أو نتيجة لازدواجية الشخصية، أو الإلهام النفسي، كما أنّه ليس حالة بين النوم و اليقظة.

---

(1) : انظر ،أبو عبد الله بن إسماعيل البخاري ، صحيح البخاري ، تخريج و ضبط : صدقي جميل ، الحديث 4953 ص : 341 .

(2) : محمد شحرور ، الكتاب و القرآن ، شركة المطبوعات ، ط:7 ، سورية –2004- ص:152-153.

(3) : مالك بنبي ، الظاهرة القرآنية ، ص : 143-160 .

- **6**- يظل النبي - صلى الله عليه و سلم- واعيا، و ذاكرته منتبهة، و قد يبذل مجهودا ذهنيا من أجل حفظ ما يتنزل عليه. إلى أن أنزل قوله تعالى :

{ لاَ تُحَرِّك بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إنّ عَلينَا جَمعَهُ وَ قُراءنَهُ * فإذَا قرَآنَهُ فَاتَبِع قُراءنَهُ } (القيامة : 18 – 19 – 20) .

-**7**- سمو الخطاب القرآني عن الذات المحمدية، و استقلاليته عنه، و هو ما يؤكد المصدر الإلهي للقرآن الكريم(*)، يظهر ذلك بشكل جلي في مواقف عتاب الله نبيه –صلى الله عليه و سلم – كقوله تعالى :

{ عَبَسَ وَ تَوَلَّى أنْ جَاءَهُ الأعْمَى } (عبس 1-2)

و قوله :{ وَ تَخشَى النَّاسَ **وَ اللهُ أحَقُّ أنْ تَخْشَاهُ** } (الأحزاب37)

وموقفه من حادثة الإفك، فقد صبر على آذى المنافقين شهرا كاملا، قبل أن ينزل الوحي ليبّرئ عائشة – رضي الله عنها - و يسكت ألسنة السوء .

- **8**- تحدّي القرآن الإنس والجن في كل مكان، و في كل زمان، وكلما تقدم الزمن تجددت وجوه الإعجاز فيه: **{ سَنُريهم آيَاتِنَا فِي الآفَاق وَفِي أنفُسِهم حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُم أنَّهُ الحَقُّ، أوَ لَمْ يَكفِ بِربِكَ أنَّهُ عَلى كُلِّ شَيءٍ شَهيدٌ }** (فصلت 52)

-**9**- تتجاوز الظاهرة القرآنية بتفردها متلقي الرسالة النبي محمد-صلى الله عليه و سلم- كما أنّها تتجاوز واقع المجتمع الثقافي، و الاجتماعي الذي أنزلت فيه.

-1 – 1 – 2 – تجاوز معطيات الواقع الثقافي و الاجتماعي :

ارتبط الواقع الثقافي و الاجتماعي للظاهرة القرآنية بمعرفة مناسبة النزول فمن القرآن ما أنزل ابتداء، دون أن يكون مرتبطا بأحداث أو أسباب، و منه ما أنزل إجابة عن سؤال، أو تبعا لحادثة.

(*) :ألفت كتب كثيرة تتناول ظاهرة النبوة و دلائلها انظر ،أبوبكر بن الحسين البيهقي، دلائل النبوة ومعرفة أصحاب الشريعة، تعليق عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية ، ط1 بيروت ،1985، ج 1 ،ص: 365 إلى384 .

لكن لا يعني البحث في أسباب النزول، الخوض في بحوث التاريخ ، بل إنّ معرفة أسباب النزول يصبو لأهداف.

أهمها :

- تيسير استنباط الأحكام الشرعية .

- تيسير فهم الآية، لأنّ العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب، قال الشيخ أبو الفتح القشيري : << بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني الكتاب العزيز >>.[1]

- تخصيص الحكم الشرعي انطلاقا من القاعدة الفقهية التالية: إنّ العبرة بخصوص السبب لا بعموم اللفظ .

-إزالة البس و الإشكال عن بعض الآيات عند تفسيرها، و هو ما يهيء لهذا التفسير جوا علميا للدراسة.

و رغم كل ما سبق فإنّ الخطاب القرآني تعالى عن مناسبة نزوله، لأنّه لم يكن تعبيرا عن المجتمع العربي في بيئة بدوية محلية ضيقة .

فآيات كثيرة كانت تصويرا لملكوت الله في السماوات و الأرض، أو تصويرا للنفس البشرية أو بناء لها. و آيات أخرى قصص، و عبرة عن أقوام آخرين و آيات كثيرة ذكرا للحياة ما بعد الموت.

و هو ما جعل الخطاب القرآني يعلو عن الزمان، و المكان البشريين. فيخاطب الإنسان بشكل يتناسب، و البيئة التي يعيش فيها، و يصوّر مختلف المسائل لكل الأجيال في مختلف الأمصار و العصور، و سمو الخطاب القرآني عن الزمان و المكان جعله يفرض سياقه الخارجي الخاص به، كما جعله نصا خالدا عبر الأزمنة و العصور .

أمّا ارتباط آيات معينة بأسباب النزول، فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، أي أنّ حكم هذه الآيات يتجاوز الأشخاص الذين أنزلت فيهم إلى من كان في مثل ظروفهم.

---

(1) : الزركشي ،البرهان في علوم القرآن ،ج1 ، ص: 22.

و لا يعني ارتباط بعض الآيات بمناسبات نزولها، أنّ الخطاب القرآني هو ثمرة للتفاعل مع الواقع الاجتماعي و النفسي و الثقافي، لاستقلالية هذا الخطاب عن الواقع، فله وجود سابق في اللوح المحفوظ، و هو ما يجعل النص معطى سابقا كاملا مكتملا ، أنزل بقوة إلاهية لا قبل للبشر بها، و ليس صحيحا أنّ ذلك يؤدي إلى القضاء على جذوره الناتجة عن علاقته بالواقع، و جدله مع الواقع، كما يرى ذلك بعض الباحثين[1] لسببين رئيسيين هما :

-1- أنّ النص القرآني نص مقدس، ليس كغيره من النصوص.

-2- ليس من معايير النصية ارتباط النص بواقعه ..

إنّ ممّا يمنح للخطاب القرآني خصوصيته، و خصوصية السياق فيه تجاوزه للواقع و للبيئة البدوية العربية التي تلقى فيها النبي- صلى الله عليه و سلم- الرسالة السماوية المقدسة .

1 – 1- 3 – من التلقي إلى الفعل :

تلقى المسلمون القرآن عن النبي-صلى الله عليه و سلم- مشافهة، و كان الواحد منهم يحرص على فهمه، و حفظه، و تطبيقه، فكان التلقي في عهد النبي - صلى الله عليه و سلم- مقترنا بفعل الإنجاز، و كانت المعرفة لا تنفصل عن الفعل لحظة واحدة. لأنّ القرآن بالنسبة للصحابة منهج حياة ارتبطت الإرادة فيه بالتنفيذ.

يؤّكد ذلك القرآن الكريم نفسه و التاريخ الإسلامي، و المثال التالي تبيان لهذه العلاقة الوطيدة بين المعرفة و الفعل، و بين الإرادة و التنفيذ :

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال :

<< كنت أسقي أبا عبيدة، و أبا طلحة، و أبي بن كعب من فضيخ زهو، و تمر فجاءهم آت فقال :{ إنّ الخمر قد حرمت} ، فقال أبو طلحة :{ قم يا أنس فأهرقها} فأهرقتها >> [2] .

(1) : انظر ، نصر حامد أبو زيد ، مفهوم النص ، المركز الثقافي العربي ، ط4، الدار البيضاء 1998 ص : 87 .

(2) : البخاري ، صحيح البخاري ، الحديث 5582 ، ص : 1430 .

إنّ الحديث السابق لا يكاد يفصل زمنيا بين فعل كلام :

- أول : الأمر بإهراق الخمر

- ثان : تنفيذ الأمر الإلهي .

فقد اهتم القرآن الكريم بالإقناع، و التأثير، ثم التغيير، فكانت أفعال الكلام أفعالا ديناميكية، تمرّ بمراحل لتنتهي في الأخير بتحقيق النجاح، ذلك أنّ نجاح أفعال الكلام مقترن، بما تحصل عليه عبارة المتكلم من نتائج في المقام الأول بنوع التغيرات الحاصلة في المخاطب ذاته، و على نحو أخص بنوع التغيرات الحاصلة في معارفه و قناعاته [1] .

فكان من ثمرات ذلك تكوين حضارة ركيزتها الأساس النص القرآني،لأنّ مظاهر التأثير النص القرآني تجلت في الواقع، و اقترنت بفهم النص، و تطبيق ما جاء فيه، ثم أثمرت إبداعا و نبوغا، من أمثلة ذلك أنّ :

<< أسلافنا كانوا يقرءون و يؤّولون لا للمتعة وحدها، و لا لإثبات مهاراتهم في استنباط القراءات اللامتناهية، و إنّما كانوا يهدفون بقراءاتهم، و تأويلاتهم إلى توجيه التاريخ، و المساهمة في صنعه .>> [2] .

لم يرتبط فهم القرآن بتطبيق ما جاء فيه فقط، بل تجاوزه ذلك إلى تأويله و تفجير طاقات الإبداع في الشخص المسلم، و كانت القرون الأولى من هذه الحضارة تهتم بتفسير القرآن، و تأويله.

و كان من نتيجة ذلك أنّ كل مظاهر الثقافة اللغوية، نشأت و ترعرعت في كنف التفسير .

<< و كان الشعور بروعة اللغة جزءا أصليا من التفسير ، و كانت الروعة لا تنجلي بمعزل عن فكرة الهرم يصعد فيه الإنسان، ثم يعود بعد ذلك إلى قاعدته، كان التفسير أداة تجلية شموخ اللغة و تعالى طبقات منها فوق طبقات >> [3] .

---

(1) : انظر ، فان دايك ، السياق و النص ، ص : 265 – 266 .

(2) : محمد مفتاح ، التلقي و التأويل ، ص : 8 .

(3) : مصطفى ناصف ، اللغة و التفسير و التواصل ، عالم المعرفة ، إصدار المجلس الوطني للثقافة و الفنون الكويت 1995 ، ص : 90 .

و كان القارئ المفسّر أو المّؤول للخطــاب القرآني، قارئا فعّالا، لم يقف عند قراءة واحدة، و لم يتغاض عن قصدية النص التي تخضع لسلطة النص أولا باعتباره كلا منسجما، و كثيرا ما يعطي التأويل لجزئية نصيـة ما يجب أن يثبته جزء آخر من النص نفسه، فكــانت قصـدية النص تفرض نفسها على قصدية القارئ [(1)] .

لم يفصل القارئ المفسر، أو المؤّول الخطاب القرآني عن سياقيه الداخلي و الخارجي، فكان عند الشرح اللغوي للكلمات يربطها بسياقها اللغوي، بل قد يعود إلى أصلها الدلالي. و دلالاتها المتعددة ، فيقف عندها .

كما يربط الآية بسياقها الخارجي، فيأتي التفسير أو التأويل متتبعا لوحدات النص و جزئياته. و قد يتعدى الأمر إلى انسجام النص كله .

المهم أنّ الخطاب القرآني، كان خطابا للتأثير و التغيير، فقد استطاع أن يغير التركيبة الذهنية للإنسان العربي، فيغير سلوكه و قناعاته و حياته، و كان من أسباب نجاح أفعال الكلام في هذا الخطاب :

1- علاقة المؤمن بالخطاب القرآني : علاقة حب و اقتناع .

2- إيجاد القدوة العملية في شخص النبي- عليه الصلاة و السلام -.

و بناء على ما سبق يمكن تلخيص أهم خصائص السياق القرآني في :

1 - خصوصية التلقي لارتباط التلقي بظاهرة الوحي .

2 - استقلالية الخطاب القرآني عن أسباب النزول، و الواقع الاجتماعي و الثقافي، والنفسي الذي ظهر فيه.

3 - نجاح الفعل بسبب المعرفة و الإرادة، و اقتران ذلك بالتغيرات التي تدرك في المخاطب المسلم، الأمر الذي مهّد بعد ذلك لتكوين حضارة .

لذلك ليس هناك من خطاب عبر تاريخ البشرية الطويل، استطاع أن يؤّثر و أن يغير، و أن تتحول الأفعال الكلامية إلى أساليب نجاح، مثلما عرف ذلك عن القرآن الكريم كتاب الله الذي أنزل من فوق سبع سماوات .إلى البشرية جمعاء .

---

(1) : انظر ، امبرتوايكو ، التأويل بين السيميائيات و التفكيكية ، تر. سعيد بنكراد ،ط1، المركز الثقافي العربي 2000 ، الدار البيضاء ، ص : 79 .

2 - السياق الخارجي في سورة النـــور :

أنزلت سورة النور في القرن السادس الهجري[(1)] ، و هي سورة مدنية تتناول كغيرها من السور المدنية، قضايا التشريع للأمة الإسلامية، التي لا يمكن تطبيقها إلاّ في ظل نظام إسلامي حاكم .

من هنا يتبين سر من أسرار نزول القرآن منجّما و هو تربية النفس البشرية و تزكيتها من جهة ، و بناء الأمة الإسلامية بشكل مرحلي متدرج، ليكون التغيير المرحلي التدريجي و بناء النفس الإسلامية سببا في بعث الحركة الاجتماعية و الروحية التي مهّدت لبناء الحضارة الإسلامية .

فسورة النور مثلا ارتبطت أسباب نزولها، بزمن الفتنة و محاولة النيل من بيت النبوة، فكانت تلك الأسباب من دواعي تطهير المجتمع الإسلامي من الرذيلة و الفاحشة، و تربيته على العفاف و الطهارة .

<< انظر إلى الظروف التي نزلت فيها هذه السورة، و انظر في الجانب الآخر في ما تشتمل عليه من الموضوعات، تعرف أي طريق معتدل انتهجه الله تعالى في هذه السورة للتشريع، و تنزيل أحكامه القويمة وتعليماته[(2)].

أنزلت سورة النور تبّرئ عائشة أم المؤمنين- رضي الله عنها -، بعد حادثة الإفك الذي تولاه عبد الله بن أبي ابن سلول رأس المنافقين في المدينة، وأنزلت تقيم الحدود، و تجيب عن تساؤلات بعض الصحابة في مسائل أسرية و اجتماعية .

و الجدول التالي يلّخص مناسبات النزول لبعض آيات السورة تباعا [(3)] .

---

(1): انظر ، ابو الحسن علي بن أبي كرم ، ابن الأثير ،الكامل في التاريخ ، دار الكتب العلمية ط :3 ، بيروت 1998، المجلد : 2 ، ص 83 .

(2) : المودودي ، تفسير سورة النور ، ص : 33 .

(3) : انظر ، البخاري ، صحيح البخاري ، كتاب تفسير القرآن ، تفسير سورة النور ، الأحاديث رقم 4745 إلى 4759 .

الموسوعة القرآنية الشاملة – C D Rom

التفسير انظر أسباب النزول للسيوطي .

انظر أيضا ، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري ، أسباب النزول ، تحيق السيد الجمبلي، ط: 7 دار الكتاب العربي بيروت 1999 ، ص 261إلى 278

الآيــة	فيمن نزلت	الحديث الدال على ذلك
الزانـــي لا يـــنكح إلاّ زانيـــة أو مشركة (31)	أم مهزول و أحد من أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام	أخرجـه النـسائي عـن عبـد الله ابن عمرو
و الــذين يرمــون أزواجهــم .. (4 إلى 7) .	عويمر	أخرجـه البخـاري ، عـن سـهل بن معاذ
و يدرؤا عنها العذاب أن تشهد أربع ... (8 – 9) .	هلال بن أمية	أخرجـه البخـاري عن عكرمـة عن ابن عباس
إنّ الذين جاءوا بالإفك عصبة (11)	بن أبي سلول	أخرجـه البخـاري عـن عـروة عـن عائـشة عنهـا : و الـذي تولى كبره ، قالت : عبد الله بن أبيّ ابن سلول .
لـــولا إذا ســـمعتموه ظـــن المؤمنـــون ... الكـــاذبون (12 – 21)-	عائـشة أم المـؤمنين رضـي الله عنها .	أخرجه البخاري عن عتبـة بـن مسعود عن حديث عائشة .
و لا يأتل أولوا الفضل (22)	أبو بكر رضي الله عنه	أخرجه البخاري عن هشام بـن عـروة عـن عائـشة رضـي الله عنها ، و السعة أن يؤتـوا أولـي القربـى و المـساكين يعنـي مسطحا .
الخبيثـات للخبيثـين و الطيبـات للطيبين (26)	عائشة –رضي الله عنها-	أخرجـه الطبـري بـسند رجالـه ثقات عن عبد الرحمان بن زيد
يـا أيهـا الـذين آمنـوا لا تـدخلوا بيوتـــا غيـــر بيـــوتكم حتـــى تستأذنوا (27)	امرأة من الأنصار	أخرجـــه الغريـــابي و ابـــن جريرعن عدي بن ثابت
و الذين يبتغون الكتاب (33)	حويطب بن عبد العزى	أخرجه ابن السكن في معرفـة الـصحابة عــن عبــد الله بــن صبيح عن أبيه
و لا تكرهـــوا فتيـــاتكم علـــى البغاء (33)	عبد الله بن أبي	أخرجه مسلم عن طريـف أبـي سفيان عن جابر

الآيــة	فيمن نزلت	الحديث الدال على ذلك
وعد الله الذين آمنوا منكم(55)	صحابة رسول الله -صلى الله عليه و سلم-	أخرجه الحاكم و صححه الطبراني عن أبي بن كعب
لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا (63)	رسول الله صلى الله عليه و سلم و صحابته	أخرجه أبو نعيم من طريق الضحاك عن ابن عباس . قال كانوا يقولون يا محمد , يا أبا القاسم , فأنزل الله لا تجعلوا دعاء الرسول

يتبين من الجدول السابق طبيعة السياق في السورة، فقد ارتبطت بعض آيات السورة بأسباب نزولها، و كان ارتباطها بمناسبة محورية هي حادثة الإفك، التي تفرعت عنها جلّ الأسباب الأخرى .

لذلك كان السياق سياقا ديناميكيا واقعيا، ساعد على تحديد بنية الخطاب و ساعد على تفسيره أيضا .

لكن قبل ذلك، لابدّ من الكشف عن العلاقات بين البنية المتوالية للخطاب و بين البنية الخطية للسياق، أي بين متواليات الآيات، و متواليات الأفعال الكلامية فيها.

يمكن الكشف عن هذه المتواليات ابتداء من أدوات الربط الموجودة في النص مثلا : الحكم المثبت (الإثبات و التقرير)، قد يتبعه تفسير أو إضافة معنى زائد، كما يتبع الإثبات تصحيحا، أو خيارا بديلا، أو قد يعقبه حكم مثبت إنكارا أو تناقضا P(1)P .

و تتميز سورة النور بتقديم رسالة سماوية لإنجاز أفعال كلامية، بل لإنجاز فعل كلامي كلي، يتفرع إلى أفعال كلامية أخرى. بحيث تبدأ السورة بصيغة الإثبات و التقرير : تقرر فرضية الأحكام، و التكاليف التي سترد في السورة كلها، و هو الفعل الكلامي الذي ستنبني عليه الأفعال الكلامية كلها في السورة .

و أول فعل كلامي هو الأمر بإقامة الحد على الزاني و الزانية، مع الأمر بعدم الرأفة بهما، و تشديد العذاب المعنوي بالأمر بحضور طائفة من المؤمنين تشهد عذابهما، و يتبع الأمر الإثبات، و التقرير قصد التحذير، و التنفير ، لأنّ "الزاني لا ينكح إلاّ زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلاّ زان أو مشرك ."

و يتضح من بداية السورة أنّ العلاقات بين الآيات ليست علاقات دلالية فحسب، بل هي علاقات براغماتية أيضا، لأنّ الربط بين الآيات هو ربط بين أفعال كلامية :
بين أمر إلهي بإقامة الحدود، و بين تبشيع الجريمة، لذلك غابت الروابط بين الآيات الثلاث الأولى، تنبيها للسامع المسلم آلاّ فصل بين الجريمة، و بين إقامة الحد على العاصي، و هنا يصبح للروابط البراغماتية في السورة دور خاص مرتبط أشد الارتباط بالسياق الذي وردت فيه.

من ذلك أيضا قوله تعالى :

{ لَولاَ إذْ سَمِعتُمُوهُ ، ظَنَّ المُؤمِنُونَ وَالمُؤمِنَاتُ بِأنْفُسِهِم خَيرًا } (الآية 12)

---

(1) : انظر ، فان دايك ، النص و السياق ، ص : 285

فقد جاءت لولا بمعنى هلا للتوبيخ و التنديم، بعد ما وردت في سياق عتاب المؤمنين و دخلت على الفعل الماضي .

و هو ما يبين أنّ الصيغة الفعلية، لا تدلّ وحدها على فعل الكلام، بل يظهر ذلك من خلال وظيفة الربط البراغماتية ، و في قوله تعالى :

{ **أَلاَ تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُم ..**} (الآية 22) .

تحبون فعل يدلّ على الأمر بتعلق زمنه بالمستقبل، لأنّه يطلب به حصول أمر لم يكن حاصلا من قبل.

تجليه الأداة "ألاّ" التي تختص بالمضارع، و تكون للعرض P[(1)]P.

و بناء على ما سبق، يتضح أنّ العلاقات الوظيفية بين أفعال الكلام يمكن تحديدها انطلاقا من أدوات الربط، و الأبنية النحوية، إلى جانب ذلك، فإنّ للتنغيم و للنبر السياقي (الذي يظهر من خلال إيقاع الجملة كلها) و الوقف دور في تحديد العلاقات السابقة، خاصة أنّ الأمر يتعلق بترتيل الآيات أكثر مما يتعلق بقراءتها .

و يبرز دور التنغيم و النبر و الوقف، عندما يتوارى المعنى الأصل ويتجلى المعنى التداولي.

تكررت صيغة الأمر في السورة كثيرا، و هو ما جعل الأفعال الكلامية تقوم جلّها على الأوامر الإلهية، و الأحكام التشريعية التي أنزلت من أجلها سورة "النور" .

و الملاحظ أيضا أنّ الأفعال الكلامية تتوالى بنظام محكم، بحيث أنّ كل فعل كلامي أول يمهّد للفعل الكلامي الذي يليه، فكان الأمر عادة ما يتبع بالتعقيب و الشرح و التقرير، إقناعا للمتلقي، ليكون تنفيذ الأمر عن رغبة و إرادة قصد تحقيق النجاح .

أمــر + تعقيب و شرح <== تحقيق النجاح في الأفعال الكلامية .

(1) : انظر ، أبو السعود حسنين الشاذلي ، العناصر الأساسية للمركب الفعلي و أنماطها من خلال القرآن الكريم ، دار المعرفة الجامعية ، القاهرة 1991 ، ص : 221 .

فهي أفعال كلامية تحفز على السمع و الطاعة .

إنّ سورة النور التي جاءت لتأمر بإقامة الحدود، و ضبط العلاقات الاجتماعية و الأسرية، كانت تعتمد في ذلك على أفعال كلامية تقوم على **الأمر** : تقوم على الحث و الترغيب من جهة. و التحذير و الترهيب من جهة أخرى. و أفعال الكلام في الخطاب القرآني بصفة عامة تجمع بين الترغيب و الترهيب. أمّا الأفعال الكلامية في الآيات الكونية، فتهدف إلى تغيير معارف الإنسان، لتكوين معارف جديدة. القصد من ذلك بناء عقيدته على الإيمان بالخالق عزّ و جل. و لذلك استطاعت هذه الأفعال أن تحقق نجاحا سيكولوجيا بما تنجزه من بناء للنفس الإنسانية، و نجاحا اجتماعيا بما يتجلى من تأثير و تغيير على مستوى الأعراف و التقاليد وا لقناعات الاجتماعية.

و كمثال عن الأفعال الكلامية التي يتعالق بعضها ببعض، الأمر بالحجاب في السورة الآية 31 . حيث اقترنت أفعال الكلام بعضها بعضا، و تعاقبت بشيء من التبعية، و أنجزت من خلال قول النبي- صلى الله عليه وسلم- . فكان اللقاء بين الرسالة السماوية و إنجاز فعل الكلام كما يلخصه الشكل التالي :

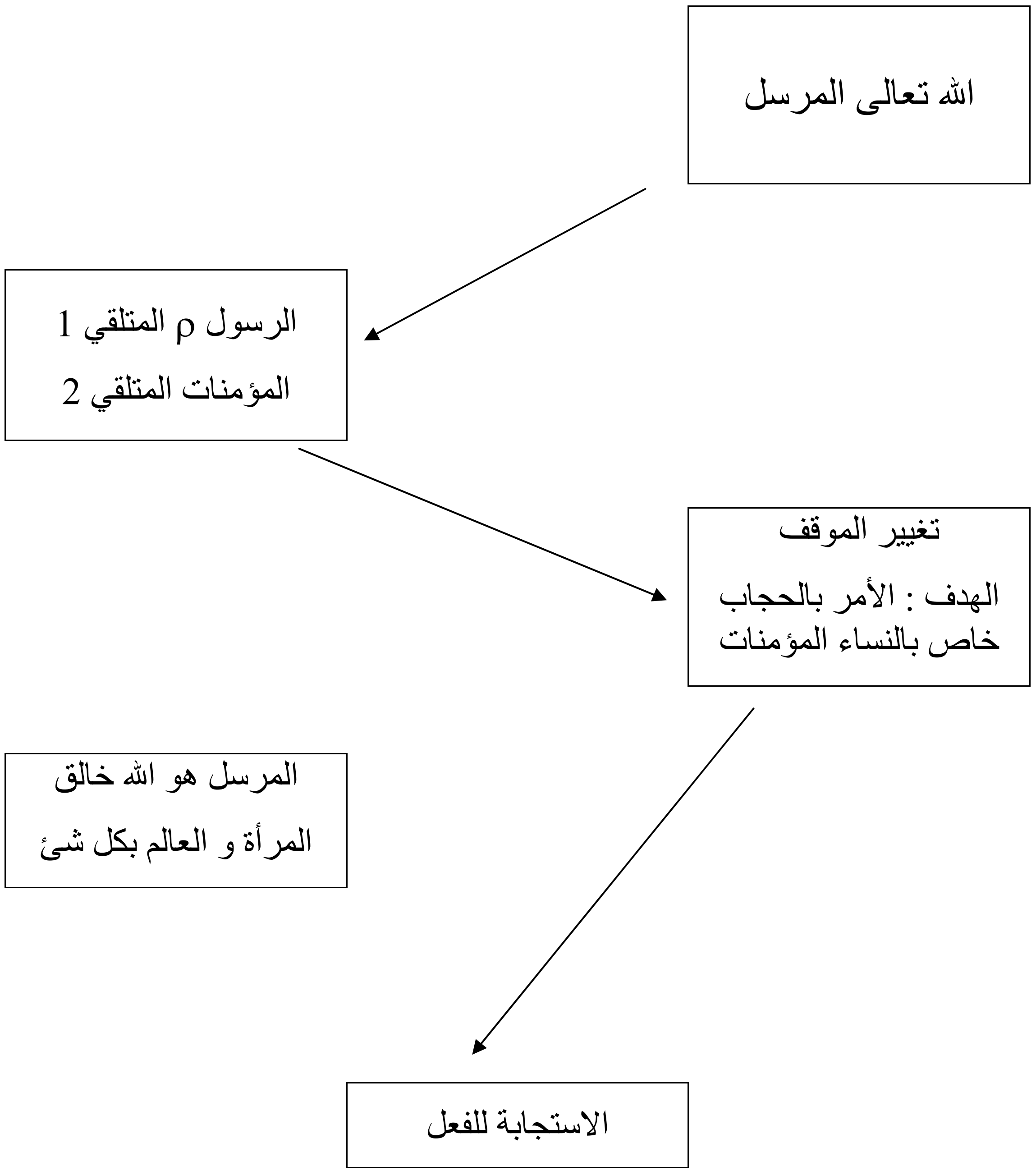
الله تعالى المرسل
الرسول ρ المتلقي 1
المؤمنات المتلقي 2
تغيير الموقف
الهدف : الأمر بالحجاب خاص بالنساء المؤمنات
المرسل هو الله خالق المرأة و العالم بكل شئ
الاستجابة للفعل

إنّ فعل الكلام في السورة يهدف إلى الإقناع بأسلوب يخاطب العقل و القلب معا، يتجلى ذلك في العديد من سياقات السورة، كقوله تعالى :

{ يَا أيّهَا ٱلّذِينَ أمَنُوا لا تَتَّبعُوا خُطُوَاتِ الشَّيطَانِ وَ مَنْ يَتَّبع خُطُوَاتِ الشَّيطَانِ فَإنّهُ يَأمُرُ بِالفَحشَاءِ وَ المُنكَرِ وَ لَوْلاَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُم وَ رَحمَتُهُ ، مَا زَكَى مِنْكُم مِّنْ أحَدٍ أبَدًا وَ لكِنَّ اللهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَ اللهُ سَمِيعٌ عَليمٌ } (الآية 21) .

إنّ فعل الكلام الأول في الآية السابقة جاء آمرا إلهيا بعدم اتباع خطوات الشيطان، و قد جاء بعد متواليات من أفعال الكلام، تدعو إلى إقامة الحدود على الزاني و الزانية، و الذين يرمون المحصنات المؤمنات .

كما جاء قبل متواليات من أفعال الكلام تدعو إلى طهارة المجتمع الإسلامي و عفّته، و هو ما يبين أنّ أي فعل كلام في السورة هو جزء لا يتجزأ من أفعال كلامية أخرى تكمل بعضها بعضا، و تتداخل من أجل فعل كلامي محوري هو فعل الكلام الكلي .

إنّ السورة كلها تقوم على متواليات من أفعال كلام، تعلّق بعضها بأوامر إلهية بالوعد و الوعيد و العتاب ... و غيرها، و كانت جلّها تدور حول فعل كلام واحد .

حتى أنّه يمكن الحديث عن أفعال كلامية شمولية، قامت على عناصر متداخلة و كان فعل الكلام الكلي : هو الأمر بعدم اتباع خطوات الشيطان الذي لخصّته الآية 21 من السورة .

يتأكد ممّا سبق أنّ العلاقة التداولية بين الخطاب في السورة و السياق، أدى إلى تكوين نسيج من الأفعال الكلامية قصد تحقيق هدف واحد.

برز بشكل واضح من خلال فعل كلامي كلي، جاء ليسهم في انسجام الخطاب القرآني .

3- البعد البراغماتي للصورة الفنية في السورة :

تتضافر الأصوات و الكلمات و الجمل في أي نص لتدل على روعة الإبداع و جمال النظم والتأليف، و حلاوة الإيقاع، لترسم بذلك صورة تدل على المعنى و توحي به .

و يتميز الخطاب القرآني بروعة النظم، و خصوصيته، تجعله يضفي إيقاعا عذبا على الخطاب، كما تجعله يعبّر بالصورة عن هدف النص و مراده .

وهكذا يتجلى دور كل من النظم و الخيال، و العبارة الموسيقية كعناصر أساسية للصورة، وإن كان العنصر الأصيل فيها عنصر النظم، إذ هو الذي يتيح الفرصة للجرس الموسيقي المعبر، و يفسح المجال للخيال الطلق الرحيب <<[1]

من هنا تميز الخطاب القرآني بجمال لا يكاد يفصل بين جمال الإيقاع و جمال الصورة لأهداف وظيفية تتعلق بالتأثير على القارئ، و تقريب الصورة له، خاصة إذا ما كانت صورة تحمل أبعادا تجريدية أو غيبية.

لذلك لا يمكن حصر وظائف الصورة الفنية القرآنية في نظرة محايدة بريئة لما تحمله هذه من أبعاد براغماتية، فإذا كانت أهم مهام البراغماتية مقترنة بنوع التغيرات التي تحدث في معرفة الخطاب، فإنّ الصورة الفنية تحقق ذلك إضافة إلى ما تحققه من أهداف جمالية فنية.

و تتميز سورة "النور" بتوظيف الصورة لهذه الأسباب، بشكل رئيسي، كما تتميز بإيثار التشبيه دون غيره من الصور، فأول صورة فنية في هذا النص القرآني -بعد العديد من الآيات -، هي تشبيه وردت في آية المشكاة، لتتتابع الصور و التشابيه بعد ذلك خاصة في المقطع الثاني، حيث يكون هدف الآيات التعريف بالخالق تعالى و بدلائل قدرته، بينما تراجعت في المقاطع الأخرى لهيمنة الأحكام عليها.

قد يكون سبب ارتباط الصورة بمعرفة الله عز و جل : أنّ معرفة الله تعالى هي غاية الغايات، و الوصول إليه هو الهدف الأسمى من الحياة، و المعرفة، و العلم فكانت الآيات الدالة على معرفة الله هي سر القرآن و لبابه الأصفى[2] .

---

(1) : صلاح الدين عبد التواب ، الصورة الأدبية في القرآن الكريم ، الشركة المصرية العالمية للنشر ،ط:1 لونجمان ، الجيزة 1995 ، ص : 34 .

(2) : انظر ، أبو حامد الغزالي ، جواهر القرآن. تحقيق: محمد رشيد رضا القباني ،قصر الكتاب، اط: 3 الجزائر ، ص 42.

أول صورة في السورة عن نور الله، تستوقف المتلقي، و تسمو به عاليا ليستشرف آفاق النور، و ترفعه بخياله ليرى نور الله في ملكوت السماوات و الأرض .

جاءت الصورة في آية المشكاة تشبيها كغيرها من الكثير من الصور في هذه السورة. و هناك من يرى أنّ فضيلة التشبيه دون مرتبة من الصور الفنية الأخرى لأنّ التشبيه يجعل الصورة محافظة على قوامها، لكن التشبيه في السورة تشبيه لطيف عجيب، ذلك أنّه إذا كان من شروطه أن يشبّه الشيء بما هو أكبر منه و أعظم ... فإنّ آية المشكاة تميزت بعكس ذلك [1] و مع ذلك حققت الصورة هدفها البراغماتي كما يتضح .

برز في سورة النور التشبيه بشكل واضح، و برز من أنواع التشابيه التشبيه التمثيلي، و قد حدّه البلاغيون قديما عندما يكون وجه الشبه فيه وصفا مركبا منتزعا من متعدد بأمرين أو أكثر، و في ذلك دلالة على أنّ الله تعالى ضرب مثلا لعباده من خلال التصوير، للتأثير على النفس و نقل المعنى. يقول الجرجاني عن أسباب تأثير التمثيل :

<< فأول ذلك و أظهره ، أن أنس النفوس موقوف على أن تخرجها من خفي إلى جلي، و تأتيها بصريح بعد مكنى، و أن تردّها في الشيء تعلّمها إياه إلى شيء أخر هي بشأنه أعلم و ثقتها به في المعرفة أحكم، نحو أن تنقلها عن العقل إلى الإحساس، و عما يعلم بالفكر إلى ما يعلم بالاضطرار و الطبع >> [2] .

فمن القول السابق تبرز بعض المهام البراغماتية للتشبيه التمثيلي ، و هي :

- إظهار ما خفي ليأنس بذلك المتلقي .
- التصريح بقصد المتكلم و إيضاحه .
- ربط بين ما يعلم و ما لا يعلم ، تقريبا للصورة في ذهن المتلقي .

و لذلك غالبا ما يظهر التشبيه التمثيلي عند نقل ما هو عقلي إلى ما هو محسوس، حتى أنّ التشبيه كلما كان أوغل في كونه عقليا محضا، كانت الحاجة إلى الجملة أكثر [3] .

---

(1) : انظر ، ابن الآثير ، المثل السائر ، ج : 1 ، ص : 379 .

(2) : الجرجاني ، أسرار البلاغة ، ص : 121 .

(3) : انظر ، المصدر نفسه ، ص : 108 .

يفسر ذلك ما ورد في آية المشكاة من تشبيه، حيث كان تمثيل نور الله ، بما يعرفه المتلقي و يدركه، و تكون عملية الإدراك من خلال استحضار الصورة .

إنّ الصورة تتبلور في الذهن، و تحل به، عند سماع الكلمات، و فهمها و إقامة العلاقات بينها، لتتشكل الصورة صامتة في وعي المتلقي، لكنّها تحتاج إلى عمليات عقلية، و بعبارة أخرى، فإنّ انطباع الصورة في ذهن المتلقي، يحتاج إلى مسارات أساسية، هي نفسها المتعلقة باستعاب المعلومة في النص، لكنّها تختلف عنها أيضا .

أولا : يتعلق انطباع الصورة في ذهن المتلقي، و تبلورها بعملية نفسية إدراكية .

ثانيا : يتأثر رسم الصورة بمعارف المتلقي السابقة، و بعمل الذاكرة بل إنّها تتأثر بشخصيته أيضا .

و يكون ذلك عمليات عقلية هي :

- 1 ـ عزل وحدات الكتابة بعضها عن بعض حروفا و كلمات .
- 2 ـ التصنيف إلى مقولات بشكل ألي فنتعرف على كلمات نعرفها من قبل أسماء حروف يكون الفهم .
- 3 ـ التأليف بين الوحدات، فيربط بين الكلمة، و أختها في الجملة .
- 4 ـ التفسيـــر: استحضار معنى كلمة، و أجزاء الجملة، و الجمل [1] .
- 5 ـ التخيـل: استحضار الصورة بعد إيجاد العلاقات بين الكلمات و رسمها في الذهن .

لا يعني أنّ هذه المسارات تكون بشكل متعاقب، بل كثيرا ما تترابط فيما بينها و تتداخل. و عند ترتيل أي القرآن ترتسم صورا متباينة، تبعا لما تدل عليه الآيات و في آية المشكاة قد ترتسم في ذهن المتلقي صورة عن عظمة الخالق عز و جل دون أن يعرف معاني المشكاة، و كوكب ذري وغيره. التي يكشف عنها التفسير ذلك أنّ الصورة الصوتية، تتعالق بالصورة البيانية. في هذه الآية و في غيرها .

---

(1) : انظر ، فان دايك ، علم النص ، ص : 263 .

يبدو ذلك جليا كما تبينه الأبحاث المعاصرة أنّ مجرد النطق بلفظ الجلالة **"الله"** و تكراره ، يؤثّر على المرء، لأنّ حرف الألف يصدر من المنطقة التي تعلو منطقة الصدر و يؤدي تكراره لتنظيم التنفس, و الشعور بالارتياح الداخلي، كما أنّ نطق اللام يأتي نتيجة لوضع اللسان على الجزء الأعلى من الفك و ملامسته، وهو ما يؤدي إلى صمت لحظي، و راحة في التنفس، أمّا حرف الهاء الذي مهد له بقوة حرف اللام، فيؤدي نطقه إلى حدوث ربط بين الرئتين << عصب ومركز الجهاز التنفسي – وبين القلب ، و يؤدي إلى انتظام ضربات القلب>> P(1*)

PP**{ آلاَ بذِكِرِ اللهِ تَطمَئِنَ القُلُوبُ }.**

يكون من آثار ذلك ما يلي :

- تيسير استقبال الرسالة و حدوث الطمأنينة النفسية .
- فهمها لما توحيه من معنى .
- حفظها ، و بقائها في الذاكرة على المدى الطويل .

أكثر من هذا يكشف السياق الداخلي الذي وردت فيه آية المشكاة على ارتباط الصورة الفنية فيها بعناصر تكوين المقطع، بل بالسورة كلها، و لذلك يمكن الحديث في هذا المقطع الثاني عن التشابيه التمثيلية المتتابعة، حيث تشكّل سلسلة تتعالق بواسطة التركيب.

و بناء على ما سبق، يمكن الكشف عن هذه التشابيه ،و الصور ليس في تجاوزها الخطي، إنّما في علاقاتها المتفاعلة عموديا، و في انسجامها و تماسكها .

يلاحظ بداية أنّ التشبيه التمثيلي الثاني جاء عقب الحديث عن رجال لا تلهيهم تجارة و بيع عن ذكر الله، لتصوير أعمال الكفار .

<< و كان يمكن أن يقال إنّ أعمال الذين كفروا لا حساب لها و لا وزن (...) فيؤدي المعنى حينئذ إلى الذهن، ثم يركد هناك، و لكنّه التعبير القرآني ، يحيا و يتحرك، و يجيش به الحس، و الخيال حين يؤدى في هذه الهيئة التصويرية >> P(2)

(1*) : فضاء الأنترنت

(2) : صلاح الدين ، عبد التواب ، الصورة الأدبية في القرآن الكريم ، ص : 47 .

و كان هدف هذه الصورة هو نقل المعقول إلى المحسوس لتجسيد الفكرة << إنّه الخداع الحسي يرتبط أحيانا بالهلوسة، لأنّ من يصر على الضلال، لا فرق بينه وبين المصاب بخلل في عقله >>[1] ثم يتنقل التصوير من الحديث عن السراب في الصحراء الذي يعرفه ابن البيئة العربية إلى الحديث عن أعماق المحيطات واختفاء ألوان الطيف السبعة الواحد بعد الآخر .

فلا علاقة لهذا التصوير بالمستوى العقلي أو المعارف البحرية في العصر الجاهلي، لأنّه ينقل وصفا خارجيا عن تراكيب الأمواج، و الظلمات المتكاثفة في أعماق البحار، و ذلك يفرض معرفة علمية بالظواهر الخاصة بقاع البحر، و ظاهرة امتصاص الضوء، و اختفائه على عمق معين في الماء [2] .

من أجل كل ما سبق، ليس صحيحا أنّ هذه الصور و المجازات في السورة أو غيرها من السور تحمل أبعاد تاريخية، تجعلها مرتبطة بمتلق في عصر معين كما يرى ذلك أركون [3] . و بعض الدارسين، و المحللين، و الفلاسفة ..

---

(1) : عبد العالي الجسماني ،القرآن و علم النفس الإدراك الإنساني ، الدار العربية للعلوم ، ط :1، بيروت 1998. ص 199. .

(2) : مالك بن النبي ، الظاهرة القرآنية، ص 296. و لذلك ليس الغرض من هذه الصورة أن تكون أوقع في نفس المتلقي فقط ، بل الغرض منها إقناع المتلقي على صدق النبوة، و المصدر الإلهي لهذا الكتاب .خاصة في عصر العلم هذا .

(3) : انظر ، محمد أركون ، تارخية الفكر العربي الإسلامي ، تر :هاشم صالح ، المركز الثقافي العربي ط: 2 ، الدار البيضاء 1996، ص 299.

4 - البنية العليا للسورة :

لكل نص بنية عليا تميزه، و تجعله ينتمي إلى نوع معين من النصوص رغم أنّ هذه البنية العليا ترتبط بالجانب الشكلي من النص.

<< و هي لا تكشف في النص عن بنية خاصة فحسب، بل أنّها تحدد في الوقت ذاته النظام الكلي لأجزاء النص (...)، و من ثم فإنّها نوع من التخطيط Shema الذي يتواءم النص معه >> P(1)P .

فتكون بنية مجردة، تلخص التابعات التي يبنى عليها النص ، مثل : أ ب - ب ج - أ ج . الذي يكشف عن نظام من خلال أنظمة ثانوية.

و إذا كانت خصوصية النص تتجلى من خلال مضمونه، و شكله، و وظيفته البراغماتية، فإنّ ذلك يجعل الوظيفة الخاصة به تقترن ببنيته العليا.

ذلك أن أنواع النصوص يمكن أن تميز تبعا للوظائف التي تغلب عليها P(2)P .

و مع ذلك يصعب الكشف عن البنية العليا للقرآن الكريم، أو لسورة من سوره لأن النص القرآني ليس بالشعر أو النثر، فهو لذلك بنية عليا قائمة بحدّ ذاتها.

صحيح أنّه يمكن تحديد بعض الوظائف البراغماتية للنص القرآني، إلاّ أن ذلك لن يسهم في تحديد مخططات سوره، فسورة النور مثلا لا تخلو من تتابعات سردية أو حجاجية، لكن السورة بعيدة تماما من أن تكون نصا سرديا أو حجاجيا أو غيره .

إنّ مفاهيم القرآن و السورة و الآية تمنح البنية العليا للنص القرآني كله بنية خاصة، فمن الناحية الشكلية تبين أن الآية مقطوعة من السورة، مثلما أن السورة جزء من القرآن ... P(*)P .

يدل ذلك أن هناك نظام بني عليه النص القرآني، يكون ابتداء من البنية الشكلية له و هي بنية متفردة، لم يعهدها النص البشري .

---

(1) : فان دايك ، علم النص ، ص : 210 .

(2) : JEAN FRANCOIS JEAN DILLOU , l'analyse textuelle, DIMAND COLIN, PARIS 1997, P :9.

(*) : انظر ، الفصل الثالث من الدراسة النظرية ، ص : 90.

يهدف هذا النظام إلى أن تصل رسالة السماء إلى الأرض من خلال إقناع المتلقي، و تغيير معارفه و سلوكه.

.يفسر ذلك وجود تتابعات تفسيرية، و تتابعات سردية، و حجاجية، و غيرها عبر سور القرآن، و في سورة النور تبدو التتابعات التفسيرية في تحليل الأحكام الواردة فيها بصفة خاصة. بينما يتجلى التتابع السردي في حادثة الإفك.

و تظهر التتابعات الحجاجية إقناعا للمتلقي، لذلك يمكن وضع تخطيط للسورة

<< و يقصد بالتخطيط Une schématisation تمثيل فعلي للوصول إلى فضاء النص بشكل مصغر >>P[1]P.

دون أن يعني ذلك أن للسورة بنية عليا، لا تختلف عن غيرها من النصوص و إنّما يمكن الاستدلال على ذلك علىانسجام السورة، و بنائها على نظام معين متميز.

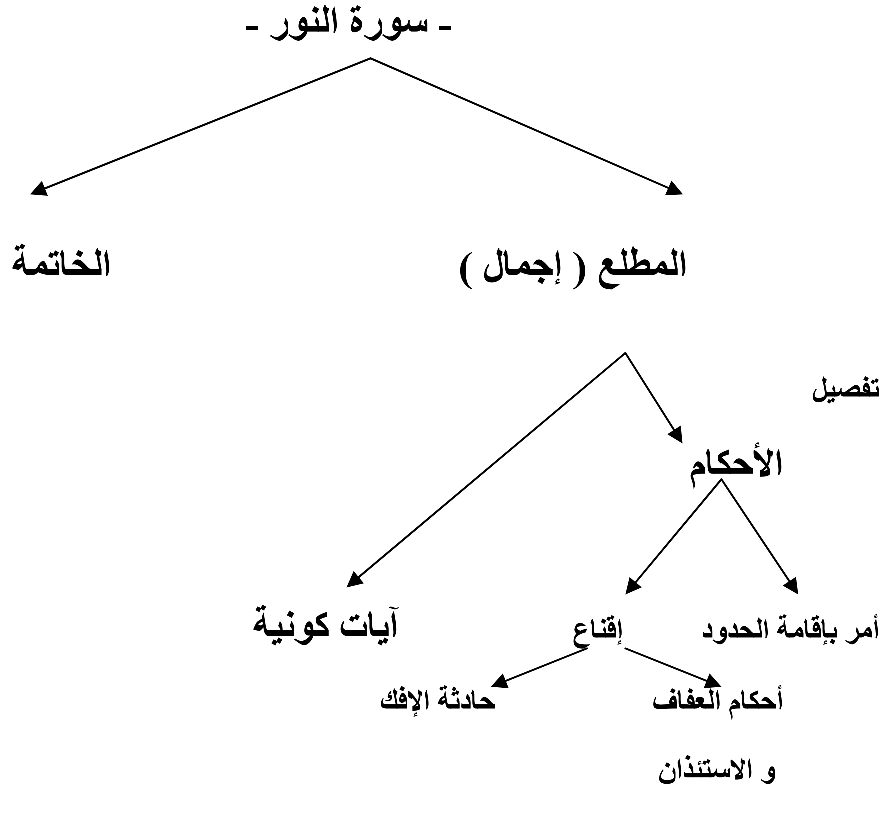

---

(1) : J.M. Adam, Linguistique textuelle, P :103.

إنّ سورة النور سورة تحمل خصوصية شكلا و مضمونا، شأنها في ذلك شأن النص القرآني، و تحدد هذه الخصوصية من خلال هذا الانسجام القرآني المعجز، يجعل للنص القرآني بنية عليا متميزة ، بل هو البنية العليا التي لا تعلوه أية بنية أخرى .

الخـاتمـــة

إنّ الانسجام من أهم المقاييس النصية التي تميز بين النص و اللانص، يمكن دراسته، و البحث فيه بمنهج لساني، يتجاوز حدود الجملة إلى النص كله.

من هنا بدا الاهتمام بقضية الانسجام في مختلف المدارس اللسانية الغربية فرغم تعدد اتجاهاتها، و منطلقاتها و مقاصدها، إلاّ أنّها اشتركت جلها في البحث في:

- العلاقات و الروابط الدلالية التي تجعل النص يتقبله القارئ، أو يرفضه.
- البنية الكلية و موضوعة الخطاب.
- تأثير النص على المتلقي، و كيف تخدم كل من الروابط، و البنية الكلية و التأويل، انسجام النص .

تتخذ هذه الجهود الغربية صبغة علمية عالمية، تجعلها تسمو عن السياق التاريخي، و الثقافي الذي نشأت فيه. و الحضارة الغربية قامت على المنهج العلمي التجريبي الذي استمدته من الحضارة العربية الإسلامية .يفسر ذلك:

تقاطع بعض نتائج تلك الدراسات الغربية، بما عرفه التراث العربي الإسلامي من قبل قرون عديدة. و يمنحننا ذلك مبرر الاستفادة من الأبحاث الغربية .

كانت البداية الأولى في هذه الثقافة إجابة عن سؤال أين يكمن الإعجاز في القرآن الكريم" فاختلفت الإجابات و تنوعت، لكنّها استطاعت أن تخطو الخطوات الأولى لدراسة النص القرآني كله، فكانت أهم تلك الخطوات :

نظرية النظم للجرجاني التي لم تتعد العلاقات داخل الجملة الواحدة، لكنّها خطت بالبحث اللساني العربي خطوة كبيرة نحو الأمام .

و كذلك علم المناسبات، و هو أقرب العلوم إلى لسانيات النص، لاهتمامه بمسألة الانسجام في الخطاب القرآني بشكل ضمني، و بمفهوم عربي إسلامي .

عرفت الدراسات العربية الإسلامية تداخلا بين الاختصاصات، شأنها في ذلك شأن الدراسات الغربية الحديثة، التي كسرت الحواجز بين مختلف العلوم و الاختصاصات.

لكن رغم هذا التداخل لم يستطع علم النحو أن يستفيد من علم المعاني ليتولد عنه نحو النص، فيكون للعرب، و المسلمين السبق في هذا المجال، بل بقيت الدراسات العربية الإسلامية مشتتة، و متناثرة، عبر مختلف التخصصات : الفقه و التفسير، و النحو، و البلاغة، و الفلسفة، و النقد، و غيرها .

و لم يكن ذلك عن قصور بل هو تمثيل لمرحلة من مراحل الدرس اللساني العربي الإسلامي، و الملاحظ أيضا أن للثقافة العربية الإسلامية السبق في الاستفادة من التراث اليوناني الغربي، خاصة في مجال الفلسفة و النقد.

و كان لذلك أثره في النظرة الشمولية للنص، و في نقل هذه الأفكار إلى الثقافة الغربية الحديثة .

فكان للعرب و المسلمين إسهاما مباشرا، و غير مباشر في ظهور نحو النص بعد عدّة قرون، قد يفسر ذلك هذا اللقاء بين التراث العربي الإسلامي، و الدراسات الغربية الحديثة، الأمر الذي يسّر تطبيق نتائج مختلف هذه الدراسات على الخطاب القرآني الكريم ، كما يبينه تحليل السورة .

فقد اتضح أن :

- مستويات التحليل يكمل بعضها بعض، صوريا، و دلاليا و تداوليا.

ذلك أنّ هذه المستويات هي في حقيقة الأمر مستوى واحد، فالمتلقي عند سماعه لتلاوة القرآن لا يميز بين هذه المستويات، لكن عملية الاستعاب تمرّ بمراحل لترسم الصورة أو الفكرة التي تحملها الجملة في ذهن المتلقي .

تبين صوتيا أنّ إعجاز القرآن يبدأ من مستوى الصوت ليمتدّ إلى مستوى النص كله، فموضع الحرف في السورة موضع دقيق جدا، لا يقلّ دقة عن موضع النجم في مداره، هذه الدقة تتعلق :

- بالصوت نفسه الذي لا يمكن أن يغير بصوت أخر .
- بصفات الصوت التي تضفي على النص كله إيقاعا جميلا ، يحمله بشحنة دلالية و شجنة صوتية .

و قد تبين من سورة النور تنوع الإيقاع فيها، بسبب الانسجام الصوتي بين الحروف المختارة من جهة، و بسبب الحركة التي يمنحها للنص أيضا.

و لم ينفصل المستوى المعجمي عن المستوى السابق، حيث تبين أن سورة النور تكررت فيها كلمة النور العديد من المرات، و تكررت مبين، تبيان ، بينات للإشارة إلى المعنى السابق، ليتضح في الأخير أن الآية الهدف في السورة كلها هي آية المشكاة فكانت نواة السورة التي تدور في فلكها باقي الكلمات، بل باقي الآيات.

و بعبارة أخرى فإنّ تكرار الكلمات المحورية في السورة ساهم في الانسجام الأفقي، تمهيدا للانسجام الكلي بعد ذلك .

أما المستوى النحوي، فقد كشف عن العلاقات بين الكلم، داخل الآية الواحدة قبل أن تتضح العلاقات بين الآيات المتتابعة في المستوى الدلالي، حيث تبين طبيعة زمن الفعل القرآني في السورة، و دلالته ربطا بالسياق الذي يرد فيه، و هو زمن أزلي في الغالب يسمو عن كل زمن بشري فيزيائي، أو نفسي، أو غيره .

و في المستوى الدلالي السيمانطقي اتضحت العلاقات بين الآيات، فتبين النظام الخفي الذي بنيت عليه النص القرآني، قد يبدو أن بعض الآيات تقوم على الانتقال المفاجئ الذي يجعل العلاقات بينها غائبة، لكن الدراسة المتأنية تكشف عنى هذا الانسجام الدلالي السيمانطقي الغريب الذي لا نجد له مثيلا في غيره من النصوص .. ، و تؤكد على ذلك البنية الكلية الذي بنيت عليها السورة كلها، و هي بنية تتجلى معالمها في مطلع السورة التي كانت إجمالا قبل بداية التفصيل.

أما المستوى التداولي، فقد كشف عن أثر الخطاب القرآني على المتلقي من خلال دراسة خصوصية السياق القرآني، هذه الخصوصية تقوم على دعامتين :

- تجاوز الخطاب القرآني للواقع الذي نشأ فيه .
- ارتباط التلقي بظاهرة النبوة .

كذلك تبدو خصوصية هذه العلاقة بين المتلقي و الخطاب القرآني في أفعال الكلام، ففي سورة النور، كغيرها من السور اقترن الفعل بالقول، فكان تلقي الخطاب يحقق أهدافه البراغماتية من تأثير، و تغيير، و معرفة، و غيرها، حتى أنّه ليس هناك خطاب استطاع أن يحقق ذلك، مثلما هو الأمر بالنسبة للخطاب القرآني.

و لذلك ليس غريبا أن يكون هذا الخطاب متفردا، فلا هو بالشعر، و لا بالنثر صحيح أنّه خطاب لا يخلو من تتابعات سردية، أو حجاجية، أو تفسيرية، لكن بنيته العليا خاصة قائمة بحدّ ذاتها .

نصل في الأخير إلى أن إعجاز القرآن إعجاز ملازم للخطاب القرآني، لا يمكن أن ينتهي عند عصر معين، لأنّ قراءاته متجددة، و ذلك من أسباب خلوده عبر الزمن .

ملحق:

- قائمة المصطلحات
- قائمة المصادر
- قائمة المراجع باللغة العربية
- قائمة المراجع المترجمة
- قائمة المراجع باللغة الأجنبية
- قائمة المجلات
- قائمة المراجع الإلكترونية
- قائمة الرسائل

قائمة المصطلحات

ACCEPTABILITE	القبول
ACTE D ENONCIATION	فعل التلفظ
ACTE DE REFERENCE	فعل مرجعي
ACTES DES PAROLES	أفعال الكلام
ACTION	الفعل
ARGUMENTATIF	الحجاجي
CHAINE	تتابع
COHERENCE	الانسجام
COHESION	الربط
COHESION ISOTOPIQUE	ربط تشاكلي
COLLOCATION	التضام
COMPETENCE DE COMMUNICATION	كفاءة التواصل
CONFIGURATION	هيئة تركيبية
CONJONCTION	الوصل
CONNEXITE	الرابطية

CONSTRUIRE LE MODELE DU MONDE DU TEXTE	بناء نموذج عالم النص
CONTEXTE	السياق
CORPUS	المدونة
DETERMINENTS	المحددات
DIMENSION	البعد
DISCOURS	خطاب
DISJONCTION	الفصل
ELLIPSE	الحذف
ENONCIATIF	لفظي
ENVIRONNEMENT EXTRA-LINGUISTIQUE	المحيط خارج اللسانيات
ESPACES SEMENTIQUE	الفضاءات الدلالية
EXPRESSIONS	العبارات
EXTRA-LINGUISTIQUE	خارج لساني
FRAMES	الأطر
GENERATIVE	التوليدية
GRAMMAIRE DU TEXTE	نحو النص

INFORMATIVITE	الإعلامية
INTENTIONALITE	القصد
INTER-TEXTUALITE	التناص
ISOTOPIE	تشاكل
LIAGE	الضم
LINGUISTIQUE DU TEXTE	لسانيات النص
MACRO-PROPOSITION	قضايا كبرى
MACRO- ACTE	بنية الفعل الكبرى
MACRO- ETAT	حالة كبرى
MACRO- STRUCTURE	بنية كبرى
MISE EN RELATION DU LIAGE	فعل الربط
NARRATION	السرد
NON- TEXTE	اللانص
ORUNTITATIVE	مؤشرات كمية
PERIODES	الدورات
PLAN DU TEXTE	تخطيط النص

PRAGMATIQUE	البراغماتية
PROGRESSION	النمو
PROPOSITION	قضية
PROTOTYPES	مواضيع مثالية
RATIONAL	عقلي
REALISATION	تفعيل
RECIT	الحكي
REFERENTIELLE	مرجعية
RELATIONEL	التعليق
RHEME	المسند إليه
SEGMENTATION	التقطيع
SEMES	السمات
SEQUENCE CONCEPTUELLE	الترابط المفهومي
SEQUENCE CONNECTIVE	الترابط الرصفي

SEQUENCE EXPLICATIVE	متتالية تفسيرية
SEQUENCES	متتاليات
SHEMES	المشروعات
SIGNE	علامة
SITUATIONNALITE	رعاية الموقف
STEREO-TYPES	أحداث قالبية
STRUCTURALISTE	الاتجاه البنيوي
STRUCTURE	بنية
STRUCTURE SEQUENTIELLE	البنية التسلسلية
SUBORDINATION	تبعية
SUPER- STRUCTURE	البنية العليا
SYSTEME	نظام
SYSTEME CLOS	نظام مغلق
THEME	المسند

1- **القرآن الكريم:** برواية ورش عن نافع

2- **ابن أحمد النيسابوري:** أسباب النزول، تحقيق السيد الجمبلي، دار الكتاب العربي، ط:7 بيروت 1999.

3- **ابن الآثيـر أبو الحسن علي بن أبي الكرم:** المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر تحقيق محي الدين عبد المجيد، المكتبة العصرية، بيروت 1999.

4- : الكامل في التاريخ ، دار الكتب العلمية ،ط: 3، بيروت 1983

5- **ابن الجوزي أبو الفرج جمال الدين** : فنـون الأفنـان في عجائب علـوم القـرآن، تحقيق و تعليق، صلاح بن فتحي هلال ، مؤسسة الكتب الثقافية ، ط:1 ، 2001.

6- **ابن الجوزي شهاب الدين الدمشقي**: شرح طيبة النشر في القراءات العشر، ضبط و تعليق الشيخ أنس مهرة ، دار الكتب العلمية ، ط:1، بيروت 1997.

7- **ابن تيمية تقي الدين**: موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول، دار الكتب العلمية ، ط:1 بيروت .

8- **ابن جني أبو الفتح عثمان** : الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، ط:2.

9- **ابن حنبل أحمد** : مسند الإمام أحمد بن حنبل ، ط : 2 ، دار الفكر ، بيروت 1994.

10- **ابن خلدون عبد الرحمان** : المقدمة ، دار الكتب اللبنانية ، لبنان 1960.

11- **ابن رشد أبو الوليد محمد بن أحمد**: تلخيص كتاب أرسطو طاليس في الشعر ضمن كتاب في الشعر لأرسطو، تحقيق شكري محمد عياد، دار الكتاب العربي، القاهرة 1967.

12- **ابن قتيبة أبو عبد الله** : تأويل مشكل القرآن ، شرح و نشر أحمد صقر، المكتبة العلمية ط:3المدينة المنورة 1971.

13- **ابن قيم الجوزيـة أبو عبـد الله محمـد:** إغاثـة اللهفان من مصايد الشيطان، تحقيق: علي بن حسن بن علي، دار ابن الجوزي ، ط:1 ، السعودية 2003.

14- : الفوائد ، تحقيق محمد عبد القادر الفاضلي ، المكتبة العصرية بيروت 2005

15- **ابن كثير أبو الفداء إسماعيل** : تفسير القرآن العظيم ، مراجعة و تنقيح : الشيخ خالد محمد محرم دار الحديث ، القاهرة 2003

16- **ابن منظـور أبو الفضل جمال الدين** : لسان العرب ، دار صادر ،ط:3 ، بيروت 2004.

-17 **الاسكافي أبو عبد الله محمد بن الخطيب** : ذرة التنزيل و غرة التأويل ، دار الكتب العلمية ط:1، بيروت 1999

-18 **الألوسي شهاب الدين** : روح المعاني في تفسير القرآن، و السبع المثاني، قراءة و تصحيح محمد حسن العرب ، دار الفكر ، بيروت 1994

-19 **الباقلاني أبو بكر** : إعجاز القرآن ، هامش الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، المكتبة الثقافية بيروت 1973

-20 **البخاري أبو عبد الله** : صحيح البخاري ، تخريج و ضبط : صدقي جميل العطار ، بيروت 2003

-21 **البقاعي برهان الدين** : نظم الدرر في تناسب الآيات و السور، شرح و تعليق : عبد الرزاق غالب المهدي ، دار الكتب العلمية ،ط:1، بيروت 1995.

-22 **البيهقي أبو بكر أحمد بن الحسن** : شعب الإيمان ، تحقيق أبي هاجر محمد سعيد زغلول ، دار الكتب العلمية 1990.

-23 : دلآئل النبوة، تحقيق عبد المعطي قلعجي ، دار الكتب العلمية، ط :1 بيروت 1985 .

-24 **الجرجاني أبو بكر عبد القاهر** : دلائل الإعجاز في علم المعاني، تصحيح : محمد محمود الشنقيطي ، تعليق : محمد رشيد رضا ، ط : 6 ، مطبعة محمد علي ، القاهرة 1960

-25 **الحــاج جميــل** : موسوعة المسيرة في الفكر الفلسفي و الاجتماعي، عربي إنكليزية ، مكتبة لبنــان ، ط:1، بيروت 2000

-26 **حنفي عبد المنعم** : المعجم الشـامل لمصطلحـات الفلسفـة العربيـة ، مكتبـة مدبولـي القاهرة 2000.

-27 **حوى سعيد** : الأساس في التفسير ، دار السلام ،ط:5، القاهرة 1999.

-28 **الرازي فخر الدين** : مفاتيح الغيب ، دار الكتب العلمية، ط:1، بيروت 1999.

-29 **الزركشي بدر الدين:** البرهان في علوم القرآن، دار الجيل، بيروت

-30 **الزمخشري أبو القاسم جار الله محمود بن عمر** : تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل و وجوه التأويل، تحقيق محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، ج:1، ط:1 لبنان 1995.

-31 : تفسيرالكشاف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل و وجوه التأويل ، تحقيق محمد مرسي عامر، دار المصحف، ج:3، القاهرة.

32- **سليمان بن الأشعث الأزدي: أبو داود** : سنن أبي داود، دار الجيل، بيروت 1992.

33- **السيـوطي جلال الدين** : الإتقان في علوم القرآن ، المكتبة الثقافية ، بيروت 1973

34- **الشاطبي أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد** : الموافقات ، ضبط نصه : أبو عبيدة مشهور ، دار ابن عفان، ط:1 ، السعودية 1994

35- : الاعتصـام ، تحقيـق : سـالم بـن عبـد الهـادي دار ابن عفان، ط:1، السعودية 1997.

36- **الشهرستـاني محمد بن الكريـم بن أبي بكـر أبـو الفتـح**: المـلل و النحـل ، تحقيـق أمير علي و علب عيسى ، دار المعرفة ، بيروت 1997

37- **الشوكاني محمد بن علي** : فتح القدير ، مراجعة يوسف القوس ، دار المعرفة، ط:3، 1997.

38- **الطبـري أبو جعفر محمد بن جريـر** : جامع البيان في تأويل القرآن ، دار الكتب العلمية ط:3، بيروت 1997.

39- **عبد الباقي محمد فؤاد:** المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الجيل ، بيروت 1988.

40- **الغزالي أبو حامد** : جواهر القرآن ،تحقيق محمد رشيد رضا القباني، قصر الكتاب، ط:3 الجزائر .

41- : مجموعة رسائل الإمام الغزالي ، تحقيق مكتب البحوث و الدراسات ، دار الفكر بيروت 2000.

42- **الفـيروزابـادي محمد بن يعقـوب** : القاموس المحيط ، مكتب تحقيـق التراث، مؤسسـة الرسالـة بيروت 1998.

43- **القرطـاجي حـازم** : منهاج البلغاء و سراج الأدبـاء ، تقديم و تحقيـق : محمد الحبيـب بن خوجة دار الكتب الشرقية، تونس 1966 .

44- **القزويـني الخطيب** : الإيضاح في علوم البلاغة ، تعليق : محمود شاكر ،دار المدني، ط:1 جدة 1991.

45- **قطب سيد** : في ظلال القرآن ، دار الشروق، ط:11،.بيروت 1985، المجلد: 4 .

46- **قطب سيد** : في ظلال القرآن، دار الشروق، ط:25، .بيروت 1996، المجلد: 1 .

47- **مطلوب أحمد** : معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، مكتبة لبنان ، ط:1 ، لبنان 2000

1- **ابراهيم عبد الرزاق علي:** المحرر الوجيز في عد أي الكتاب العزيز، مكتبة المعارف ط:1، الرياض 1998.

2- **إبراهيم عبد الله:** التلقي و السياقات الثقافية، دار الكتاب الجديد، ط:1، القاهرة 2000.

3- **أبو زيد نصر حامد:** إشكاليات القراءة و أولويات التأويل، المركز الثقافي العربي، ط:2، الدار البيضاء 1992.

4- **أبو سعود سلامة أبو سعود:** الإيقاع في الشعر العربي، دار الوفاء، الإسكندرية 2002.

5- **أنيس إبراهيم:** الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، د ط، القاهرة، دت.

6- **بابا عمي محمد بن موسى:** مفهوم الزمن في القرآن، دار الغرب الإسلامي، ط:1، بيروت 2000.

7- **البحيري سعيد حسن:** دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البينة و الدلالة، مكتبة زهراء الشرق، د ط، القاهرة دت.

8- **بكري عبد الكريم:** الزمن في القرآن الكريم، دراسة دلالية للأفعال الواردة فيه، دار الفجر، ط:1، القاهرة 1997.

9- **بنكراد سعيد:** مدخل إلى السميائية السردية، منشورات الاختلاف، ط:1، الجزائر 1994.

10- **البهنساوي حسام:** أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب، و نظريات البحث اللغوي الحديث، المكتبة الثقافية، القاهرة 1994.

11- **بوزيد نصر حامد:** مفهوم النص، المركز الثقافي العربي، ط:4، الدار البيضاء 1998.

12- **البوطي سعيد رمضان:** حوار حول مشكلات حضارية، مكتبة الرحاب، ط:3، الجزائر 1990.

13- **الجسماني عبد العلي:** القرآن و علم النفس الإدراك الإنساني، الدار العربية للعلوم، ط:1، بيروت 1998.

14- **الجطلاوي الهادي:** قضايا اللغة في كتب التفسير، دار محمد علي، ط:1، تونس 1998.

15- **جمعي الأخضر:** قراءات في التنظير الأدبي و التفكير الأسلوبي عند العرب، رابطة الإداع الثقافية الجزائر 2002.

16- **حسان تمام:** اللغة العربية معناها و مبناها، عالم الكتب ، ط:3، القاهرة 1998.

17- **حمدان نذير:** الضوء و اللون في القرآن الكريم، الإعجاز الصوتي، و اللوني في القرآن الكريم، دار بن كثير، ط:1، دمشق.

18- **حمودة طاهر سلمان:** ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، الدار الجامعية، الإسكندرية 1999.

19- **حمودة عبد العزيز:** المرايا المقعرة نحو نظرية نقدية عربية، عالم المعرفة، الكويت 2001.

20- **حمودة عبد العزيز:** المرايا المقعرة ، عالم المعرفة، الكويت 2001.

21- **الخطابي محمد:** لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، ط:1، المغرب 1991.

22- **خليل ابراهيم:** الأسلوبية، دار الفارس، عمان 1997.

23- **الدجي عبد الفتاح فتحي:** الإعجاز النحوي، مكتبة الفلاح، ط:1، الكويت 1984.

24- **دوب رابح:** البلاغة عند المفسرين في نهاية القرن الرابع هجري، دار الفجر، ط:1، القاهرة 1997.

25- **الرفاعي عدنان:** المعجزة، كشف إعجازي جديد في القرآن الكريم، د.ط، دار الشهاب، سوريا.

26- **زناد الأزهر:** نسيج النص، بحث فيما يكون به الملفوظ نصا، المركز العربي، ط:1، الدار البيضاء 1993.

27- **زيتون علي مهدي:** إعجاز القرىن، و أثره في تطوير النقد الأدبي، دار دمشق، ط:1، بيروت 1992.

28- **السعدني مصطفى:** البنيات الأسلوبية في لغة الشعر العربي الحديث، منشأة المعارف الإسكندرية 1987.

29- **الشاذلي أبو السعود حسنين:** العناصر الأساسية للمركب الفعلي و أنماطها من خلال القرآن الكريم، دار المعرفة الجامعية، القاهرة 1991.

30- **شحرور محمد:** الكتاب و القرآن، مع دراسة لغوية لجعفر دك الباب، شركة المطبوعات للتوزيع و النشر، ط:7، سوريا.

31- **الشرقاوي عفت:** بلاغة العطف في القرآن الكريم، دراسة أسلوبية، دار النهضة العربية 1981.

32- **شو أيمن:** الجامع ً عراب جمل القرآن، مكتبة الغزلي، ط:1، بيروت.

33- **الشيخ عبد الواحد حسن:** التنافر الصوتي و ظواهره السياقية، مكتبة الإشعاع، ط: 1، مصر 1999.

34- **الصغير محمد أحمد:** الأدوات النحوية في كتب التفسير، دار الفكر، دمشق 2001.

35- **طبل حسن:** أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، دار الفكر العربي، القاهرة 1998.

36- **الطرابيشي جورج:** نظرية العقل، دار الساقي، ط:2، بيروت 1999.

37- **عبد التواب صلاح الدين:** الصورة الأدبية في القرآن الطريم، الشركة المصرية العالمية، ط:1، لونجمان الجيزة 1995.

38- **عبد الجليل بدري محمد:** المجاز و أثره في الدرس اللغوي، دار النهضة العربية، بيروت 1970.

39- **عبد الرحمان ممدوح:** من أصول التحويل في نحو العربية، دار المعرفة الجامعية، مصر 1999.

40- **عبد العزيز أمير:** دراسات في علوم القرآن، دار الشهاب ، ط:2، الجزائر 1988.

41- **عبد المطلب محمد:** البلاغة و الأسلوبية، مكتبة، مكتبة لبنان، ط:1، لبنان 1995.

42- : بناء الأسلوب في شعر الحداثة، التكوين البديعي، دار المعارف، ط:1، القاهرة 1993.

43- **عبد الواحد محمد عباس:** قراءة النص و جماليات التلقي بين المذاهب الغربية الحديثة، و تراثنا النقدي، ط:1 دار الفكر العربي، لبنان 1996.

44- **عصفور جابر:** مفهوم الشعر، دار التنوير، ط:3، بيروت 1983.

45- **عفيفي أحمد:** نحو النص، اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق، ط:1، القاهرة 2001.

46- **العمري محمد:** البلاغة العربية، أصولها و إمداداتها، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء 1999.

47- **عياد محمد شكري:** اتجاهات البحث الأسلوبي، أصدقاء الكتاب، القاهرة 1996.

48- **العياشي منذر:** مقالات في الأسلوب، اتحاد الكتاب العرب، دمشق 1990.

49- **عيد رجاء عيد:** البحث الأسلوبي معاصرة و تراث، منشأة المعارف، الإسكندرية 1993.

50- **غزالة حسن:** الأسلوبية و التأويل و التعليم، مؤسسة اليمامة، الرياض 1998.

51- **الغزالي محمد :** ظلام من الغرب، دار الشامية، ط:1، بيروت 1995.

52- : نظرات في القرآن، شركة الشهاب، الجزائر.

53- **فايز درايان عبد اللطيف:** التبيين في أحكام تلاوة الكتاب المبين، دار المعرفة، ط:1، بيروت 1999.

54- **فضل صلاح:** بلاغة الخطاب و علم النص، عالم المعرفة، الكويت 1992.

55- **الفقي ابراهيم صبحي:** علم اللغة النصي، دار قباء، ط:1، مصر 2000.

56- **قاسم عدنان حسين:** الاتجاه الأسلوبي البنيوي في نقد الشعر العربي، مؤسسة علوم القرآن، ط:1 عجمان 1992.

57- **القرضاوي يوسف:** كيف نتعامل مع القرآن العظيم، دار الشروق، ط:1، القاهرة 1999.

58- **كامل محمد**: قبسات من سورة النور، دار النهضة العربية، بيروت 1981.

59- **الكراعين أحمد نعيم**: علم الدلالة بين التنظير و التطبيق، المؤسسة الجامعية للدراسات، ط:1 بيروت 1993.

60- **كمال حازم علي**: المناسبة اللفظية ، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة.

61- **مبروك مراد عبد الرحمان**: من الصوت إلى النص، نحو نسق منهجي لدراسة النص الشعري دار الوفاء، ط:1، الإسكندرية 2002.

62- **مجموعة من الأساتذة**: مؤتمر ابن رشد، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر 1983.

63- : مؤتمر ابن رشد، الشركة الوطنية للنشر، المجمع الثقافي، تونس 1999.

64- **محمد أركون**: الفكر الإسلامي، قراءة علمية تر هاشم صالح، المركز الثقافي، ط:2، الدار البيضاء 1996.

65- **محمد علي ماهر عبد القادر**: نظرية المعرفة العلمية، دار النهضة العربية، بيروت 1985.

66- **محمد كامل عبد الوهاب**: علم النفس الفسيولوجي، مكتبة النهضة، ط:2، القاهرة 1994.

67- **محمد مبارك**: فقه اللغة و خصائص العربية، دار الفكر، ط:7، دمشق 1981.

68- **مختار أحمد عمر**: محاضرات في علم اللغة الحديث، عالم الكتب، ط:1، القاهرة 1995.

69- **مرتاض عبد المالك**: نظام الخطاب القرآني، تحليل سيميائي مركب لسورة الرحمان، دار هومة الجزائر 2001.

70- **مرحبا محمد عبد الرحمان**: الموسوعة الشاملة من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية عويدات للنشر، بيروت 2000.

71- **مرزوق حلمي علي**: محاضرات في فلسفة البلاغة العربية، جامعة بيروت، بيروت 1982.

72- **المسدي عبد السلام**: الأسلوبية و الأسلوب، الدار العربية للكتاب، ط:2، تونس 1982.

73- : التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، ط:2، تونس 1982.

74- **مسلم مصطفى**: مباحث في التفسير الموضوعي، دار القلم، دمشق 1997.

75- **مصلوح سعد عبد العزيز**: في النقد اللساني، عالم الكتب، ط:1، القاهرة 2004.

76- **مفتاح محمد** : المفاهيم معالم، المركز الثقافي العربي، ط:1، الدار البيضاء 1999.

77- : التشابه و الاختلاف ، المركز الثقافي العربي، ط:1، الدار البيضاء 1996.

78- : دينامكية النص، دار توبقال، ط:1، المغرب 1990.

79- : مجهول البيان، ط:1، دار توبقال، المغرب 1990.

80- **مكرم عبد العالم سالم**: المشترك اللفظي في الحقل القرآني، مؤسسة الأصالة 1996.

81- **ناصف مصطفى**: اللغة و التفسير و التواصل، عالم المعرفة، إصدار المجلس الوطني للثقافة و الفنون، الكويت 1995.

82- **النشار علي سامي**: مناهج البحث عند مفكري الإسلام و اكتشاف المنهج العلمي في العالم الإسلامي، دار النهضة العربية، بيروت 1984.

83- **يقطين سعيد**: تحليل الخطاب الروائي، المركز الثقافي العربي، ط:2، الدار البيضاء 1993.

84- **اليوسفي محمد لطفي**: الشعر و الشعرية، الدار العربية للكتاب، تونس 1992.

1- **إبن نبي مالك**: الظاهرة القرآنية، تر: عبد الصبور شاهين، دار الفكر دمشق 2000.

2- **إديث كيزويل**: عصر البنوية من ليفي شتراوس إلى فوكو، تر: جابر عصفور، ط:2، الدار البيضاء 1986.

3- **أركون محمد**: تاريخية الفكر العربي الإسلامي، تر : هاشم صالح، المركز الثقافي العربي، ط:2 الدار البيضاء 1996.

4- **آن روبول، جاك موشلار** : التداولية اليوم، علم جديد في التواصل، تر : سيف الدين دغفوس محمد الشيباني، المنظمة العربية للترجمة، ط:1، لبنان 2003.

5- **إيكو آمبرتو**: التأويل بين السيميائية و التفكيكية، تر : سعيد بن كراد، المركز الثقافي العربي ط:1، الدار البيضاء 2000.

6- **دايك فان**: النص و السياق، تر: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، المغرب 2000.

7- : علم النص، مدخل متداخل الاختصاصات، تر: سعيد حسن بحيري، دار القاهرة للكتاب، ط:1، مصر 2000.

8- **دي بو جراند روبرت**: النص و الخطاب و الإجراء، تر : تمام حسان، عالم الكتب، ط:1 القاهرة 1998.

9- **قبطني فريد**: طلوع الشمس من مغربها، تر: أحمد أمين حجاج، دار البراق، ت.ط، د ت بيروت.

10- **كوين جون**: بناء لغة الشعر، تر : أحمد درويش، دار المعارف، ط:3، القاهرة 1993.

11- **المودودي أبو الأعلى**: تفسير سورة النور، تعريب محمد عاصم حداد، دار الفكر، دمشق 1960.

12- **مولينيه جورج** : الأسلوبية ، تر : بسام بركة، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر بيروت 1999.

13- **ميشيل أريفيه، لوي بانيه** ...: السيميائية، أصولها و قواعدها، تر : رشيد بن مالك ، منشورات الاختلاف، الجزائر.

1- **A.Fuchs, C.Reeb**: Logique, office des publications universitaire, Alger

2- **ADAM J. Michel** : Elements de linguistique textuelle, théorie et pratique de l'analyse- Mardaga.

3- **ADAM J. Michel** : Linguistique textuelle des genres de discours aux textes, Nathan- Paris 2004.

4- **BERQUE Jacque** : Relire le coran, Ed ALBIN Michel, Paris 1993.

5- **COURTES Joseph** : Introduction à la sémiotique narrative et discursive, Hachette Paris 1976.

6- **DUBOIS Jean** : Dictionnaire de linguistique, Ed Larouse, Bordas 1er ed, Canada 1994.

7- **Encyclopédique** : Hachette, France, spadem, 1997, P 901.

8- **FRANCOIS Jean, DILLOU Jean** : l'analyse textuelle DIMAND colin, Paris 1997.

9- **Le petit Robert** : Dictionnaire de la langue francaise – France 1998.

10- **RIFFATERE Michel** : Essai de stylistique structurale, tr Daniel Delas, Flammarios France 1971

11- **TZVETAN, TODOROS** : Poétique de la prose, seuil – Paris 1971.

1- **بوزيدة عبد القادر :** فان دايك و علم النص ، مجلة اللغة و الأدب ، ع : 11 ، الجزائر 1997

2- **الجابري محمد عابد :** في قضايا الدين والفكر (حوار) ، مجلة فكر و نقد ، ع : 1 المغرب ماي 1998.

3- **خضير محمد أحمد:** وحدة السياق في تقدير مرجع الضمير في الدراسات اللغوية و القرآنية، مجلة كلية الآداب 1999 ، المجلة 59 يناير ج1

4- **رتيمة محمد العيد:** الآية بين اللسان و القرآن، مجلة اللغة و الأدب، ع:5، الجزائر 1994.

5- **سلوم داود:** التأثير اليوناني في النقد العربي القديم، مجلة كلية الآداب، ع:14 1970-1971 المجلد الأول.

6- **الصباغ رمضان :** العلاقة بين الجمال و الأخلاق في مجال الفن ، مجلة عالم الفكر ع : 1 المجلة 27 ، الكويت ، سبتمبر 1998.

7- **فضل الله مهدي:** علائقية الشعر بالمنطق و الفلسفة، الفكر العربي المعاصر، ع:80-81 سبتمبر – أكتوبر 1990.

8- **المتوكل أحمد** : آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي ، منشورات كلية الآداب ، مجلة بحوث و دراسات ، دار الهلال العربية ، الرباط 1993.

9- **مرتاض عبد المالك:** الكتابة و مفهوم النص، مجلة اللغةو الأدب، ع:8، الجزائر :1996.

10- **اليعقوبي محمد:** شبهات التجربية المنطقية ضد الميتافيزيقا، مجلة دراسات فلسفية، السنة1 ع:1، السداسي الأول 1996.

01- CD ROM
الموسوعة الشاملة للقرآن الكريم، شركة ميديا برو، مصر

02- Cv de Jean-Michel Adam.htm

03- VCD :
زغلول النجار الإسلام و العلم الحديث، معجزة القرآن ج1، الأثير لبرامج الكمبيوتر الجزائر

04- www.55a.net موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم

05- www.arches.ro/revue/n04/-comment peut être lecteur ?

06- WWW.crdp.Montpellier.Fr-Laboratoire de Linguistique textuelle

07- www.lalic.Paris4.Sorbonne.fr- La segmentation des textes- Par L'étude de la ponctuation

08- www.Yatayba.com الفاصلة بين التناسق الصوتي، و رعاية المعنى

1- بوسكين هند: النبر و التنغيم في القرآن الكيم – دراسة صوتية في سورة البقرة من خلال بعض القراءات المشهورة،

إشراف محمد العيد رتيمة، مخطوط لنيل شهادة الماجستير، جامعة الجزائر 1998-1999.

2- رتيمة محمد العيد، المفهوم اللغوي للآية في القرآن الكريم

إشراف: جعفر دك الباب، مخطوط لنيل شهادة دكتوراه دولة، جامعة الجزائر 1992-1993-

3- مبروك زيد الخير، ظاهرة الوقف، و أثرها في تغيير المعاني النحوية في السياق.

سورة النساء أنموذجا – إشراف محمد العيد رتيمة، مخطوط لنيل شهادة الماجستير، كلية الآداب و اللغات، جامعة الجزائر،2001.

مقدمة ---------- أ --- د
تمهيد ---------- 1
الباب الأول : الانسجام في الدراسات الغربية ---------- 13
الفصل الأول : تبلور نظرية الانسجام عند "فان دايك" ---------- 15
"فان دايك " ... النص انسجام ---------- 16
1- من أهداف "فان دايك" ---------- 17
2- مستويات تحليل الخطاب ---------- 18
2-1-المستوى الصوتي و الصرفي ---------- 20
2-2- المستوى الدلالي السيمانطقي ---------- 21
2-2-1- شروط الربط بين القضايا ---------- 22
2-2-2- أنواع الروابط ---------- 24
2-2-3- الانسجام ---------- 26
2-2-4- البنيات الكبرى للنصوص ---------- 27
2-3- المستوى التداولي ---------- 29
2-3-1- النص و السياق ---------- 30
2-3-1-1- السياق النفسي الادراكي ---------- 31
2-3-1-2- السياق الاجماعي ---------- 36
3- بين علم الدلالة و البراغماتية ---------- 37
4- علاقة الأفعال الكلية بالخطاب ---------- 39
الفصل الثاني: تطور الجهود الغربية بين المدرسة الأنجلوأمريكية و المدرسة الفرنكفونية 41
من جهود المدرسة الأنجلوأمريكية ---------- 42
"روبرت دي بوجراند" الترابط المفهومي ---------- 43
1- معاير النصية ---------- 45
1-1- الربط ---------- 45
1-2- الانسجام ---------- 45
1-3- القصد ---------- 46
1-4- القبول ---------- 46
1-5- رعاية الموقف ---------- 46
1-6- التناص ---------- 46
1-7- الإعلامية ---------- 46

2- الترابط الرصفي ---------- 47
2- أ- الرابطة ---------- 48
3- الترابط المفهومي ---------- 50
4- الكفاءة النصية ---------- 52
4-1- إعادة اللفظ (التكرار) ---------- 52
4-2- التحديد ---------- 52
4-3- اتحاد الاحالة بواسطة الكنانيات ---------- 53
4-4- الإحالة لغير مذكور ---------- 54
4-5- الحذف ---------- 54
4-6- الربط ---------- 55
- ربط مطلق الجمع ---------- 55
- ربط التخيير ---------- 55
- ربط الاستدراك ---------- 55
- ربط التفريغ ---------- 55
5- الأطر و المشروعات ---------- 57
6- المشروع التربوي التعليمي و علم النص ---------- 58
جهود المدرسة الفركفونية ---------- 59
"جون ميشال أدام" ... الانسجام و النمو ---------- 60
1- العلاقة بين القضايا ---------- 62
2- مخططات التنظيم النصي ---------- 64
2-1- دور الاحالة في الربط بين الجمل ---------- 66
2-2- القضايا الدلالية ---------- 68
2-3- التقطيع ---------- 68
2-4- الدورة ---------- 69
2-5- البنية التسلسلية التتابع ---------- 70
2-6- التوجه البراغماتي التمثيلي ---------- 72
3- من أجل براغماتية نصية ---------- 73
3-1- الرابطة ---------- 73
3-2- الانسجام ---------- 74

4- النص و السياق -- 74

الباب الثاني: الانسجام في الدراسات العربية الإسلامية -- 76

الفصل الأول: من دراسة الإعجاز إلى بيان الانسجام في الخطاب القرآني -------------------- 78

1- الإعجاز في ظل منظومة فكرية موحدة -- 82

2- الأسس الفكرية و الفلسفية للتفكير في إعجاز القرآن الكريم ---------------------------------- 84

2-1- الاتجاه التقليدي -- 84

2-2- الاتجاه الفلسفي و المنطقي --- 84

3- وجوه الإعجاز -- 86

3-1- الإعجاز خارج النص -- 86

3-1-1- الإعجاز بالصرفة --- 86

3-1-2- الإعجاز بالتأثير --- 87

3-2- الإعجاز داخل النص -- 87

3-2-1- الإعجاز الإيقاعي --- 88

3-2-2- الإعجاز المعجمي --- 89

3-2-3- الإعجاز النحوي -- 92

3-2-4- الإعجاز الصرفي -- 93

3-2-5- الإعجاز الدلالي --- 94

3-2-6- الإعجاز النصي --- 94

3-2-6-1- ترتيب الترتيل --- 95

3-2-6-2- المناسبة بين الآية و السورة --- 97

3-3- الإعجاز الكلي --- 98

الفصل الثاني: الجهود العربية الإسلامية في علم النص و دراسة الانسجام ------------------ 99

I-1- النظرة التراثية --- 101

1-1- من خصائص التراث العربي الإسلامي -- 101

1-2- بين النظرة التجزئية و النظرة الشمولية للنص --------------------------------------- 102

I- 2- التراث اللغوي --- 103

-2-1- النظرة البلاغية --- 103

-2-1-1- ابن قتيبة .. بداية البحث عن الانسجام -- 103

-2-1-2- الباقرني .. النظرة الشمولية -- 105

-2-2- التراث اللغوي ... النظرة النحوية --- 107

2-2-1- الجرجاني .. التعليق -- 107
I-3- التراث النقدي: حازم القرطاجي ... مستوى النص -- 111
I-4- التراث الفلسفي ... الإنسجام و التأويل --- 115
4-1- الشاطبي .. المجال التداولي و عملية التأويل -- 115
4-2- ابن رشد .. من الاستدلال إلى الانسجام --- 117
I-5- التراث الديني : علم النص من خلال علم التفسير و علوم القرآن ------------------------- 120
5-1- علم النص و علوم القرآن -- 120
5-1-1- الزركشي و السيوطي.. التنظير لعلم المناسبات -- 120
5-2- كتب التفسير -- 123
5-2-1- الطبري ... الربط بين الجمل -- 125
5-2-2- البقاعي ... تناسب الآيات و السور -- 127
I I- النظرة الحديثة -- 129
I I-1- الدراسات النصية -- 129
I I-2- كتب التفسير --- 130
2-1- سيد قطب : المناسبة الموضوعية و الإيقاع الموسيقي -- 130
2-2- سعيد حوي: الوحدة القرآنية --- 132
الباب الثالث: الدراسات التطبيقية: الانسجام في سورة" النور" ----------------------------- 135
الفصل الأول: الانسجام صوريا -- 137
1- الانسجام صوريا -- 141
1-1- التقطيع و الهندسة الخارجية -- 141
1-2- الارتباط الصوتي -- 143
1-2-1- المناسبة اللفظية في السورة --- 144
1-2-2- مظاهر إيقاع السورة -- 149
1-2-2-1- الإيقاع بالتجاوز -- 149
1-2-2-2- الإيقاع بالتناوب -- 150
1-2-2-3- الإيقاع بالحركة --- 151
1-2-3- الوظيفة البراغماتية للضغط التنغيمي --- 152
1-3- الارتباط المعجمي -- 154

1-3-1- الارتباط المعجمي الافقي ---------- 155
1-3-1-1- ظاهرة التكرار و الارتباط المعجمي ---------- 156
1-3-1-2- التناص و دوره في الارتباط المعجمي ---------- 158
1-3-2- الارتباط المعجمي الكلي ---------- 159
1-3-2-1- الآية الهدف ---------- 159
1-4- الترابط النحوي ---------- 161
1-4-1- زمن الافعال في سورة النور ---------- 162
1-4-2- الرابط الناظم ---------- 165
1-4-3- الروابط التركيبية ---------- 169
الفصل الثاني : الانسجام الدلالي السيمانطقي في سورة "النور" ---------- 171
1- سورة "النور" صمن الخطاب القرآني ---------- 172
2- مناسبة سورة "النور" بما قبلها و بما بعدها ---------- 173
3- العلاقات المفهومية بين الآيات ---------- 175
4- البنية الكبرى للسورة ---------- 190
الفصل الثالث: الانسجام و تداولية الخطاب في سورة "النور" ---------- 193
1- خصائص السياق القرآني في سورة "النور" ---------- 195
1-1- خصائص السياق القرآني ---------- 195
1-1-1- ارتباط التلقي بظاهرة الوحي ---------- 196
1-1-2- تجاوز معطيات الواقع الثقافي و الاجتماعي ---------- 197
1-1-3- من التلقي إلى الفعل ---------- 199
2- السياق الخارجي في سورة "النور" ---------- 202
3- البعد البراغماتي للصورة الفنية في سورة "النور" ---------- 210
4- البنية العليا للسورة ---------- 215
الخاتمة ---------- 218
ملحق ---------- 222
قائمة المصطلحات ---------- 223
قائمة المصادر ---------- 228
قائمة المراجع باللغة العربية ---------- 231

قائمة المراجع المترجمة -- 236
قائمة المراجع باللغة الأجنبية -- 237
قائمة المجلات --- 238
قائمة المراجع الإلكترونية -- 239
قائمة الرسائل -- 240
الفهرس --- 241